

القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري

قوانين النهضة

طبعة جديدة معدلة تعالج تحديات المرحلة بفصل جديد



د. جاسم سلطان



د. جاسم سلطان

قوانين النهضة هي قواعد عامة تنتمي لحقل العلوم الإنسانية. وتنطبق عليها محدوديات العلوم الإنسانية، ولكن فيها الكثير من الدروس التي يمكن الإستفادة منها وتفعيلها... وهي في جوهرها تنظيم للعقل في تصوره لحركة النهضة وشروطها، ويمكن أن يستفيد منها كل عاقل يتحرك لاستنقاذ الأمة من وعدتها.

واليوم وقد تحركت الأمة من مقعد الركود وتحاول أن تنطلق لفضاء جديد، حري بها أن تتفكر ملياً عبر دراسة قوانين النهضة، فلا تدور في حلقة مفرغة من البناء والهدم أو حتى من الهدم والهدم، فلحركة التاريخ شروطها وللتقدم شروطه، من أخذ بها نجى وفاز، ومن أعرض عنها خسر الجهد والمال والوقت وضاعت منه الفرصة التاريخية.

في هذا الكتاب محاولة لرسم بعض المعالم الكبرى المستفادة من حركة الشعوب الناهضة التي نرجوا أن تتم قراءتها بأناة... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وإلى لقاء في كتاب قادم بإذن الله.

ISBN 978-614-431-900-0



9 786144 319000

تمكين

للأبحاث والنشر

القواعد الاستراتيجية
في الصراع والتدافع الحضاري

قوانين النهضة

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿

آل عمران: ١٣٧ - ١٣٨

القواعد الاستراتيجية
في الصراع والتدافع الحضاري

قوانين النهضة

طبعة جديدة معدلة تعالج تحديات المرحلة بفصل جديد

د. جاسم سلطان

تأليف

د. جاسم سلطان

مدير المشروع

جمال المليكي

المتابعة والتنسيق

احمد درويش

إخراج فني

سامر حمادة

تصميم وطباعة



GOLDEN VISION

Beirut - Lebanon
Tel/fax: + 961 1 82 04 34

الناشر

تمكين للأبحاث والنشر

لبنان - بيروت

جميع الحقوق محفوظة للناشر (دار تمكين للأبحاث والنشر)

الطبعة الخامسة: فبراير 2013

ISBN 978-614-431-900-0

Tel: 00 961 70 895558

E-mail: dtamkeen@gmail.com



للأبحاث والنشر

الفهرس

7	مقدمة
9	تمهيد
15	• القانون الأول: الفكرة المركزية
33	• القانون الثاني: المكنة النفسية (القوة الدافعة)
53	• القانون الثالث: التغيير الذاتي
65	• القانون الرابع: اختيار الشرائع
83	• القانون الخامس: القوة والخصوبة
113	• القانون السادس: المؤشرات الحساسة
135	• القانون السابع: التدافع
155	• القانون الثامن: الفرصة
169	• القانون التاسع: التداول
173	• القانون العاشر: الدعائم السبعة للنهضة
183	• القانون الحادي عشر: قوانين النهضة في سياق الدولة
203	خاتمة
205	المراجع

قوانين النهضة هي قوانين أقرب إلى العبرة التاريخية، وهي على تجريدها نافعة لفكر القائد، مُعينة له على التنظيم. وهي مهمة قبل التغيرات في الوطن العربي، ومهمة بعد التغيرات لأن هيكليها الكلي يعالج احتياجات الإقلاع؛ وهي:

- وجود الفكرة المركزية السليمة وتحريرها من الشوائب قبل تفعيلها.

- ضرورة البعث النفسي من عوائق الجمود والعجز.

- فكرة تغيير ما في الأنفس.

- معرفة أنواع الشرائح الضرورية للنجاح.

- معرفة أهمية إعداد البشر، كحملة للمشروع.

- بناء نظام مؤشرات التقدم.

- الفهم العميق للتدافع البشري.

- ثم الاستفادة من الفرصة.

وفي هذه الطبعة، سنستقي الكلام السابق، وسنضيف فصلاً متعلقاً بعلاقة

قوانين النهضة بالدولة وصناعتها.

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد:

فلقد أشرنا في كتاب النهضة.. من الصحو إلى اليقظة إلى الاطوار التي تمر بها أي حضارة، ووصفنا هذه المرحلة التي نعيشها والتي شارفت على الغروب بأنها مرحلة الصحو: تلك المرحلة التي انبتت نباتاً حسناً بإذن ربها، وأثبتت أن الأمة ما زال بها خير كثير. غير أنها تفتقد إلى دور العقل المرشد والموجه، وإلى الرؤية والاستراتيجية الواضحة.

كما أشرنا إلى أنه قد ان الاوان لتشرق شمس مرحلة اليقظة، التي تسيير بتلك الجحافل والجموع المباركة إلى طريق النهضة. من خلال جهود منظمة، ورؤية إستراتيجية واضحة، وسياسات قائمة على التعاون والعدل.

وحتى نستطيع دخول هذه المرحلة المرتقية التي نبشر بها، يجب ان نتعرف على سنن الله في كونه، وعلى القواعد التي تحكم عملية النهوض في أي مجتمع من المجتمعات. لأن أكثر ما يميز مرحلة اليقظة أنها لا تتخذ من الارتجال سياسة ومنطلقاً لها، بل تعتمد في انطلاقها على أدق قواعد البحث العلمي، واقصى درجات الإعداد.

والتعرف إلى قوانين النهضة أمر مهم جداً لكل من يهيمو قلبه إلى التغيير، والاضاع فريسة الارتجال. ولقد وجهنا المولى عز وجل إلى أن للكون قوانين ثابتة، فقال تعالى: ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾^(١)، وقال: ﴿لا تبدل خلق الله﴾^(٢). ففي الكون والنفس والسنن الاجتماعية الكثير من القوانين الثابتة: فمن أعرض عنها، فقد ألغى عقله، وأضر بنفسه.

ولو نظرنا إلى موضوع بحننا، وهو قيام الأمم وسقوطها، وموضوع النهضة: فس نجد العلامة الشيخ محمد رشيد رضا يقول في تفسير المنار في قول الله تعالى:

(١) كتاب زلزال من مصنفه المصنف، المجلد ١، ص ٢٠٠.

(٢) سورة القصص، ٢٨.

(٣) سورة القصص، ٢٨.

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾^(١) : .. فيجب على الأمة في مجموعها ان يكون فيها قوم يبينون سنن الله في خلقه، كما فعلوا في غيرها من العلوم والفنون التي أرشد اليها القران بالإجمال. وبينها العلماء بالتفصيل. عملاً بإرشاده، كالتوحيد والاصول والفقه. والعلم بسنن الله تعالى من اهم العلوم وانفعها. والقرآن يحيل إليه في مواضع كثيرة. وقد دلنا على مأخذه على احوال الامم: اذ أمرنا أن نسير في الارض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها^(٢). ويقول الشيخ محمد عبده: ولا يَحْتَج علينا بعدم تدوين الصحابة لها، فان الصحابة لم يدونوا غير هذا العلم من العلوم الشرعية التي وضعت الأصول والقواعد، وفرع منها الفروع والمسائل.. ولما اختلفت حال العصور اختلافا، احتاجت معه الأمة إلى تدوين علم الاحكام وعلم العقائد وغيرهما: كانت محتاجة الى تدوين هذا العلم. ولك أن تسميه علم السنن الإلهية، أو علم السياسة الدينية. سمّه بما شئت فلا حرج: فالحياء لم تخلق عبثا انما خضعت لسنن وقوانين، وأمر البشر في اجتماعهم وما يعرب فيها من الصراع والتدافع الحضاري. وما يتبع ذلك من الحرب والنزال والملك والسيادة والتداول الحضاري يجري على طريقة قديمة، وقواعد ثابتة: ومن سار على سنن الله، ظفر بالفور وإن كان ملحداً أو وثنيا، ومن تنكبها، خسر وإن كان صديقا أو نبيا. وعلى هذا، يخرج انهزام المسلمين في احد وفي بداية معركة حنين. ويتخرج انهزامهم على الأصعدة المتعددة.^(٣)

هذا المعنى الذي يشير اليه محمد رشيد رضا في تفسير المنار يشغب على كثير من العاملين في المشروع الإسلامي. إذ إنهم يعتقدون أن العلم هو قراءة الفقه واصوله ومدارسه التفسيرية. تم الإعراض عن كل العلوم الأخرى وعن النظر في الكون، وعن التدبير في التاريخ والتجارب الإنسانية، وكل ذلك بحجة قولهم: حسينا كتاب الله وسنة رسوله^(٤). وما دروا ان كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم انما أمرانا

(١) سورة النحل ٣٦.

(٢) انظر « تفسير المنار » للعلامة محمد رشيد رضا، المجلد الأول.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) تناول هذه المقولة بالترح والتحليل في الفصل التمهيدي من كتاب « النهضة.. من الصحوة إلى اليقظة »،

نصف ص ١٠٠

بالنظر. وانظر الى قوله: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾^(١).

ولقد اشار جودت سعيد في كتابه «حتى يغيروا ما بأنفسهم» الى هذا الصنف من الناس، فيقول: .. والمصدر الاساسي للعطالة العقلية هي العقيدة العبتية في الكون: اعتقاد العبت واللعب في الوجود. يقول تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين﴾^(٢). ويقول: ﴿أفحسبتم انما خلقناكم عبثا﴾^(٣). إن العقيدة العبتية في الكون هي عدم رؤية النظام، وعدم رؤية السنن وعلاقة الطاقة المفكرة الانسانية بسنن الكون. هذا هو ظن العبتية في الوجود. هذه الافة ولدت بعد ذلك اجنتها التي نمت وترعرعت وصار لها احفاد وذرية. اذ ما دام الامر يسير على غير سنن نتبعها، فلا جدوى من اعمال الفكر لكشف حل او تغيير الواقع. والقران الكريم يطلب منا علما خارج القران. وذلك بالسير والنظر في الارض الى آيات الله المودعة في الافاق والانفس: آيات الافاق والانفس في القران، ولكن مكان طلبها ليس في القران انما في الكون. ومن فقد ملكة العلم، لا يعود يستفيد من ملكة الكتاب وان كانت واضحة بيّنة. ولكن نحن لم نعد نتعامل مع آيات الكتاب المسطور اي: القران ولا مع آيات الافاق التي هي الكتاب المنشور. انما نتعامل مع إنتاج المرعوبين الذين تدور اعينهم خوفا من التبصر. وبدون التبصر تفقد الحياة التي ارادها الله للبشر قيمتها ﴿قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾^(٤)، انتهى كلام جودت سعيد.

مما سبق، يتبين لنا اهمية التعرف الى قوانين النهضة، وانها ليست من نافلة القول، أو من الترف الفكري.

ان الحاجة قد باتت ملحة لتأمل التجربة التاريخية البشرية، لنستقي منها العبرة. ومن خلال هدد الدراسة التاريخية، تم استخلاص هذه القوانين المركزة: والغرض منها تنظيم الخارطة الذهنية لقادة النهضة والعاملين فيها.

وقد تم اختيار هذه القوانين، لان الامة اليوم في امس الحاجة إليها: فهناك قصور

(١) سورة القصص: ٢٥

(٢) سورة المؤمنون: ١٢٢

(٣) سورة المؤمنون: ١٢٢

(٤) سورة البقرة: ١٣٥

ملحوظ في مفهوم الأفكار المركزية، وطبيعتها ودورها، وعلاقتها بالفكرة المحفزة. وهناك قصور في معرفة دور المحور النفسي وأثره الكبير في النجاح أو الفشل. وهناك تشوّه في فهم الدور الوظيفي لسراخ إنجاح الفكرة ودور كل شريحة: أين يبدأ؟ وأين ينتهي؟. وهناك أفكار معيقة في التربية حول دورها وحدود أثرها. وهناك غياب لمفهوم المؤشرات الحساسة وأهميتها في بيان التقدم أو التراجع في المسير. وهناك صورة ونظرة ضيقة لمفاهيم التدافع ووسائله والتداول والفرصة التاريخية وبناء السيناريوهات. كما أن هناك ارتباكاً في تصور أوضاع مرحلة ما بعد التمكين واحتياجاتها. وهذه القوانين تشكل بعض ملامح الإجابة على هذه الاختلالات.

إن القائد العامل في مجال النهضة والتمكين لا غنى له عن فهم هذه القوانين واستيعابها؛ فهي ليست كتابة إنسانية بلاغية، بل هي أدوات عمل وتحرك نهضوي. كما أن المرء العامل المفكر الجريء المنتج حري به قراءتها وتدبرها حتى يقوم ما يطرح عليه من مقولات وما يعرض عليه من مسارات عمل، فينتقي لنفسه ويقدر دوره.

والتعامل مع هذه القوانين يتم على مستويين:

فعلى مستوى الفرد، يتم تصحيح خارطته المفاهيمية والتصورية، فيحسن التلقي والعمل.

وعلى مستوى القادة والحركات النهضوية، تعلم متطلبات إنجاز مشروع النهضة وشروط تحقيقه، فلا ندور عجلة العمل بالسير في المكان واجهاد الجسد من غير تقدم للأمام.

لقد راعينا في هذه القوانين التبسيط لضمان وصولها لأكثر السراخ ولاوسع قاعدة من المستفيدين. وتسعة من هذه القوانين تتحدث عن مرحلة ما قبل الدولة وإن كان أثر أغلبها مستمراً وجوهرياً بعد الدولة، بينما يتحدث القانون العاشر عن مستلزمات النجاح في حالة ما بعد الدولة والتمكين، وذلك حتى تتكامل الصورة في ذهن العاملين عن مستلزمات النجاح.

ونحب أن نوضح أن هذه القوانين ليست كل قوانين النهضة، بل هي مجموعة منتقاة، نعرضها بشكل ميسر، ونوضح كيفية التعامل معها، وعلى قائد النهضة أن

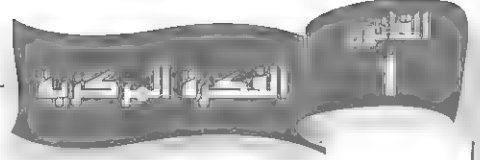
يُعمل عقله وفكره. لاستخلاص القوانين الأخرى من الكون ومن التجارب التاريخية. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

انها فرصة لتفعيل عبادة التفكير، سواء كانت تفكرا في القرآن وتجارب السابقين، أو في التجارب التاريخية، أو في الكون المنظور والواقع القريب. وكذلك فرصة لتفعيل عبادة الصلاة وتلاوة القرآن. من خلال التدبر فيهما، لاستخلاص القوانين التي جاءت في معرض ذكر تعامل الله مع الامم السابقة، أو في بعض الايات التي أجملت بعض القوانين إجمالاً.

القانون

1

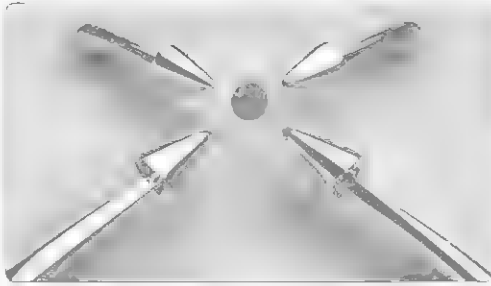
الفكرة المركزية



مشطوق القانون

« لكل نهضة فكرة مركزية وفكرة محفزة »

مفردات القانون



• **الفكرة المركزية:** هي عبارة عن مجموعة المبادئ العامة التي تعتمد عليها أي دعوة أو حركة أو تجمع. تتكون الفكرة المركزية في النظام الإسلامي مثلاً من جزأين. وإذا تبنت حركة ما أو دولة ما

فكرة مركزية بعينها، يصبح دور الفكرة هو صياغة كل مظاهر الحياة وفقها، وتصبح هي محور حركة الداعين إليها أو إلى الدولة التي تتبناها.

• **الأفكار المحفزة:** وتعالج مشكلة محسوسة بشكل مباشر للمخاطبين بالفعل، وتربط ذلك بشكل أو بآخر بالفكرة المركزية. وتخاطب في المدعوين البواعث الداخلية النفسية الدفينة: كالعزة الدينية، والانتصار لمبادئ الإله، أو العزة القومية التي تخاطب المجد والسودد، وكالمثالية التي تريد حث الفقراء لمداغة الظلم وتحقيق المساواة. وبذلك، تصبح الفكرة المحفزة هي المحور الذي يتم استقطاب الناس من خلاله.

المهمة القانونية

هو أول قانون يجب دراسته دراسة جيدة حيث إن تحديد مفرداته يعني:

١- تحديد ضوابط ومنطلقات العمل النهضوي.

٢- تحديد شكل النهضة المنشودة.

٣- تحديد خطاب وفكرة الحشد الجماهيري.

ونحسب أن كثيراً من العاملين في مجال النهضة اليوم ليس لديهم تصور واضح للفكرة المركزية وأثرها على التدافع القائم، ولم يضعوا أيديهم على الفكرة المحفزة التي تلمس أوتار قلوب وعقول المخاطبين، وتدفعهم للمشاركة وبذل الجهد. فظلت الحركات والأحزاب والحكومات عاجزة عن تفعيل طاقات الجماهير في المشاركة الفاعلة في التغيير والتنمية.

الفكرة المركزية

■ ما المقصود بالفكرة المركزية في النهضة؟

إذا نظرنا إلى الحراك الضخم الذي أحدثته الإسلام في الجزيرة العربية ابتداءً ثم في بقية أنحاء العالم، لوجدنا أن قلب هذا الحراك ومحركه الأساسي هو الإسلام. وإذا نظرنا إلى الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية والدول التي دارت في فلكهما، لوجدنا أن محركاً كبيراً مثل قلب تلك الحركة؛ هذا المحرك هو الفكرة الشيوعية. ثم إذا نظرنا إلى حركة المنظومة الغربية، فسنجد في قلبها الفكرة الليبرالية.

■ مواصفات الفكرة المركزية:

- ١- تتجسد في أيديولوجيا قادرة على صبغ كل مجالات الدولة بها.
- ٢- قادرة على التعامل مع المتغيرات المستمرة.
- ٣- مركبة، بحيث لا يفهمها بدقائقها عامة الناس بسهولة. فلا يلم بها إماماً جيداً إلا المثقفون وقادة الرأي.

مواصفات الفكرة المركزية



فالفكرة المركزية في جوهرها تمثل مجموعة من المسلمات والعقائد التي يُبنى عليها نظام القيم، ويصطبغ بها نظام المجتمع الأساسي ونظمه.

■ مكونات الفكرة المركزية الإسلامية:

تتكون الفكرة المركزية من جزئين:

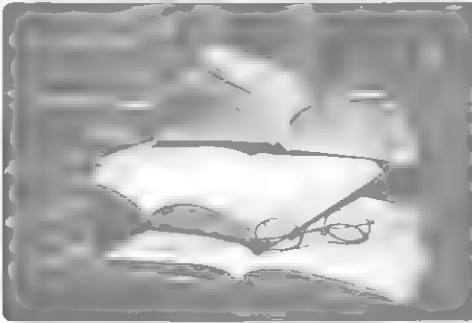
- ١- جزء صلب: وهو الذي يعطي الوصف للفكرة.
- ٢- جزء مرن: وهو الذي يستجيب لاحتياجات كل مجتمع وخصائصه.

١- جزء صلب: ويتمثل في الفكرة المركزية الإسلامية في العقيدة بأركانها الستة على وجه الإجمال. وفي العبادة بالصلاة والزكاة والصيام والحج. وفي العموم كل مستلزمات الشهادتين من فرائض وغيرها. ويدخل في هذا الجزء المعلوم من الدين بالضرورة. وهو الذي يشكل المرجعية الأساسية.

٢- جزء مرن: تركه الشارع، وهو على نوعين:

• ما يتراوح فيه الحكم بين خيارات محدودة: وهي معظم قضايا الفقه التي جاءت بها النصوص، مثل: الخلاف حول معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾^(١)، هل يدخل الوجه في إطار هذا الحكم كما يرى القائلون بوجوب النقاب أو لا يدخل كما قال المخالفون لهم؟ وبالتالي. فمساحة الخلاف محصورة في هذين الرأيين.

• الوقائع التي لا نص فيها: وهي ما يطلق عليها منطقة العفو التشريعي، حيث يدور الحكم مع تحقيق المصلحة، كما هو مقرر في كتب الأصول، ولكنه مؤطر بمقاصد الشريعة وكمالياتها، مثل: قضية أليات الحكم وأشكاله، وغير ذلك.



شاعى الأفكار المركزية

ولناخذ أمثلة على الأفكار المركزية التي طرحت:

أولاً: الفكرة الليبرالية:



يقوم جوهر الفكرة الليبرالية على الفردية. بمعنى أنها تنطلق من فكرة، مفادها: أن هناك عدم توازن بين سلطات الدولة وحقوق الأفراد، وأن الدولة تسعى - وباستمرار - للتغول واستقطاع حقوق الأفراد، وتنتقص من حرياتهم. وبالتالي، فالمبدأ الفردي يقوم على إعطاء أقصى قدر من الحريات للفرد، وحمايته من تغول الدولة على حقوقه، وطفيان وتقديم مصلحة الفرد على المجتمع.

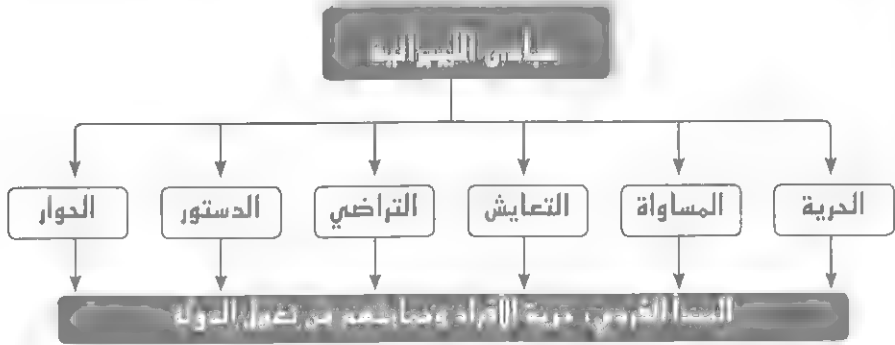
والليبرالية قوامها دنيوي، أي: لا تهتم بالبعد الغيبي؛ فليست هناك مرجعيات غيبية

مقدسة يمكن الرجوع إليها، بل هناك اعمال المفكرين وما يتفق الناس على كونه صالحا ليتعايشوا به.

وقد انعكس هذا الفهم على عدد من الامور: فمبدأ الليبرالية الثاني، وهو الحرية، قاد إلى الاهتمام الشديد بتقليص سلطات الدولة، وإطلاق الحريات للناس بشكل كبير. فطرحت الليبرالية تخليص المرأة من سيطرة الزوج والأسرة، وتخليص الأبناء في سن مبكرة من سيطرة الاباء، وتخليص الناس من أن يلقنوا الديانات في المدارس، أو ما شابه ذلك.

ومن مبادئ الليبرالية الكبرى المساواة والتعاضد من خلال إعلاء مبدأ العلمانية، فهي ترى أن الناس يمكن أن يتعايشوا رغم الاختلافات ورغم تباين وجهات النظر. وأن هذا التعايش يمكن أن تحل فيه الخلافات بالحوار. وأن المبدأ الأساسي في هذه المجتمعات هو التراضي عبر التصويت، وأن الدستور هو الضامن لما هو متفق عليه،

وأنه يجب أن يكون هناك فصل بين السلطات، بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية.



■ ثانياً: الفكرة الشيوعية:

إذا نظرنا إلى الشيوعية، فسنجد أن قلب الفكرة الشيوعية يقوم على تقليص دور الفرد لصالح المجموع. فبحجة حماية مصالح العمال، والمصلحة العامة، والقضاء على الطبقة الرأسمالية، وعلى الاقطاع، وعلى استغلال الإنسان؛ تقوم الدولة بالسيطرة على جميع مناحي الحياة وتقييد الحريات، ورسم الحوارات المقننة، وتعريف المساواة بطريقة تجعل الإنسان ترسا في آلة الدولة. ولا تقبل الدولة في هذا النظام التعايش إلا بالموافقة على مبادئها والعيش بها. وترى أن التراضي يجب أن يكون بين الطبقة العاملة. وبالتالي، يجب قمع بضية الطبقات. والدستور هو دستور الشعب، ووظيفته ضمان هيمنة العمال.



فالشيوعية تؤمن بالحرية والحوار والمساواة والتعايش والتراضي والدستور، ولكن بتفسير ينصب في مجمله على القضية الرئيسة، ألا وهي تقليص حقوق الفرد لصالح المجموع.

وهكذا. سنجد أمامنا ثلاث افكار مركزية كبرى، تطرح كل منها كلمات، مثل: الحرية والمساواة والتعايش والتراضي والحوار والدستور وغيرها. لكن ما الذي يفرق بين هذه الأفكار؟

الحقيقة أن هذه الكلمات، كالحرية والعدل والمساواة، عندما تجرد بمثل هذا الشكل تسمى مبادئ. وهذه المبادئ في حد ذاتها ليست موضع خلاف، ولكن مفهومها^(١) يتحدد من خلال الفكرة المركزية التي تصطبغ بها. ومن هنا يأتي الخلاف. ولنفهم هذا الموضوع، نضرب مثلا بالحرية. وابتداءً نطرح هذه التساؤلات:

- متى تمنح الحرية؟
- كيف تمنح؟
- ما هي السعة التي يتحرك فيها الإنسان؟
- من يحدد هذا السقف؟

فسنجد أن هذا السقف في الاسلام يحدده الله سبحانه وتعالى، بينما يحدده الإنسان في كل من الشيوعية والليبرالية.

إن الاطار المرجعي أو الفكرة المركزية لكل مجتمع أو لكل أمة من الأمم هو الذي يصبغ هذه المفاهيم بصبغته، ويكوّن التصورات لدى هذه الأمم عن تلك المفاهيم. والإطار المرجعي لدى الغرب يتمثل في فكرة الليبرالية. ولدى المجتمعات الشيوعية يتمثل في الماركسية. ويتمثل في الإسلام لدى المجتمعات المسلمة. وهكذا... وهذا الإطار المرجعي هو من صنع الإنسان في الشيوعية والليبرالية، أما لدى المجتمعات المسلمة، فإنه من الوحي.

إذاً قال قائل: إن هناك مفاهيم كثيرة في التراث الإسلامي تشعب على نصاعة الإسلام، وعلى صورته الوردية التي يرسمها دعاة الإسلام!!

نقول له: إنه لا يلغي الفكرة الإسلامية بعض الأفكار أو المفاهيم التي دخلت على الفكرة الرئيسية عبر القرون المتطاولة، بل يجب إزالة هذه الحشائش الضارة من هذا التراث

(١) مفهوم مصطلح، يعني لدى إحدى حركات النقط في الأذهان. مثل (مكة) عرس من حجاب، فهي تميز في لدى عبادة وتحدث إلى عافيا، مثل (مادة) فهي سر في لدى فكرة عدمه من مساحة كنه ذات الأرض. فيها، فيه وشيوخ وسكان و... إلى ذلك مما هو متوفر في كل مدينة. «عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، ص ٤». ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة»، دار القلم، دمشق.

الضخم، وان يؤخذ منه ما هو متفق مع نصوص الإسلام الصحيحة السليمة، وما هو متفق مع أسمى وأنبى ما في البشرية من أخلاق وقيم انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق..

■ الإسلام فكرة مركزية من باب الدين و المصلحة :

نحب أن نوضح لكل تيارات الامة أن اختيارنا للفكرة المركزية في مجتمعاتنا الإسلامية ليس فقط من باب الدين وان كان هذا هو غاية المنى وأسمى اختيار . انما هو ايضا من باب المصلحة. فعلماء الإدارة حين يتحدثون عن التنمية والتغيير في المنظمات والمؤسسات والدول. ينصحون بأن يكون التغيير متفقا مع المنظومة القيمية الأساسية داخل هذه المنظمة. وأنه في حالة اختيار منظومة قيمية نقيضة للمنظومة السائدة في هذه البيئة، فإن حركة المقاومة ستكون اشد واعنف. وبالتالي، فإن اختيار الاسلام كفكرة مركزية في مجتمعاتنا الإسلامية يسهل عملية التنمية والتغيير. كما ان الاسلام كعاطفة قوية في مجتمعاتنا كضيل بتحريك الشعوب وتحفيزهم للعمل والنهوض من أجل تحصيل الجزاء الآخروي.

ولقد فطن المخططون لقيام دولة إسرائيل إلى هذا الأمر. فرغم انهم كانوا علمانيين الا أنهم اختاروا فكرة مركزية دينية تقول بضرورة اجتماع اليهود على ارض الميعاد (أرض فلسطين). وعززوا الخطاب الديني لحشد اليهود من كل اقطار العالم. وسموا دولتهم اسرائيل وهو نبي الله يعقوب، فكان اسم الدولة اسما دينيا، وبذلك فقد اختاروا الخطاب الديني من باب المصلحة.

ان الشيء الذي يجب الا يكون محل خلاف هو أنه كلما كانت الفكرة المركزية لعملية التغيير متفقة مع المنظومة القيمية في المجتمع المراد تغييره، كلما كانت عملية التغيير أسرع وأنجح.

إذا تبين لنا ذلك ورأينا أن المجتمعات الإسلامية تعمل جاهدة على الخروج من حالة الرقود والسكون الى حالة الحركة والتغيير، عرفنا أنها تحتاج الى اختيار فكرتها المركزية. وهى قد اختارت بالفعل في مجموعها فكرتها المركزية، ولكن قوى الردة والمقاومة ما زالت تقاوم الفكرة المركزية الإسلامية. بل وتدفعها وتؤجلها، وتضربها وتؤخرها، لكنها قادمة بإذن الله - سبحانه وتعالى -.

إن سرعة اختيارنا للإسلام، كفكرة مركزية، يوفر علينا الام التجارب الفاشلة التي قد نمر بها ونحن نحاول استنبات أفكار أخرى في مجتمعاتنا. ونحن قد عانينا بالفعل من هذه التجارب الفاشلة منذ ميلاد حركة النهضة في المجتمعات الإسلامية. ولا زالت تمارس حتى اليوم تجارب تلو تجارب، وأفكار تلو أفكار. وكلها تصطدم بالمنظومة القيمية المترسخة في مجتمعاتنا الإسلامية. وتكون النتيجة - بعد عقود من الزمن خسائر وهزائم ونكسات وتراجعات.

مما سبق، يتبين لنا أن كل عملية استنهاض في جوهرها تتبنى ما يمكن أن نطلق عليه فكرتها المركزية. ولكن هذه الفكرة المركزية لا تقوم بتحريك الناس مباشرة، فهي تحتاج إلى عامل آخر مكمل، يمكن أن نطلق عليه الفكرة المحفزة.

الفكرة المحفزة

وجوهرها وجود قضية
محورية تمس حياة الناس
مباشرة. وهي تؤسس
خطابها على البواعث
الداخلية النفسية الدفينة،
كالعزة الدينية، والانتصار
لمبادئ الإله، أو العزة القومية
التي تخاطب المجد والسؤدد،
| وكالمثالية التي تريد حث
الفقراء لمداقة الظلم



وتحفيز المساواة. ولكنها تتبنى قضية ملموسة بالنسبة للجمهور المخاطب. وتصبح الفكرة المحفزة هي المحور الذي يتم التركيز عليه لاستقطاب الناس من خلال مخاطبة المعاني الدفينة. وطرح القضية المحسوسة الملموسة التي تقع في المجال الذي يرى فيه الفرد العادي دوره واضحا وحاجته إليه ماسة. فيلتف الناس حول هذه الفكرة وينصرونها ويبدلون في سبيلها الغالي والنفيس.

إن الفكرة المركزية وحدها ليست كافية لتحريك الشرائح العظمى من الجماهير. بل لا بد أن يصحبها فكرة محفزة من صلب الفكرة المركزية، وتبنى على تراثها. فموسى عليه السلام حرك قومه للخلاص من الاضطهاد بحلم الوصول إلى أرض العسل واللبن، أرض فلسطين. والرسول صلى الله عليه وسلم حرك المؤمنين للخروج من جور الأديان إلى عدل الإسلام، في واقع كان الظلم فيه سائداً، والمصلحون والتوار حركوا شعوبهم من خلال تبني قضايا تمس احتياجات المجتمع، وصاغوا منها خطاباً حاشداً للطاقتين واضحا غير معقد.

فهذا مارتن لوتر كينج يقود حركة السود في أمريكا بطرح مطالب يستشعرها السود، وتتفق مع قيم المجتمع الأساسية: وهي قضية المساواة. وقل ذلك على نيلسون مانديلا وعن حركات التحرير وحركات التنمية المركزة في الصين، حيث الشعور القومي يطالب بصين موحدة مكتفية حرة، لها مكانتها بين الدول، وفلاحون فقراء يستشعرون الظلم الاجتماعي يريدون نصيبهم من التنمية والثروة.

■ مواصفات الفكرة المحفزة:

- ١- فكرة مستقاة من الفكرة المركزية ومنطقتاتها.
- ٢- فكرة غير مركبة، وبسيطة جداً تستوعبها عموم الجماهير. مثل الفكرة المحفزة لخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي عبر عنه ربي بن عامر: «جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.. أو لمحمد بن علي مؤسس الدولة العباسية: «الحكم للرضا من آل البيت.. أو للشيوعية حين رفعت شعارات: «نريد خبزاً..» «اتحدوا يا عمال الأرض.. أو لليهود: فلسطين أرض الميعاد.. إن لمس حاجة المستهدين بالخطاب هو أحد أهم مفردات النجاح.
- ٣- فكرة تتعلق بصورة مباشرة بقضايا الناس وهمومهم. ولذلك، كان المستجيبون لدعوات الأنبياء والرسل والمصلحين في بداية دعواتهم هم ضعاف القوم الذين يجدون في الفكرة مخرجاً لهم، فيتحملون ويبدلون من أجلها.

مواصفات الفكرة المحفزة

تتعلق بصورة مباشرة
بقضايا الناس

غير مركبة
تستوعبها الجماهير

مستقاة من
الفكرة المركزية

■ ماذا لو غابت الفكرة المحفزة؟!

ان من أهم الاشياء التي يجب ان ينتبه اليها القائد أن تظل الفكرة المحفزة مستعرة في نفوس انصاره. وان يذكرهم بها ويؤكد عليها. أما اذا غابت الفكرة المحفزة عن اعين الانصار، فانهم يتفقدون وينمضون ويسامون: فالفكرة المركزية ليست في حد ذاتها كفيلة بالحفاظ على حماس الجموع المحتشدة.

ان من اخطر الاخطاء التي قد يقع فيها قادة منسروع النهضة هي اعتمادهم على الفكرة المركزية في حشد الجماهير دون اختيار الفكرة المحفزة التي تلتقي مع تطلعات هؤلاء الجماهير. وتضمن استمرار الحشد. وتعطى للعمل اليومي معناد.

■ ما هي الفكرة المحفزة التي تتوفر لدينا اليوم. ويمكن أن تفجر بها طاقات الأمة؟

لا توجد اليوم امه الا وتخلق لها تحديا يحفزها على النمو والتطور. وانظر الى المنظومة الغربية عندما كانت تصطدم مع المنظومة الشيوعية. وكانت تجعل هذا حافزا على التطوير والتصنيع والتنافس. وهكذا. كان الخطر الشيوعي يضحك في بلاد الغرب. لكي يتم استغلال اكبر قدر من الطاقات في هذه المجتمعات لعملية التحدي والارتفاع. مع ان كبيرين من المنظرين كانوا يعلمون ان هدد الكتلة كانت تتهاوى وتتراجع. وان ملكاتها وقدراتها ليست على تلك الكفاءة من الابداع.

ولكن استمرت عملية التحدي الى ان سقط الاتحاد السوفيتي. وسقطت معه المنظومة الشيوعية فبدأ البحث عن تحد آخر يمكن ان يشكل حافزا لهم. فتكلموا عن الخطر الاخضر (الاسلامي). ونموا هذه الفكرة وطوروها. وبنوا لها المعاهد ودارت عجلة البحوث.

هل نحتاج إلى خلق تحديات؟

ان عملية استنهاض طاقات أمة من الأمم تصبح في بعض الاحيان مسألة فنية تقنية. يعكف عليها العلماء والمفكرون، حتى يوجدوا تحديا مناسباً لمجتمع من المجتمعات. ونحن في واقعنا لا نحتاج خلق التحديات؛ فالتحديات قائمة في مجتمعاتنا وفي مواجھتنا. وما زالت ثلاثية ' التحرر والنهضة والوحدة من أكبر المحفزات التي يمكن الاستفادة منها لإعادة بناء هدد المجتمعات، وتفجير طاقاتها. ولكن تكييفها وطرحها في الخطاب يحتاج الى معرفة ارتباطاتها بالقضية القطرية المحلية، حيث إن نقطة الانطلاق العملية لا تتم بخطاب لا يلمس الاحتياجات المحلية لكل قطر. وعلى الحركات والاحزاب والدول ان تختار خطابها الداخلي المضجر والحاشد للطاقات. لتوظفه في عملية النهوض والبناء.

ان امتنا تتوفر لديها فكرة مركزية قوية لو أحسن التعامل معها، وفكرة محفزة قائمة يمكن البناء عليها في اطلاق طاقات مجتمعاتنا للنهوض بها، واستخراج أكبر ما عند الإنسان من جهد، ومن مخزون مهاري وعقلي وعلمي، و عبر استخدام هذا القانون استخداما مدروسا.

ان تكييف الخطاب السياسي العام انطلاقا من القضايا البلات الكبرى: الحرية والوحدة والتنمية، يعني: الانتفال بنا الى صياغة وطرح يمس الام الشعوب، واليوم يمكن ان تطرح نفس المواضيع من خلال شعار، مثل: وحدة المصير، حيث يرى كل العملاء ان مشاريع الخلاص الفردي لن تجدي، وان روح المرحلة هي فكرة وحدة المصير. وهذه او غيرها قد تشكل قاعدة انطلاق للاحتشاد العام في الحالة الكلية للامة.

اما الحالات القطرية، فلكل منها خصوصيته مع وجود اوجه تشابه كبيرة بين الاقطار. وتستطيع ان تبني من القوى الفاعلة سواء كانت حركات أو احزابا او دولا قضية محفزة محورية يخاطب الجماهير بها، حتى يمكن اطلاقها في ساحة الفعل النهضوي في المجتمع.

(١) ان هذا الموضوع من الموضوعات التي تم تناولها في الندوة التي نظمتها جامعة القاهرة في شهر كانون الثاني ١٩٩٠م.

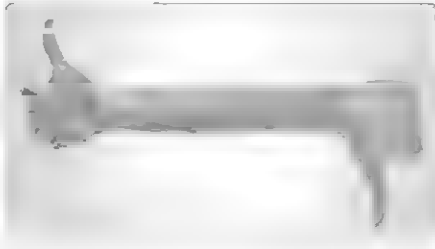
المصدر: مجلة الفكر، ص ١٠٠.

المصدر: مجلة الفكر، ص ١٠٠.

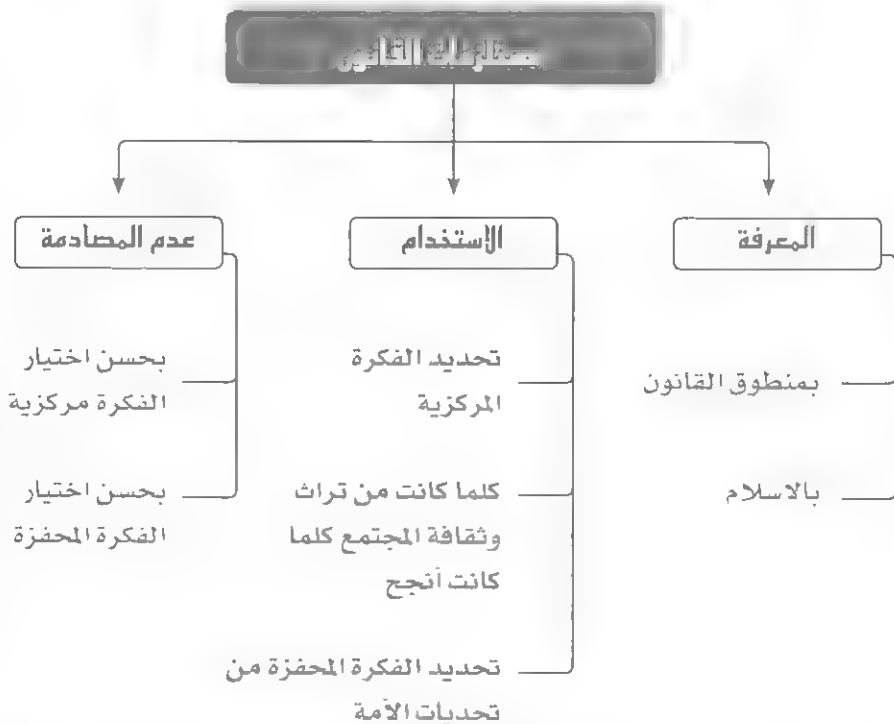
المصدر: مجلة الفكر، ص ١٠٠.

■ عدم المصادمة:

وتتم مصادمة القانون والحصول على نتائج عكسية في حالة:
 • اختيار فكرة مركزية من خارج ثقافة المجتمع (محاولة استنبات الليبرالية
 والتشيعوية في بلاد الإسلام).



• اختيار فكرة محفزة لا تتعلق
 باحتياجات الجماهير وتطلعاتهم
 المحسوسة (برنامج سياسي لا يلامس
 الواقع).



ملامح القانون

- فكرة مركزية = أيديولوجيا تصبغ كل مجالات الدولة.
- فكرة مركزية = جزء صلب + جزء مرن.
- فكرة مركزية + فكرة محفزة = نجاح على مستوى الحشد.
- فكرة مركزية - فكرة محفزة = تفلت جماهيري.

القانون

2

المحنة النفسية

(القوة الدافعة)

مطلوب القانون

«لا تغيير إلا إذا حدث تغيير إيجابي في عالم المشاعر»

مقدمة القانون

التغيير:

عملية التغيير هي انتقال وضع ما، من حال إلى حال آخر. وهذا الانتقال يستلزم ثلاثة أمور:

- أولاً: أن نحدد بشكل علمي ماهية الحالة التي ننطلق منها.
- ثانياً: أن نحدد ماهية الحالة المطلوب بلوغها أو الوصول إليها.
- ثالثاً: يستلزم بعد ذلك قياس الحالة التي نتجت عن تدخلات قادة وطلاب النهضة لمعالجة الواقع.⁽¹⁾

تغيير إيجابي في عالم المشاعر: من السلبية والاحساس باليأس إلى التفاؤل والإنجاز والشعور المتجدد بالحياة.

أهمية القانون



هناك فرق بين تمنى شيء ما والاستعداد لتحقيقه. ولا يمكن لشخص أن يكون مستعداً لأمر ما حتى يؤمن أنه يمكنه الحصول عليه. وهذا القانون يحقق البعث النفسي للأمة، والذي يُحوّل بدوره الأفكار إلى ما يماثلها مادياً، فتحوّل النهضة من فكرة إلى حقيقة ملموسة.

(1) من كتاب: النهضة من الفوضى إلى النظام، ص 10.

شروط الصحة النفسية

ونستعير كلام البنا^(١) عن أهم مظاهر الحالة النفسية للأمة في رسالة «دعوتنا بقوله: «ياس قاتل، وخمول مميت، وجبن فاضح، وذلة حقيرة، وخنوثة فاشية، وشح وأنانية». وهذه الحالة النفسية لا يمكن أن تحدث تغييراً أو تحولاً في الأمة، اللهم إلا التغييرات والتحويلات السلبية. فإذا كانت الخطوة الأولى التي يجب أن يخطوها قادة وطلاب النهضة هي تحديد الفكرة المركزية والفكرة المحفزة، فإن الخطوة الثانية تكمن في البعث النفسي لهذه الأمة، وفي أحداث تغيير إيجابي في عالم مشاعرها. وهذا البعث النفسي أو القوة الدافعة أو المكنة النفسية له ثلاثة شروط أساسية ليحول الفكرة المركزية إلى حركة وواقع:

١- الإيمان بالفكرة والمشروع - أي: القناعة العقلية والقلبية بالفكرة والمشروع وإمكانية نجاحه -:

- إيماننا يحول دون التشكيك فيه والانحراف عنه.
- إيماننا يولد في النفس شعوراً بصوابها، وقدرتها على مواجهة الواقع، ومواجهة الاحتياجات.
- أن تتحول فينا الفكرة المركزية إلى فكرة مرجعية، يقاس عليها الصواب والخطأ، فالإيمان بالفكرة يجب أن يتسبب في نفوس المجتمعات وأن يعزز. وكذلك الإيمان بصدرة هذه المجتمعات وبصلاحيتها وبأحقيتها في أن تتبوأ مركزها بين الأمم.

٢- العزة: الشعور بسمو الفكرة عما سواها من الأفكار:

أن ينتشر الاعتزاز بالإسلام، ومظاهره، وأشكاله، ومبادئه، ومفاهيمه. ويجب أن يسود الاعتزاز بجوهر الإسلام وهو التوحيد لله والعدل في الأرض. وأن ينعكس ذلك على المظاهر الخارجية والسلوك. وهما الدليل على قوة الالتزام بجوهر الإسلام: فيجب التمييز في أنماط الحياة فيما نحب وما نكره، في الاهتمام بالحرية والعدل في

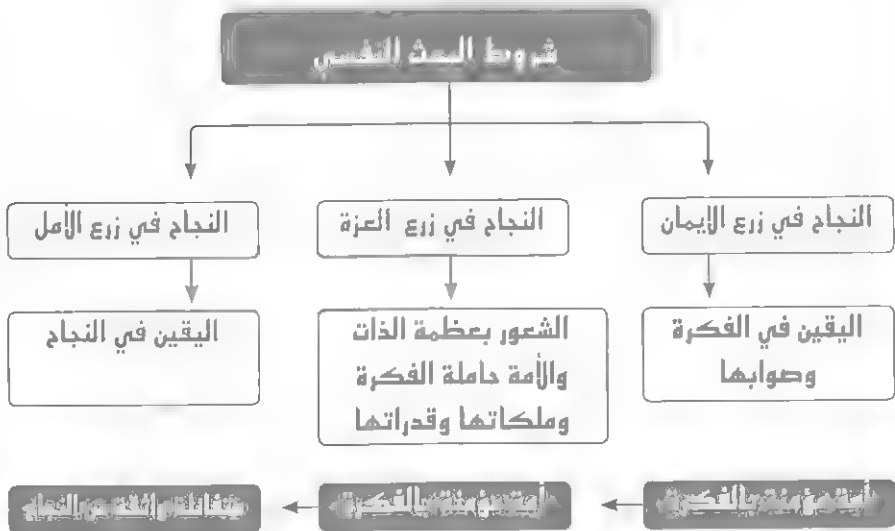
(١) البنا: حسن البنا المصالح الإسلامي المعروف ومؤسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر.

حياتنا، والاعتزاز بالفكرة في أعيادنا وأشكالنا واحتفالاتنا وملابسنا. وقد جاء القرآن ليكرم الأمة ويبعث فيها العزة. يقول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١).

٣- الأمل:

وهو النافذة الكبيرة التي نفتحها للناس، ليروا أن المستقبل سيكون زاهرا، وأن نهضة امتنا ستتحقق بإذن الله. ومصادقية هذا الأمر أن تحتسد الأمة في حركة وعمل ومشاريع.

وقد أكد الله في مواضع كثيرة على أن الغلبة لا ولياته والنصرة لهم، ليبعث في الأمة الأمل واليقين بتحقيق النصر. يقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).



(١) آل عمران: ١١٠

(٢) البور: ٥٥

قوانين البحث النفسي

- **مظاهر الإيمان بالفكرة:** هو جعلها أي: الفكرة مقياسا، والحكم بالصواب أو الخطأ على أساسها والعمل النشط لها.
- **مظاهر العزة:** تكمن في تغيير انماط الحياة تبعا للفكرة وتغليبها على ما سواها، سواء في العدل في الأحكام أو في اللغة وسائر أوجه البقاة والمعرفة.
- **مظاهر الأمل:** ظهور الروح الإيجابية، والاقبال على العمل.

كيف قام الغرب بزرع المكنة النفسية؟

عندما ادرك قادة الغرب أهمية البحث النفسي لمجتمعاتهم، قاموا بزراعة المكنة النفسية على مسارين:

• الأول: إعادة قراءة التاريخ وعرضه.

حيث قاموا بتقزيم دور الحضارات المشرقية، والمرور عليها مروراً سريعاً رغم أن الحضارة الإسلامية وحدها امتدت عشرة قرون، كان الغرب خلالها في حالة تخلف شديدة : بحيث يُخيل إلى الطالب الأوروبي أن العرب هو منبع الحضارة طيلة العصور^(١).

• الثاني: عمل تراكم في الإنجازات العملية.

- إسبانيا تطرد المسلمين من الأندلس فترتفع الروح المعنوية للغرب (١٤٩٢م).
- اكتشاف الأمريكتين (مدن الذهب) الذي دفع كل الطموحين للذهاب إلى هناك.
- اكتشاف رأس الرجاء الصالح (طريق الحرير الجديد).
- حركة الترجمة التي أعقبت الحروب الصليبية والاتصال بعلوم المسلمين.
- التحولات العلمية والمخترعات الكبرى، مثل: اختراع آلة النسيج (١٧٦٨م)، واستخدام البخار (١٧٦٩م)، حتى اختراع الضوء الكهربائي (١٨٧٩م).

(١) هكذا أصبح من المعتاد عند الغرب في كتاباتهم "البحر" من صفحة ١٠٠ صفحة ١٠٠٠



كيف قام الرسول صلى الله عليه وسلم بعملية البعث النفسى في مكة؟
 سار الرسول صلى الله عليه وسلم على نفس المسارين في عملية البعث النفسى للأمة العربية:

١ - إعادة عرض التاريخ: وقد تم ذلك على محورين:

• الأول: من خلال عرض مسار الانبياء من لدن ادم وحتى مبعثه صلى الله عليه وسلم. وعرض امجادهم وانتصاراتهم، ثم الاشارة الى الخط المتصل بين هذا المسار مسار الأنبياء وبين الذين اتبعوه، وانهم لا شك منتصرون كما انتصر اسلافهم. فجعل خطا رابطا متصلا من لدن ادم حتى صحابته واتباعه. وقد تم كل هذا العرض من خلال القرآن الكريم والاحاديث الشريفة.

- **والثاني:** من خلال سحب الشرعية من أهل الكتاب والمشركون وبيان الاسباب.
- **والثالث:** إعادة النظر في المواقف لإبراز الجانب الباعث للامل فيها: ففي قصة اصحاب الاخدود مثلاً تم الإعلان عن انتصار المؤمنين رغم القضاء عليهم. على اعتبار أن التبات على الفكرة نصر في بعض مراحل الصراع. لأنه جولة في طريق النصر الذي قال عنه الله عز وجل : ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾^(١). وقوله جل وعلا : ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ • بِنَصْرِ اللَّهِ﴾^(٢). وهنا النصر بمعناه المعروف. اي: التمكن.

٢- عمل تراكم في الإنجازات العملية وحسن عرضها: وقد تم ذلك من خلال عدة أشكال:

- التحرك المستمر بالقضية ونقلها من طور الى طور: فمن السرية الى العلانية. ومن الاتصالات بالداخل الى البحث عن الحلفاء في الخارج. ومن التجمع الكمي إلى البحث عن النوعيات الخاصة لتقدم المشروع. ومن التضييق في الداخل إلى استخدام البدائل المتاحة في الوسط المحيط لاحداث انفراجات. فكان اسلام عمر نقلة نوعية. وكذلك اسلام حمزة. ثم الهجرة الى الحبشة. ثم كانت محاولات القائد المتابعة لعرض الاسلام على القبائل وطلب النصرة دافعا للتابع الدين يرون ان قيادتهم لم تستسلم للاعداء حتى ولو لم تكلل هذه المحاولات بالنجاح.

- تنوع الخطاب واستخدام الدعاية: فالكلام في زمن الصمت يعد فعلا قويا يحفز الجماهير. لذلك. كان القرآن يتنزل في مكة رغم التضييق ليحسد الراي العام المرتقب بخطاب قوي واضح: فكان إعلاما قويا ضد ائمة الجاهلية ﴿تَبَّتْ يَدَا ابْنِي لَهَبٍ وَتَبَّ • مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ • سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ • وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ • فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾^(٣). كذلك خاطب الوليد بن المغيرة خطابا قويا: ﴿سَنَسْمُهُ عَلَى الْخَرْطُومِ﴾^(٤) وقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا • وَجَعَلْتَ لَهُ

(١) الفتح: ٣

(٢) الروم: ٥٤.

(٣) سورة المسد.

(٤) سورة القم: ١٦

مَلا مَمْدُودَا • وَبَيْنَ شُهُودَا • وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمْهِيدَا • ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ • كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١﴾ سَأَرْهَقُهُ صَغُورًا ﴿٢﴾.

إن هذا الخطاب الواضح في عهد الاستضعاف، رغم أنه لا يتعدى أن يكون قولاً؛ إلا أنه يتحول عند الرأي العام إلى فعل وأي فعل. فالكلام في زمن السكون فعل، حيث إن قليلين هم الذين يتحدثون^(١).

وإذا نظرنا إلى شروط البعث النفسي الثلاثة (الإيمان والعزة والأمل) ومعايير تحقيقها على أرض الواقع، فس نجد الإسلام قد غير الروح المعنوية للأمة في مواجهة الآخرين، ببعث المشاعر الثلاثة من خلال:

- الإيمان برسالة الأمة.
- والاعتزاز باعتناقها والانتماء للأمة.
- ثم الأمل في تأييد الله لها.
- كما س نجد اليابانيين عملوا على بعث شعورهم في عصرنا الحديث من خلال:
- الإيمان بقدراتهم.
- والاعتزاز بشعبهم.
- ثم الأمل في أن يصبحوا القوة الأولى.
- وكذلك الألمان في عصرنا عملوا لبعث شعورهم على نفس المحاور:
- الإيمان بقدرتهم على النصر.
- الاعتزاز بتفوق العرق الآري.
- الأمل في أن يصبحوا إمبراطورية عظمى.
- ولننظر كذلك إلى بعث شعور اليهود بقوميتهم على نفس المحاور، كجزء من المشروع الصهيوني.

ولننظر إلى المكنة النفسية الأمريكية اليوم وما تحاول أن تفعله. ولكن هل تتم عملية البعث النفسي بهذه السهولة أم إنها تجد من الصعوبات ما يجعل تحقيقها من أشق خطوات الفعل النهضوي؟

(١) سورة المدثر: من ١١ - ١٧

(٢) يقول محمد عبد القادر حاتم في كتابه «الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية»: «من الناحية العامة، فإن رأيي ينحصر في تحديد صحة أحداث كثر لم يقرر سببها، بل ثبت أنها لا تحدث. أقول ذاتها على اعتبار أنها أحداث».

السياسة النفسية



إن ساحة الفعل التهضوي مليئة بالصراعات والمتناقضات؛ ففيها الصديق، والمتحالف، والمحايد، والخصم. وينفس القدر الذي نحاول به بعث المكنة النفسية في مجتمعاتنا، يستخدم الخصم الحرب النفسية لتحطيم هذه المشاعر الثلاثة (الإيمان والعزة والأمل).

يقول احمد نوفل في كتابه «الإشاعة»: «...الحرب النفسية هي الاستخدام المحقق للدعاية، أو ما ينتمي اليها من الاجراءات الموجهة للدول المعادية أو المحايدة أو الصديفة. بهدف التأثير على عواطف وافكار وسلوك شعوب هذه الدول بما يحقق للدولة المواجهة أهدافها...»^(١)

ادن، هناك طرف معاد يقوم بالدعاية بأسلوب مخطط، في محاولة غزو نفسية المجتمعات العربية والإسلامية. ويحقق اهدافه من خلال هذا التلاعب بالافكار والعواطف عند الآخرين. ويقول المؤلف في موضع آخر: «...ولقد انت هذه الحرب اكليها، ووصلت الى نتائجها، لأول مرة في تاريخ المسلمين، هزيمة روحية وشعورا بالتفوق المنهجي الغربي...». ويقول تشرشل: كثيرا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ.^(٢) ان الحرب النفسية حقيقة واقعة على مجتمعاتنا من قبل اعدائنا. وهي حرب لديها برامجها وفكرتها المركزية وفكرتها المحفزة. وهي حين تعزو المجتمعات، فهي

(١) يعرف قاموس أو كسفورد الدعاية بأنها «ربط ذهني أو مخطط لنشر مبدأ أو عادة». وهكذا، يدل هذا التعريف على أن الدعاية هي عملية تهدف إلى تغيير المعتقدات أو المواقف أو السلوكيات. ويمكن توسيع المعنى القاموسي للكلمة، بحيث تشمل أي خطة لنشر مبدأ أو عادة أو لتأثير على مواقف الآخرين العاطفية. جي. إي. براون، تعريف الدكتور عبد الطيف الحياض، «أساليب الإقناع وعسيلات الدماغ»، الطبعة الثالثة، دار الهدى للنشر والتوزيع، بتصرف.

(٢) د. أحمد بوش، كتاب الإشاعة.

(٣) المصدر نفسه.

١٩٤٠ - ١٩٤١ : بريطانيا أيام الهجوم الداري على بريطانيا، وقد قاد معركة الدفاع عن بريطانيا

كيف تتلقى الجموع هذه الحرب النفسية؟

وحتى نعلم كيف تتلقى المجتمعات هذه الحرب النفسية الموجهة، يجب أن نشير إلى أقسام الرأي العام^(١) في فترات السكون، ثم في مراحل الأزمات.

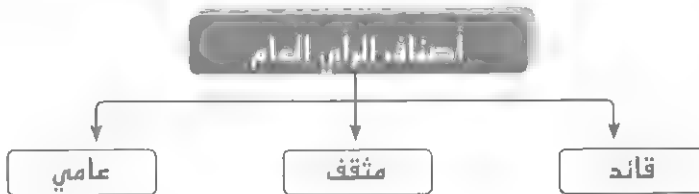
• أولاً: في فترات السكون والدعة:

سنجد أن المجتمعات تنقسم إلى ثلاثة أقسام كبيرة:

- ١ عقل قائد: وهم صفوة المجتمع من القادة والمفكرين والعلماء والساسة. وهؤلاء نسبتهم ضئيلة في المجتمع. وهم يصنعون الدعاية ولا يتأثرون بها.
- ٢ عقل مثقف: وهم المتعلمون والمثقفون الذين يشاركون في صناعة الرأي العام. والتأثير على من دونهم من حيث الثقافة.
- ٣ عقل العوام: وهو يمثل الرأي العام الشعبي. وهو ما يمكن أن يطلق عليه (رأي أنثوي)، أي: يهتم بالعواطف وينساق وراءها، ولا يحكم العقل.

• ثانياً: في فترات الأزمات:

وسنلاحظ هنا ظاهرة عجيبة، وهي اختفاء السريحة الثانية في أوقات الأزمات: حيث يتحول العقل المثقف إلى عامي. وبالتالي، ينضم المثقف إلى الرأي العام العامي. وبذلك نجد أمامنا شريحتين: عقل القائد، وعقل العامي. ولهذا السبب، تتجه القيادات السياسية دائماً إلى مخاطبة الرأي العام العامي وليس المثقف في أوقات الأزمات: فنجد الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش مثلاً يتحدث عن الخير والسر، وعن الأخيار والاشرار عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام الفين وواحد.



(١) أي لعدم في مجتمع ما، هم حلائله أو، محسوسه من الناس. أي الغلب أو الاعتقاد السائد أو إجماع الآراء، أو لادعوى حمى على أغلبية فئات لشعب أو الجمهور بحكمه العقل = "ثقافة تخاه أمر ما أو ظاهرة أو موضوع أو قضية، منشأ من كتاب عبد الله شمس في كتابه: «التخطيط الإعلامي والإعلام في معالجة قضايا المجتمع وكيفية عرضها حسب...» وكتاب «الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية» لكتاب محمد عبد القادر حاتم.

ونحب أن نؤكد هنا أن الجهل بنفسية الجماهير وكيفية تقبلها للأفكار يحول دون إمكانية حسدها وبعثها نفسياً. ومن المبادئ التي يجب الاهتمام بها عند التعامل مع الجمهور^(١):

- ١ - الجمهور لا يقبل الأفكار المركبة، وإنما يهتم بالشعارات والرموز والصور.
- ٢ - الجمهور بحاجة إلى قائد يجسد الفكرة، ويرى فيه الأمل.
- ٣ - لا يظل الرأي مستثاراً لفترة طويلة إلا إذا شعر الناس بأن صالحهم الخاص يتصل بهذا الرأي اتصالاً قوياً.
- ٤ - الجمهور كقاعدة عامة - يعترض على مواقف لا على مبادئ، ومن ثم قد تحدث تغيرات فجائية في الرأي إذا تعدل الموقف.
- ٥ - دخول قوة شخصية جديدة تمتل بوضوح مسألة من المسائل، قد يحدث تغييراً مفاجئاً في الرأي. أما الأسباب والبراهين، فقلما كان لها سيطرة ثابتة على عقول معظم الناس.
- ٦ - يصاب الرأي العام بحالة من الإثارة في حالة إذكاء الروح العسكرية والتبشير بالنصر.
- ٧ - يتأثر الرأي العام، ويتقرر بالأحداث أكثر من تأثره بالكلمات.^(٢)



نماذج الحرب النفسية

■ نموذج فيتنام وأمريكا:

إذا نظرنا إلى التجربة الأمريكية في فيتنام، فسنجد دولة عملاقة، متفوقة حجماً وموارد وعلماً وتقنية وقدرة تدميرية، تتجه إلى شعب فقير أعزل تريد أن تحاصره، وأن تسيطر وتهيمن عليه،

(١) منقول بتصرف من كتاب عيد المنعم ثابت «التخطيط الإعلامي والإعلامي لمعالجة قضايا المجتمع وكيفية محاطية الجمهور».

(٢) يمكن الرجوع في هذا المجال لمكتب التي تتحدث عن الدعاية والرأي العام.

فتنطلق في حرب مدمرة ضده. وتجذب اليها نصف الشعب ليقف معها. وحكومة عميلة تمارس دور العراب. او حصان طروادة. لكسر هذا التعب الفيتنامي. وتقاوم حركة المقاومة.

واذا امعنا النظر في هذا النموذج. فسنجد ان الولايات المتحدة الامريكية المتفوقة تستخدم كل الاسلحة الممنوعة في تلك اللحظة التاريخية ضد حركة المقاومة الفيتنامية. ومن الناحية العملية. لا يمكن للنوار ككتلة ان يصمدوا امام هذه الالة العسكرية. ولكن تبقى امام المستضعفين إستراتيجية واحدة: وهي إطالة امد الحرب. وزيادة تكاليف بقاء الخصم. فاستخدموا اسلوب حرب العصابات. وحروب الكر والفر. وحرب الغارات. والهجوم المضاد. بمجموعات صغيرة. وقد كان بإمكان العملاق الأمريكي الضخم ان يدهس أي قوة تواجهه وان كانت كتلة كبيرة. ولكن عندما تكون الهجمات من مجموعة من البراغيث التي تلسع فتدمي ثم نفر. تحدث عملية الاستنزاف لهذا الفيل الضخم. عبر هدد البراغيث الكتيرة. وهكذا. استمرت عملية لي الدراع أو العض المتبادل. وكانت الحرب حرب ارادات. وجهت فيها الولايات المتحدة الأمريكية كل الاتها الاعلامية والدعائية. وكل إجراءاتها لاقتناع الطرف الآخر وهم الفيتناميون باستحالة تحقيق أهدافهم وحتمية هزيمتهم.

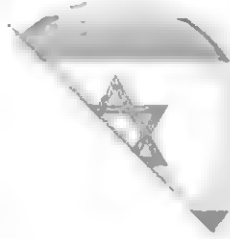
ثم ماذا كانت النتيجة؟ انتصر الطرف الاضعف على الطرف الاقوى. لم يعد الفيل قادرا على الصمود. وأصبحت تكلفة البقاء أكبر بكثير من الفائدة من البقاء. وانتصرت الإرادة، ولم تنكسر نفسية الفيتناميين.

من اين جاءت هدد النتائج التي قلبت المعادلة؟ اذا اتفنا على ان الولايات المتحدة حاربت الفيتناميين بنسبة عشرين في المائة للحرب النفسية. وثمانين في المائة لحرب الالة. فقد استطاعت المقاومة الفيتنامية قلب المعادلة. بحيث اصبحت الثمانون في المائة حربا نفسية. والعشرون حرب ألة: لأنه اذا ما تم كسر ارادة الخصم. لم يعد هناك حاجة الى استخدام الادوات. فالأدوات فقط من أجل اقناع الطرف الاخر بعدم جدوى المحاولة. بحيث يقع في روعه كما يقول محمد صفا السعور بعقم المقاومة. وحتمية الهزيمة.

هذا النوع من الأداء. أعطى مؤشرا واتجاها آخر للحروب: فاصبحت الحروب اليوم تتجه في كتلتها الأساسية إلى المحاربة النفسية: إذ نلقي في روع الخصم عدم جدوى المقاومة، وأن الحرب لا محالة منتهية لصالح عدوه، وبالتالي عليه الاستسلام.

■ الحالة الإسرائيلية مع الحالة العربية:

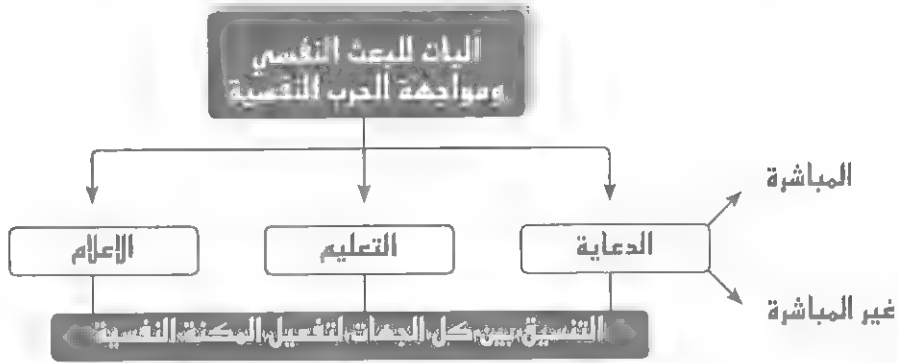
إذا نظرنا إلى الحالة الإسرائيلية مع الحالة العربية، فسنجد أن هذا الكيان الصغير يؤثر على مجموعة كبيرة جداً من الدول، ويقودها إلى الاستسلام. وهذا ما لم يكن ممكناً لولا استخدام فن المحاربة النفسية بكثافة شديدة وعنيفة، ما أدى إلى انكسار إرادة قادة أغلب هذه الدول أمام تلك الأوضاع.



■ آليات البعث النفسي ومواجهة الحرب النفسية:

وإذا كانت الحرب النفسية نريد أن تقنعنا كامم وشعوب بعقم المقاومة وحتمية الهزيمة، فالمطلوب منا أن نواجه المعركة الضخمة من الحرب النفسية التي مجالها العقول والنفوس، والتي تستخدم فيها الكلمات والعبارات والإجراءات بحرب نفسية مضادة، أو بعملية إنقاذ نفسية - إن صح التعبير -.

وفي آليات البعث النفسي، فإن واجب الإعلام اليوم هو الاهتمام بادوات التعليم. وواجب قادة الدول الإسلامية وحكوماتها هو إعادة صياغة الخطاب الجماهيري، وإعادة صياغة التعليم، وكل أشكال التوجيه، لإيجاد كتلة حرجة مؤمنة بإمكانية النجاح، ومحصنة ضد عوامل اليأس. وهذا يحتاج إلى تعاون بين المفكرين وبين قادة هدد المجتمعات وحكوماتها، وبين قادة الرأي وبين العاملين في الإعلام والتعليم. وحتى تصبح نظرية الحرب النفسية مفهومة، وتصبح جزءاً من تكوين الفرد المسلم العربي في مجتمعاتنا، لابد من فهم موكد لقضية المحاربة النفسية، وأثرها في التأثير على المجتمعات.



إذن، لابد من باعت نفسي داخلي كبير، ليتم تغيير الواقع الخارجي: فانتصار الطرف الآخر علينا داخليا في أفكارنا ونفوسنا يعني عملياً انتصاره علينا في واقعنا. أما انتصارنا على أنفسنا في الداخل، فيعني إمكانية تحقيق النتائج في الخارج. **وخلاصة القول:** أنه لا نجاح للفكرة المركزية إذا لم ينجح البعث النفسي^١. والبعث النفسي يبدأ من الفرد والمجموعة المؤمنة بمشروع النهضة، وينتهي بالأمّة معقد الآمال.

ونجاح هذا البعث النفسي يتطلب:

- **أولاً:** إعادة عرض الفكرة المركزية وتاريخها.
- **ثانياً:** عمل تراكم في الإنجازات العملية.
- **ثالثاً:** توظيف كل ما يمكن توظيفه لصالح المشروع.
- **رابعاً:** حسن عرض الإنجازات.

فإعادة عرض التاريخ، واختيار المواطن التي تغرس العزة والامل أمر في غاية الأهمية. كما أن الانجازات الفعلية أمر لابد منه، خاصة في مجتمعاتنا التي أرهقتها التحديات.

(١) لقد تمّ تبني هذا البعث النفسي من مدّة دعاه أسبوعية، ونفسه من خلال "البيان" وقد تمّ نسو - وصحرة -

• من مدّة وقد أصبح له حصة أسبوعية ولا يتركها أحد من مؤيديه، وقد تمّ أن في سورة النساء: (لعملة الدين يستحقها منبه)

• أن مدّة منتقب: يتلقى الدعاية السياسية في أوقات الاستقرار، فيتأثر بها جزئياً، وقد يكون له رأي فيها، ولكنه في أوقات الأزمات يحلّ في رأي عام عائم.

• رأي مدّة مدّي: وهو موقع الفعل المستهدف من قبل الدعاية السياسية والذي يتأثر بها سريعاً؛ وهو التيار العريض.

يقول دووب: يظل الرأي العام كامناً إلى أن ينشأ موضوع يشغل اهتمام الناس: والموضوع الذي يتشغل اهتمام الناس لا ينشأ إلا عندما يكون هناك صراع وقلق وإحباط.^(١) ومن هنا نفهم خطورة المقاومتين الفلسطينية والعراقية على المشروع الغربي: فالمجتمعات والشعوب العربية والإسلامية تدرك تماماً أن هاتين المقاومتين تحاربان من قبل الجيوش المحتلة، ومن قبل أجهزة استخبارات تلك الدول. ومع ذلك، لا تزال تلك المقاومة تصر على الفعل المقاوم، بل وتحرز الكثير من الإنجازات والمكاسب. فهي بذلك تجرئ الشعوب العربية والإسلامية على الفعل المقاوم، وتبعث فيهم المكنة النفسية والقوة الدافعة من خلال تراكم الإنجازات العملية على أرض الواقع. ومن هنا، تأتي الخطورة الحقيقية للمقاومة على مشاريع الاحتلال: فهي تجريء للشعوب على المقاومة، ليفاجأ المحتلون بأنهم لا يحاربون مجموعة أو مجموعتين من المقاومين. بل يحاربون الشعوب كلها. وهو ما يهدد مشاريع الاحتلال في صميمها. أما قضية استثمار إنجازات الآخرين التي تصب في صالح المشروع، فلا يزال التخندق الذي يخيم على بعض العاملين في النهضة حائلاً دون ذلك. فبعض التيارات لا تعرض سوى إنجازاتها، ولا تعرض إنجازات غيرها ممن قد يخالفها في المدرسة الفقهية أو في مجالات العمل. وهم بذلك يضيقون واسعاً، ويظنون أنهم وحدهم ممثلو الأمة، بل وبعضهم يزيد على ذلك، فينقد أي إنجاز لتيار آخر أو مجتمع أو دولة، ويخرجه من دائرة الإنجازات.

إن هذه العقلية الطفولية التي لا تنظر إلى صالح الإسلام ومشروعه، هي عقبة كؤود في طريق النهضة. وهذه النظرة أرهقتنا كثيراً في مرحلة الصحو. ونتج عنها مشاحنات وخلافات بين أبناء المشروع نفسه. لسان حال بعض هذه التيارات: (لو كان خيراً ما سبقونا إليه)^(٢). ومرحلة اليقظة تتطلب الانصاف في عرض الإنجازات، والإيمان بأنها كلها ملك للأمة، وأنها جهود من تيارات مختلفة تعددت اجتهاداتها، فتنوعت إنجازاتها. لقد أن للمشروع أن تقوده عقليات قائدة تجمع لا تفرق. لا تنظر لسفاسف الأمور، بل توظف كل إنجاز لرفع الروح المعنوية للأمة.

(١) د. محمد عبد القادر حاتم، «الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية»، مكتبة لبنان، بيروت.

(٢) سورة الأحقاف: ١١

ويكفي أن الوحي يتر بانتصار الروم وهم ليسوا مسلمين . ليرفع معنويات الأمة آنذاك. قال تعالى: ﴿ غلبت الروم • في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون • في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون • بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾^(١).

إن استثمار كل إنجاز لأي تيار وعرضه للجماهير أمر مهم جدا في عملية البعث النفسي.

وتبقى النقطة الأخيرة، وهي حسن عرض الانجازات واستخدام كل الوسائل والتقنيات الحديثة لتحقيق ذلك. مع دراية جيدة بنوعية الجماهير وكيفية تشكل الرأي العام لديهم.

الاستراتيجية الثانية

١ - المعرفة:

- فمعرفة القانون هي اول ما يجب على قادة وطلاب النهضة . وتشمل:
- معرفة منطوق القانون ومعناه.
- الإلمام بعلوم الإعلام والدعاية السياسية والرأي العام^(٢) والحرب النفسية كادوات في الصراع.

٢ - الاستخدام:

- فالقانون. إن تمت المعرفة به. وجب استخدامه في التغيير استخداما محكما، وذلك من خلال:
- إعادة عرض التاريخ.
- عمل تراكم في الإنجازات العملية.

(١) سورة الروم ١-٥

(٢) يمكن عدم فهم ذلك في البداية . فالتغيير النفسي والاعمال المعنوية لابد ان يجمع ويعد بعناية خاصة . لأن كل إنسان من الأفراد حسب دوافعه الخاصة . فبعد ان يرفع من فؤاده عزاء وتقائدا . وانصافه من حرجه حشدا . ثم يرفع له سلاحا على انصاره في ساحة صلبة .

- توظيف إنجازات الآخرين.
- حسن عرض هذه الانجازات بما يتماشى مع ادق قواعد علوم الدعاية السياسية والرأي العام.
- ولعل المهتمين بالعمل الإعلامي والتعليمي والخطابي في مشروع النهضة، لهم دور كبير في استخدام هذا القانون.

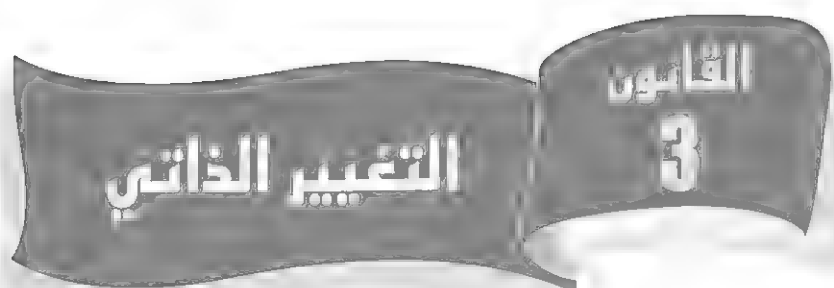
■ ٣- عدم المصادمة:

وتتم مصادمة القانون والحصول على نتائج عكسية اذا لم يتم استثمار إنجازات جميع العاملين في ساحة الفعل النهضوي، او اذا اسئ عرضها أو استخدامها. كما تتم مصادمة القانون اذا تم التعامل مع هذه الانجازات بصورة ارتجالية غير علمية، واذا لم يتم استخدام أدوات الدعاية السياسية والرأي العام والحرب النفسية. ويجب عدم ترك ذلك للهواة، بل استخدام اهل الفن والمعرفة، ليقودوا هذه العملية بالغة الخطورة.



■ مبادئ القانون

- وجود فكرة مركزية وفكرة محفزة - بعث نفسي وروح إيجابية - استعداد للعمل والانطلاق.



مناور المانور

« لا تغيير إلا إذا حدث تغيير إيجابي في عالم السلوك »

مناور المانور



• التغيير: عملية التغيير هي انتقال

وضع ما من حال إلى حال آخر.

• تغيير إيجابي في عالم السلوك:

ويقصد به، تحول إيجابي في

ممارساتنا وواجباتنا تجاه الخالق

وتجاه الذات وتجاه الخلق.

الشيء القاسم

ان سنة التغيير هي سنة مجتمع لا سنة افراد. وهي سنة دنيوية لا اخروية. فلا بد ان يغير المجتمع نفسه اولا حتى يحدث الله التغيير في احواله الخارجيه ولا يحدث هذا التغيير الا بايجاد الكتلة الحرجة النوعية التي تسفه هذا المانور ونعرف كيف تتعامل معه.

ونقصد بالكتلة الحرجة هنا. وجود كم من الافراد يمكن بواسطه جهودهم الانتقال من حال الى حال بعد استيعابهم في العملية التغييرية. فان الكم البشري النوعي الذي يلزم لنجاح اي عملية من عمليات الانتقال من حال الى حال يختلف من حالة الى حالة ومن ظرف الى اخر. ولكن في كل حالة من هدد الحالات لابد من وجود الكتلة الحرجة التي في غيابها لن يحدث التغيير المطلوب.

مجال التغيير الذاتي

إن تغيير الواقع الداخلي هو المحرك الرئيس في التغيير الخارجي. ويقول الله - سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١). فالتغيير الخارجي في أحوال قوم ما أو مجتمع ما أو أمة ما، لا يمكن أن يتم حتى يحدث هذا التغيير الداخلي داخل هذه الأنفس.

مجال التغيير الداخلي

وللتغيير الداخلي مجالان: الأول: مجال الفكر (العقل)، والثاني: مجال المشاعر (القلب). وهناك ارتباط جذري بين هذين المجالين؛ فعندما يصح عالم الأفكار، وتصحب الفكرة المحفزة قوية وملحة، فإنها تسعل داخل النفس طاقاتها، وتحرك فيها تلك المشاعر من الحب والكره، وتتولد القوة الدافعة أو المكنة النفسية. وبالتالي،



تنطلق طاقات الإنسان في محاولته لتحقيق فكرته على أرض الواقع. فالتغيير الداخلي في الأفكار والمشاعر أمر أساسي لنجاح حركة التغيير. فعندما تتغير الأفكار والمشاعر، يحدث سلوك جديد، ومن ثم نتوقع أن تكون النتائج أيضاً مختلفة.

مجال التغيير الداخلي

مجال الفكر (العقل)

مجال الفكر (القلب)

مثال :

فعندما تغيرت أفكار الغرب في لحظة تاريخية ما عن أفكار الكتاب المقدس في دينهم بما فيه من أمور رأوا أنها تقيد العقل. وتحد من طاقات الإنسان، وتطالبه بالانعزال عن الكون، والآن يستمتع بجسده أو بالكون من حوله بدعوى الرهبانية: انطلقت فكرة جديدة تدعو إلى:

- تحرير العقل.
- إطلاق الطاقات.
- البحث في كل مجال.
- التساؤل عن كل الكون.
- اعتماد العقل كمرجعية في تنظيم المعارف.
- تنظيم المعلومات.
- اعتماد الحجة والبرهان.
- عدم التسليم بمقولات الآخرين.

ومع انتشار هذه الأفكار وغيرها، والحماس لها، ووجود الفكرة المحفزة في هذه اللحظة وهي مقاومة الفكرة الرجعية السائدة، التي كانت تريد تقييد العقل :- ولدت القوة الدافعة ونمت الروح القومية والتنافس بين الأمم الأوروبية. فانطلق العلماء في تحد ضخم، وانطلقت المجتمعات في تحد كبير للأفكار القديمة البالية، وللتيار الذي يمثلها، لتفتح الافاق، وتجدد الحياة من حولها.

هذا السلوك الجديد الذي نشأ عن تغير أفكار الناس ومشاعرهم، نتج عنه تغير سلوكي في عمليات البحث والتقنين والاختيارات وما إلى ذلك. وبالتالي، بدأت النتائج الخارجية لهذه المجتمعات تتغير، وبدأت تثمر في ميادين الثقافة والفكر والعلوم التطبيقية والفتوحات والهيمنة والسيطرة على المجتمعات الأخرى.

قاله - تبارك وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، أي: حتى تتغير لديهم هذه المنظومات العقلية المقيدة، وتولد عندهم الفكرة المحفزة والروح التي تدفعهم لتحويل هذه الأفكار الى واقع في حياتهم. وذلك عبر التحولات والتغيرات السلوكية الإيجابية.

اذن، لدينا قضية كبيرة في عالم الأفكار الداخلي: فالناس لديها عقائد وتطبيقات، ولديها مسلمات مخترنة في عقلها، إما أن تكون من النوع الحي المحرك الذي يفتح الافاق، أو من النوع المغلق الذي يغلق كل الآفاق.

المطلوب ثلاثة أنواع من التغيير:

١ - تغيير إيجابي في عالم الأفكار: وهو الجزء الذي يغذيه العلم والخبرة، بشتى أنواعها.

٢ - تغيير إيجابي في عالم المشاعر من السلبية والإحساس باليأس إلى التفاؤل والإنجاز، والشعور المتجدد بالحياة. قال تعالى ميسرا عباده المؤمنين بالنصر: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، ودعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن الظن بالله. فقال ناقلًا عن رب العزة في الحديث القدسي: أنا عند ظن عبدي بي^(٢).

٣ - تغيير إيجابي في عالم السلوك والممارسة.^(٣)

وهكذا، فإن اختيار الفكرة المركزية، واستخدام الفكرة المحفزة، ثم اجتثاث الأفكار المعطلة والقاتلة التي تعيق حركة الإحياء الإسلامي، وتعيق تقدم المسلمين، كل ذلك من متطلبات العصر، ويجب أن تتحمله الأمة الإسلامية وهي تنطلق إلى مستقبلها الواعد إن شاء الله عز وجل . فإذا تمكنت الأمة بعد هذه المعالجات العقلية من أن تبعث عالم المشاعر والأحاسيس، وتزرع المكنة النفسية والقوة الدافعة في المجتمعات العربية والإسلامية: فستنطلق هذه المجتمعات نحو التغيير والنهوض عبر التغيير الحادث في عالم السلوك والممارسة.

مراحل التغيير

وتمر عملية استجابة الناس لمشروع التغيير سواء كانت في الافراد أو المنظمات والهيئات أو الدول - بأربع مراحل كبرى:

(٣) سورة نوره ٤٧

(١) صحيح البخاري.

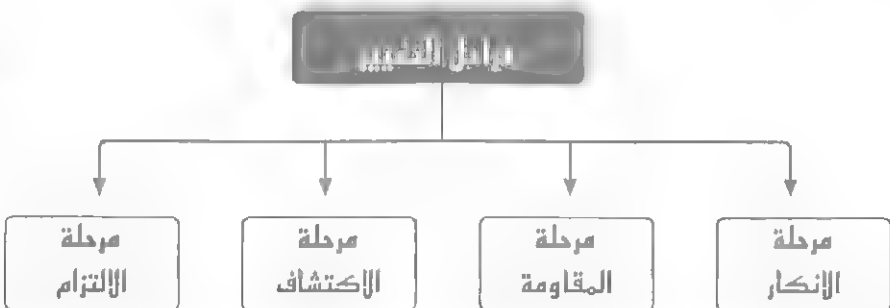
(٢) عن سعد بن عبد الله: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» يعني إصلاح النفس من خلال عبادات ونحو هذه فقط - النفس تحتوي على أفكار ومشاعر ينتج عنها سلوك، ومن ثم فإن تغير ما في النفس ينتج عن تغير لأفكار، فتتغير المشاعر وتغير السلوك. ويجب أن تشمل عملية التغيير أخو رب العالمين ولا يقتصر على العبادات فقط. فقد جاء القرآن بعبادات، وجاء ليصحح من أخطاء تفكير المسمين ويخاطب مشاعرهم، ويطلب إليهم بتغيير سلوكهم.

١ - **مرحلة الإنكار**: وفيها يسود الاعتقاد بهدوء وسكون الأوضاع. وتواجه أي صيحة تبشر بالتغيير بالدهشة وعدم التصديق.

٢ - **مرحلة المقاومة**: وفيها تبدأ تباشير التغيير بالظهور، فتتعرض العملية التغييرية للمقاومة من قبل الجاهلين بها، والمستفيدين من ثبات الأوضاع. فتوضع العراقيل، ويستد الغضب على القائمين على العملية التغييرية، وتكال لهم التهم والنعوت حتى ينفض الناس عنهم.

٣ - **مرحلة الاكتشاف**: حيث يستد عود العملية التغييرية بعد عبورها للمرحلتين السابقتين، فيقبل الناس على دراسة هذا الأمر الجديد والتعرف عليه. وتثار تساؤلات كثيرة، مثل: ما الذي سيحدث لنا في حالة كذا؟ وكيف سنواجه تلك العضلة؟ وكيف سنفل كذا؟ وغيرها من التساؤلات حول الفكرة وطبيعتها.

٤ - **مرحلة الالتزام**: وفيها يتساءل الناس عن ادوارهم في هذه العملية التغييرية بعد أن تعرفوا عليها واكتشفوها واقتنعوا بجودها وأهميتها.

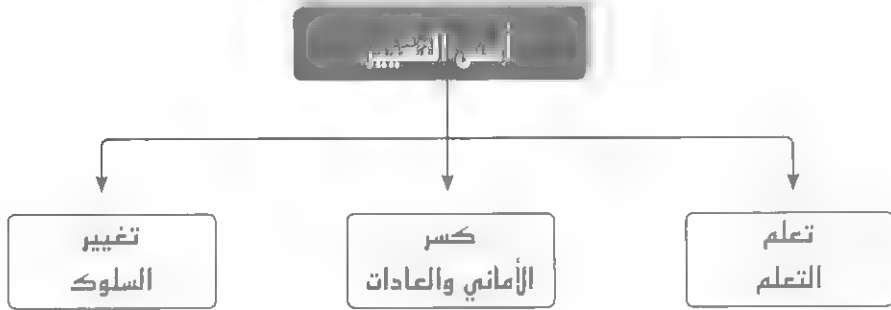


وهنا يثار تساؤل مهم حول أسس العملية التغييرية، سواء كانت للأفراد أو الحركات أو الدول والمجتمعات.

ان لعملية التغيير ثلاثة أسس كبرى:

١ - **تعلم التعلم**: فأول ما يجب غرسه في الأفراد أو المجتمعات التي تتعرض لعملية التغيير هو تعلم كيفية تحصيل المعرفة والعلم. وقديما قال الفيلسوف الصيني كونفوشيوس: لا تعطني سمكة كل يوم ولكن علمني كيف اصطاد السمك .

- ٢- **كسر الأمانى والعادات:** فعلمية التغيير غالباً ما تكون مصحوبة بالآلام والجراح والصعوبات، ولا تتم بسهولة وسلاسة ويسر. لذا، فكسر العادات التي تأسر المرء وتتحكم فيه وتمنعه من التضحية والبذل من أهم أسس التغيير.
- ٣- **تغيير السلوك:** فعلمية التغيير في جوهرها هي الانتقال من حال إلى آخر. تغيير كامل وشامل في الأفكار والعلاقات والسلوك، بل والأشياء. فتغيير السلوك بما يناسب الحالة الجديدة المطلوب تحقيقها أمر بالغ الأهمية.



مستويات التغيير

١- المعرفة:

فمعرفة القانون هي أول ما يجب على قادة وطلاب النهضة. وتشمل معرفة القانون القدرة على الإجابة على الأسئلة التالية:

- من المطلوب تغييرهم؟
- وتغييرهم إلى ماذا؟
- وهل المطلوب تغييرهم في جانب واحد أم في جميع الجوانب؟
- ومن الذي سيقوم بالتغيير؟
- وكيف؟
- وإذا كان آخرون قد تغيروا، فكيف حدث لهم ذلك التغيير؟
- وما مقاييس أو معايير التغيير؟
- وما المؤشرات الدالة على نجاح عملية التغيير أو فشلها؟

- ما عناصر مقاومة التغيير؟
- وما الجهات التي تقاوم التغيير؟
- وما المدى الزمني للتغيير؟
- وما أهمية أدوات الدولة في التغيير؟
- وأخيراً أين نقرأ عن التغيير؟^(١)

وليس لهذه الأسئلة إجابة واحدة، بل إن الإجابة عليها تختلف باختلاف الزمان والمكان والطرف. لذا، لا يستطيع طلاب النهضة وقادتها في بقعة ما أن يقولوا بمعرفتهم بهذا القانون قبل أن يختاروا إجاباتهم على التساؤلات السابقة. وهكذا، نلمس أهمية هذا القانون، وأنه يكاد أن يكون خطة عمل كاملة لتغيير المجتمعات والنهوض بها.

■ ٢ - الاستخدام:

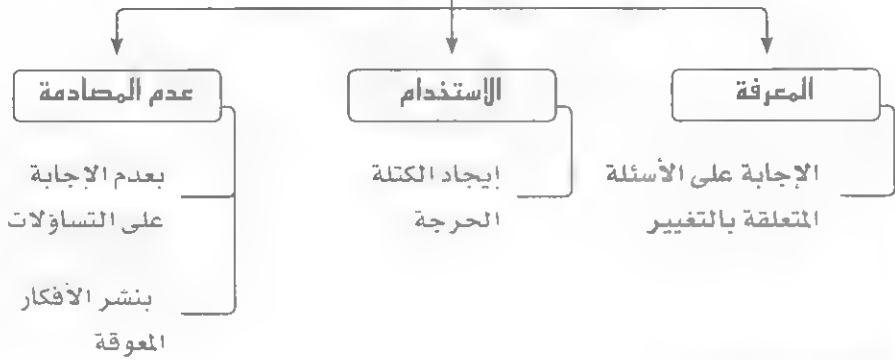
فالقانون إن تمت المعرفة به، وجب استخدامه في التغيير استخداماً محنكاً؛ وذلك من خلال إيجاد الكتلة الحرجة النوعية التي تستطيع قيادة العملية التغييرية من خلال تنظيم القاعدة المعرفية لهذه الجموع. وبعث الروح والأحاسيس تجاه الأفكار، وتخليصهم من الأفكار المقيدة، ثم تزويدهم بالمهارات في المجالات المنتجة.

■ ٣ - عدم المصادمة:

وتتم مصادمة القانون والحصول على نتائج عكسية إذا لم يتم الإجابة على التساؤلات الخاصة بالعملية التغييرية. كما تتم مصادمة القانون إذا تم التعامل مع هذا القانون بشيء من السداجة والعفوية؛ كالانشغال بمعالجة المظاهر عن معالجة جوهر المسكلة، أو اختيار الأفكار القاتلة والمعوقة ونشرها. فعالم الأفكار هو الذي يشكل عالم العلاقات وعالم الأشياء. إن أي خلل في عالم الأفكار ينعكس على عالم العلاقات البشرية. وبالتالي يؤثر على الإنجازات العملية والمادية.

(١) يدرس التغيير في علم الاجتماع. وتعد التحرية التاريخية محرراً عمداً كبيراً مشروحاً لغيره. وتتمتع به.

مبادئ القانون



مبادئ القانون

وتوضح هذه المعادلة مدى الترابط والتلازم بين هذه القوانين الثلاثة الأولى من قوانين النهضة. ويمكن توضيح هذا التلازم والتفاعل من خلال الشكل التالي:





الخلاصة

وهكذا يتبين لنا مما سبق. ان هذه القوانين الثلاثة السابقة تمثل منظومة ثلاثية واحدة: تخاطب العقل من خلال الفكرتين المركزية والمحفزة. وتخاطب القلب والروح من خلال المكنة النفسية أو القوة الدافعة. واخيرا تقود الى التغيير من خلال التحولات السلوكية الناجمة عن الاقتناع بالفكرة وملاستها للقلب.

وخلاصة القول: ان قيام الامم والحضارات ونهوضها يعتمد بالضرورة على وجود فكرة صلبة تقنع بها الامة. لتولد هذه الفكرة قوة دافعة هائلة تبعث الامة من رقادها وسباتها، وتكون بمثابة البعث النفسي لها. واخيرا. تأتي التحولات السلوكية الناتجة عن ذلك البعث النفسي لتكون اولى خطوات الامم نحو التعبير والنهوض. اما سقوط الامم. فينتج عن قتل الفكرة في مخاطبة العقل. او فشلها في ملاسة القلب بدرجة كافية لتتحول إلى سلوك يغير الواقع.

القانون

4

اختيار الشرائح

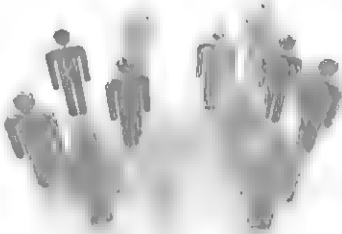
خطوة القانون

«تحتاج أي نهضة إلى شريعة بدء وشريعة تغيير وشريعة بناء»

مبادئ القانون

■ الشريعة:

ويقصد بها، المجموعة من الناس التي تتقارب مستوياتهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والمهارية، بالإضافة إلى تقارب أهدافهم وإمكاناتهم. وسنستخدمه هنا بمعنى أوسع يقترب من فريق أو طائفة، للإشارة إلى الملتحقين بفكرة التغيير في مراحلها المختلفة.



■ شريعة البدء:

وهم الرعيل الأول من الناس الذين يجتمعون حول فكرة ما، في مجتمع ما، في مرحلة ما، ويستعدون للتضحية من أجلها. وليس بالضرورة أن ينتمي كل أعضاء شريعة البدء إلى طبقة أو شريعة اجتماعية معينة، بل قد يكون هناك خليط من أكثر من طبقة أو شريعة.

■ شريعة التغيير:

هي الفئة القادرة على إعطاء المنعة والتمكين. أو ما يطلق عليها في التعبير الشرعي «ذوو الشوكة»، الذين يستطيعون تغيير الأوضاع.

■ شريعة البناء :

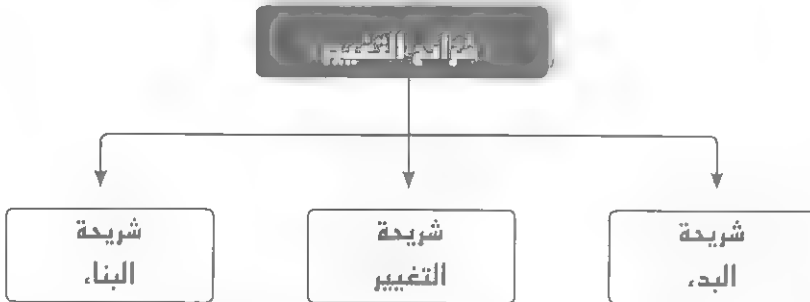
وتشمل كل فصائل المجتمع الذين يساهمون في بنائه وتقدمه بعد نجاح العملية التغييرية وهيمنة الفكرة المركزية. لذا، فهي تضم المؤمنين بالفكرة وغير المؤمنين بها.

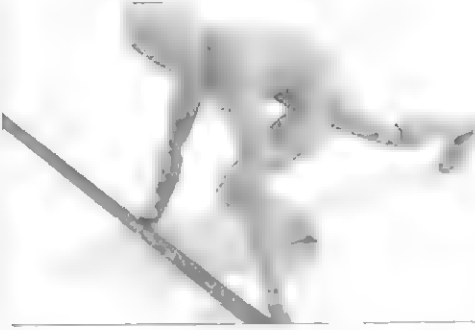
■ أهمية القانون

إن تحديد الشريعة الملائمة للمرحلة التي يمر بها المشروع في غاية الأهمية. إذ إن أكثر التجارب الفاشلة إنما فشلت، للخلط بين هذه الشرائح. لذا، فإنه يمكننا القول بأن من لا يفقه قانون اختيار الشرائح لا يمكن أن ينجح، وسيفقد اتجاهه ويدور حول نفسه.

■ اختيار شرائح التغيير

عادة ما تبدأ عملية التغيير من نقاط أو قضايا ملحة: حيث تتكون رؤية جديدة من التشكل الاجتماعي، أو يبرز تيار يرغب في المغالبة، أو فئة محرومة، أو دين جديد، أو قضية جديدة، كنقطة تبدأ منها عملية الحراك. وتحتاج كل حركة تغييرية إلى ثلاث شرائح مختلفة: حيث تعبر كل شريحة عن طبيعة المرحلة التي تمر بها الحركة التغييرية. وهذه الشرائح الثلاث هي: شريحة البدء، وشريحة التغيير، وشريحة البناء.





■ شريحة البدء:

وهم الرعيل الأول أو
المجموعة الأولى التي تطلق
شرارة التغيير، وتنادي
بأفكارها. إلا أنهم لا يملكون
من الإمكانيات والمهارات -
كمجموعة وشريحة - ما
يمكنهم من إحداث التغيير

بأنفسهم. ولا يعني هذا أن أفراد هذه الشريحة لا يملكون مواهب أو إمكانيات، إنما
نقصد أن هذه الشريحة في مجموعها لم تصل إلى النقطة الحرجة من الإمكانيات
والمهارات التي تؤدي إلى حدوث التغيير.

ولننظر إلى شريحة البدء التي تجمعت حول رسول الله ﷺ في مكة؛ فقد تكونت
من أناس آمنوا بالفكرة الجديدة إيماناً جازماً قوياً. فتجمعوا حولها وحول قيادتها،
وبدأوا في الدعوة إليها، والتبشير بها في المجتمع المكي.

وقد ضمت هذه الشريحة النساء والرجال، والسيوخ والأطفال، والاحرار والعبيد،
والأقوياء والضعفاء؛ إنهم خليط من الناس الذين اجتمعوا حول فكرة ما، في مجتمع
ما، في مرحلة ما، فآمنوا بهذه الفكرة، واخذوا يدعون إليها، وكانوا على أتم الاستعداد
للتضحية والبذل في سبيلها.

وبالرغم من أن هذه الشريحة ضمت العديد من الكوادر النوعية التي تملك
الكثير من المهارات والقدرات والإمكانيات، كابى بكر الصديق وعثمان بن عفان
وعبد الرحمن بن عوف في المجال الاقتصادي، ومصعب بن عمير في مجال التمثيل
الدبلوماسي، أنصح التعبير، وعمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وعلي
بن أبي طالب في القوة والشدة والفروسية وغيرهم؛ إلا أن تلك الشريحة لم تكن
تملك في مجموعها القوة الكفيلة بإحداث التغيير وقلب ميزان القوى لصالحها، بل
أن إسلام حمزة وعمر اللذين أعز الله بهما الإسلام، لم تزد ثمراته عن إعلان
المسلمين عن أنفسهم وشعائهم.



■ شريحة التغيير:

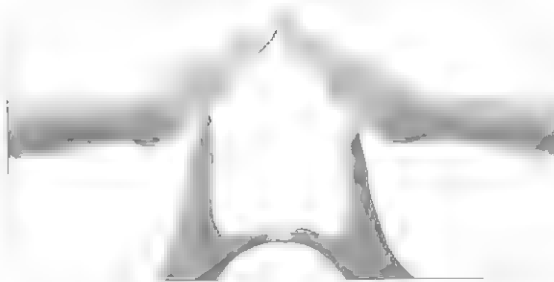
عادةً تحتاج المشاريع الكبرى كالمشاريع الحضارية، والنهضوية، والمشاريع الأيديولوجية - والتي تهدف إلى استنهاض المجتمعات وتنميتها - إلى القوة التنفيذية لإنجازها. بمعنى أنها تحتاج إلى دولة تملك حق تطبيق هذه الأيديولوجيات أو المشاريع الحضارية على المجتمعات التي تهيمن عليها. وحتى يخطو المشروع هذه الخطوة، فهو يحتاج إلى شريحة ثانية. ويمكن تعريف هذه الشريحة، بأنها الفئة القادرة على توفير أداة

التنفيذ. أو ما يطلق عليها في التعبير الشرعي ذوو الشوكة الذين يستطيعون نقل دعم الفكرة بقوة الدولة وما تملكه من إمكانيات.

ولا نعني بكلامنا هذا الغاء دور شريحة البدء في عملية التغيير، ولكننا نقصد ان شريحة البدء لا تملك في مجموعها أدوات القوة اللازمة لإحداث التغيير، سواء كانت تلك القوة المطلوبة عسكرية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها. وهنا يأتي دور شريحة التغيير التي نمتلك في مجموعها هذه القوة المطلوبة، فتمضي الشريحتان معاً - الرعيل الأول، وذو الشوكة لإحداث التغيير المطلوب.

■ شريحة البناء:

وعندما تتوفر للفكرة أدوات التنفيذ وتقوم الدولة المنشودة، تأتي مهمة شريحة البناء. وهي شريحة تشمل كل فصائل المجتمع؛ والتعاقد الصحيح مع المجتمع.



فيساهم في عملية البناء مختلف الطاقات والفصائل والتيارات التي في المجتمع كجزء من التحولات الاجتماعية والحراك الاجتماعي. مع تفاوت في مساهماتها في عملية البناء. وهنا يلزم عقد اجتماعي يعمل على استيعاب جميع شرائح المجتمع وفئاته، بحيث تصبح أداة من أدوات التنمية، وتجنّبها أن تصبح عصا لوقف عملية التنمية.

الشرائح الثلاثة

الشريحة الأولى، وهي نقطة البدء، سواء كانت تجمع النوع الذي التف حول المصطفى ﷺ أو كانت حزباً أو تجمعاً أو حتى أفراداً، فهي عبارة عن طليعة أو عقل مفكر. إنها كيان صغير. قد يكون هامشياً ومعزولاً، وقد يكون في قلب الأحداث، لكنها على كل حال نقطة بدء.

ثم تأتي الشريحة الثانية بعدها، وهي الفئة القادرة على إعطاء المنعة والتمكين إذا ما وجدت المبرر لذلك. ثم تتحرك شريحة البناء - والتي تضم كل طاقات المجتمع مجتمعة - من أجل نصره الفكرة. ولا يفعل دور هذه الشريحة (البناء) إلا بعد توفر الاداة التنفيذية (الدولة)، وبناء العقد الاجتماعي العادل الذي ينصف كل الشرائح.

اختيار الشرائح

والعضلة الحقيقية التي يعاني منها العاملون في مجال النهضة هي الخلط بين هذه الشرائح الثلاث أو الجهل بها. فكتير من التجمعات أو التيارات والمؤسسات والقيادات الفكرية لا تعدو كونها شريحة بدء، ولا تمتلك من الكوادر النوعية وأدوات القوة المناسبة ما يؤهلها لإحداث التغييرات المأمولة. فتدخل في صراعات نتائجها محسومة مسبقاً لصالح الخصم، بدلاً من الانشغال بالوصول إلى شريحة التغيير المؤهلة لإحداث النقلة المطلوبة.

وسنجد أن بعض التجمعات والتنظيمات هي أقرب ما تكون في كوادرها وعقلياتها وقدراتها إلى شريحة البناء المنوط بها إدارة المشروع عقب الوصول إلى الاداة التنفيذية. بينما يزعج بهم قادتهم في عمليات تغيير محسومة لصالح الخصم، فيخسر المشروع كوادره الصالحين لعملية البناء بعد التغيير.

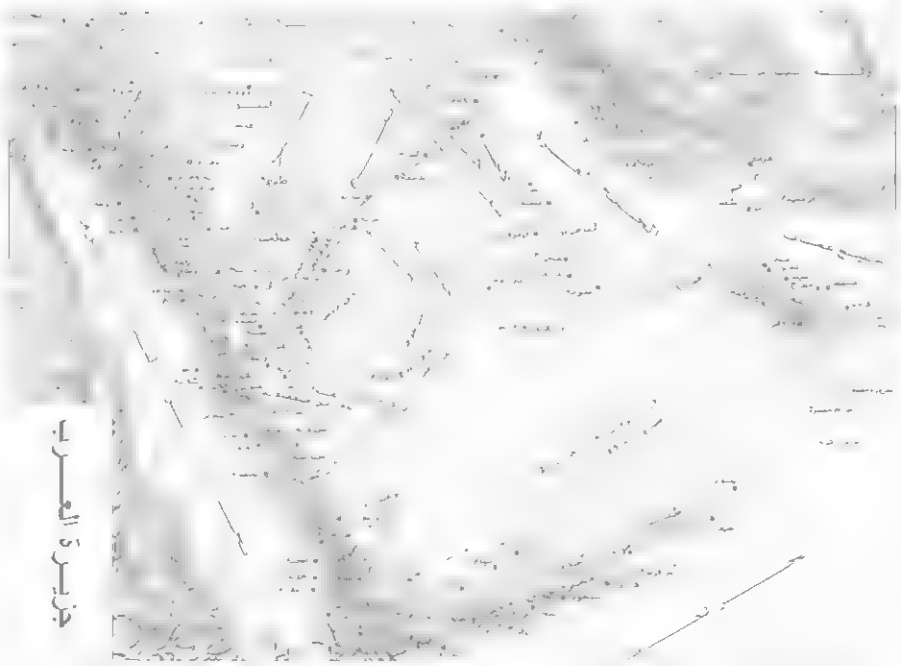
نفهم من ذلك أن الخلط أو الجهل بهذه الشرائع يؤدي الى كوارث حقيقية في ميادين التغيير. كما يصيب أفراد هذه الشرائع بالإحباط واليأس والتعور بالعجز. إذا تبين لنا خطورة الخلط بين الشرائع الثلاث أو الجهل بها، وقرر قادة النهضة وطلابها ضرورة اختيار الشريعة المناسبة لكل مرحلة. نجد أمامنا معضلة أخرى كبيرة: فشرية البدء يسهل تكوينها بأي صورة من الصور: فاجتماع أناس حول فكرة ما واقتناعهم بأهميتها. ثم انشاء منظمة أو تنظيم أو حزب أو جماعة لمحاولة تنفيذ هذه الفكرة على ارض الواقع امر في غاية السهولة. ولا ادل على ذلك من كثرة التنظيمات والجماعات والفصائل والتيارات في العالم الاسلامي. بل وفي العالم كله. فالتنظيمات والتجمعات اكثر من ان نحصى. انما المعضلة الحقيقية التي تقف امام المشاريع. هي الوصول إلى شريحة التغيير الفادرة على نقل المشروع من مجرد تنظيم أو تيار أو جماعة تحارب وتقاوم إلى دولة تحمل المشروع وتدود عنه وتصبغ المجتمع به. ويظن البعض نتيجة لقراءتهم للتاريخ، أو تقليدا لمقولات الأقدمين. أن هناك طريقة واحدة للوصول إلى هذه الشريعة التي لديها المنعة. ولكن الدراسة التاريخية المركزة تشير إلى ان عملية الوصول إلى هذه النقطة، والانتقال بالمشروع من طور الاستضعاف إلى طور التمكين، تتنوع وسائله وتتعدد درجاتها كما نتعدد درجات الألوان والظلال في الكون. فالساحة مفتوحة للتفكير والتصور والتخيل، لا تحدها حدود.

خيار الرسول

ولننظر في سيرة المصطفى (ص)، فلقد ظل رسول الله (ص) يدعو اهله واصدقاء وعشيرته المضربين سرا مدة ثلاث سنوات. بعدها كان الجهر بالدعوة: فكانت دعوة كبراء مكة للاسلام، واتباع القيادة الجديدة. وظل رسول الله (ص) يرجو ان يوتى هذا الخيار تمارد باسلام القيادة المكية شريحة التعبير التي تستطيع نقل المكرة الاسلاميه من جماعة مضطهدة مستضعمة إلى دولة ان صح التعبير نملك تطبيق البرنامج الاسلامي على كل المجتمع المكي ونصبه بالصبغة الاسلاميه. ولكن هذا الخيار لم يوب تمارد. فالقيادة المكية ظلت على سرورها. وظلت مقاومه ومعاندة. وبدءا من العام العاشر للبعثة، أي. بعد سبع سنوات من محاولة الوصول لشريعة

التغيير المكية. وإحساس النبي ﷺ بعدم جدوى هذه المحاولة، انتقل الرسول ﷺ الى محاولة الحصول على شريحة التغيير من خارج مكة، من خلال الاتصال بالقبائل المحيطة. فكانت البداية بخروجه للطائف ثاني أكبر قبيلة بعد قريش . وفي هذا يقول المقريري: ثم عرض ﷺ نفسه على القبائل أيام الموسم، ودعاهم الى الإسلام، وهم:

- بنو عامر، • بنو حنيفة، • وثعلبة بن عكابة، • وبنو عذرة وقيس بن الخطيم،
- وغسان، • وبنو سليم، • وكندة، • وأبو اليسر أنس بن أبي رافع،^(١)
- وبنو فزارة، • وبنو عبس، • وكناب،
- وبنو مره • وبنو بصر، • وبنو الحارث بن كعب.



فاذا اضمنا الى هذه القبائل محاولة الطائف ومحاولته مع أهل يثرب. فسنجد ان مجموع المحاولات التي قام بها الرسول ﷺ للوصول الى الشريحة التغييرية يصل الى ست عشرة محاولة.

ثم لننتقل الى نوع الخطاب الذي كان الرسول ﷺ يوجهه إلى هذه القبائل. يقول المقرئزي:

... وجعل يقول: من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي^{١١}.

وسنلاحظ هنا وضوح دور السريحة في قوله: «فمنعني». أي: أنه يريد القوة والمنعة والشوكة ممن يستجيب له من القبائل.^{١٢}

وإذا انتقلنا إلى نوع التفاوض الذي تم، ونوع الشروط التي تم وضعها؛ فسنجد أن الهدف الأساسي هو الوصول إلى قوة قادرة على وضع المشروع في موقع التنفيذ من خلال كامل أجهزة الدولة وطاقاتها وملكانها وقدراتها.

وحتى عندما حصل رسول الله ﷺ على السريحة ذات الشوكة تدرج في مفاوضاته معها. فكانت البيعة الصفري أو بيعة النساء. وسنجد أن بنود هذه البيعة خالية من قضية المنعة، وامتلاك القوة. لأنه لا يستطيع الجزم بعد بإمكانات هذه الفئة القادمة التي قد لا تملك مثل هذه القوة المطلوبة. وهكذا أرسل رسول الله ﷺ مبعوثه مصعب بن عمير إلى يثرب ليرفع واقع المجتمع البتري، وللوصول إلى السريحة القيادية التغييرية هناك.

أما بيعة العقبة الثانية، فكانت مع أهل المنعة، وكانت مع قيادات يثرب الذين يستطيعون دعم المصطفى ﷺ بالقوة التنفيذية.

إذن، هذا السعي المتعدد هو وليد دراسة البيئة. فقد كان تكوين البنية السياسية تكويناً تمتلك فيه الصبائل جيوشها الخاصة. وكان يمكن الانتقال إلى قبيلة ذات منعة، لتكوين أول نواة تمتلك قوة حقيقية، كما تمتلك سلطتها التنفيذية.

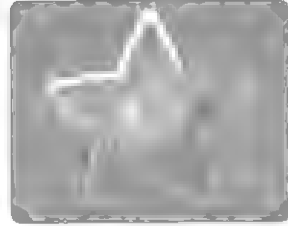
بعض العاملين في الساحة النهضةية يفتنون عند هذا النموذج، ولا يرون فيه المفهوم، بل يرون فيه الاطلاق. بمعنى أنهم يتركرون المفهوم، وهو ضرورة الوصول إلى

١١- أخرجه الشيخان في الصحيحين، واللفظ للبخاري. ١٢- أخرجه الشيخان في الصحيحين، واللفظ للبخاري. ١٣- أخرجه الشيخان في الصحيحين، واللفظ للبخاري. ١٤- أخرجه الشيخان في الصحيحين، واللفظ للبخاري. ١٥- أخرجه الشيخان في الصحيحين، واللفظ للبخاري. ١٦- أخرجه الشيخان في الصحيحين، واللفظ للبخاري. ١٧- أخرجه الشيخان في الصحيحين، واللفظ للبخاري. ١٨- أخرجه الشيخان في الصحيحين، واللفظ للبخاري. ١٩- أخرجه الشيخان في الصحيحين، واللفظ للبخاري. ٢٠- أخرجه الشيخان في الصحيحين، واللفظ للبخاري.

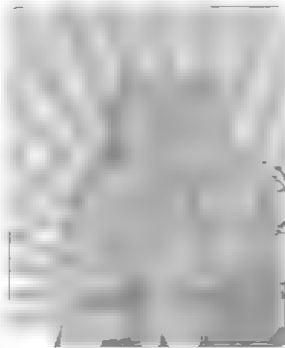
الشريعة ذات الشوكة والمنعة، وياخذون التجربة على إطلاقها، بمعنى أهمية الهجرة وتكوين جيش كما فعل رسول الله ﷺ. والحقيقة الساطعة للعيان أن من يتبع الإطلاق ويفتقد المفهوم يعاني من خلل في تصوره عن المفهوم الأساسي، وهو أهمية الوصول إلى القوة التنفيذية، أيًا كانت طبيعتها، والتي تختلف بالضرورة باختلاف الزمان والمكان والظروف.

الخيار الروسي

أما في تجربة الثورة البلشفية في روسيا، فقد كان الثوار الروس يفكرون في كيفية الوصول إلى هذه المنعة، والوصول إلى الفئة التي تستطيع أن تنقل السلطة التنفيذية إليهم؛ وهنا وقع اختيارهم على طبقة العمال. فالحزب الشيوعي حدد نقطة البدء، وحدد



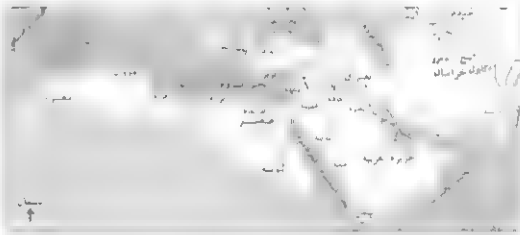
الشريعة التي ستنقل إليه المنعة والقوة، فاختار عمال المصانع. والدولة الروسية كانت تعتمد نظام النقابات العمالية، وبها الطبقات المحرومة والمتضررة من سوء إدارة النظام. وبما أنهم يملكون عصب حياة المجتمع الروسي، فإن تمكن الثوار الروس من الوصول إلى هذه الشريحة سيجعلهم قادرين على تغيير الأوضاع لصالح المشروع النهضوي. وبدلك تمكن الثوار من الإمساك بزمام المبادرة وأحداث التغيير، وفرض إرادتهم وإملاء شروطهم على النظام القيصري الذي كانوا يعملون على إزالته.



وحتى الصين في نهضتها الحديثة لم تهمل هذا القانون. فرغم اختيار ماوتسي تونغ للشيوعية كوسيلة لتطوير الصين، إلا أنه لم يستنسخ التجربة الروسية، بل اختار شريحة أخرى مغايرة للشريحة التي اختارتها الثورة الروسية. فبينما كانت شريحة العمال هي

الشريعة المؤثرة في روسيا. كانت شريعة الفلاحين هي الشريعة المؤثرة في الصين. لذا، اعتمد ماوتسي تونج على الفلاحين لاسقاط النظام الإمبراطوري الإقطاعي. وأثبت ان العفل القائد لا يستنسخ التجارب. بل يعمل على اكتشاف الطرق المنمرة المناسبة للمكان والزمان والظرف.

التجربة الباقية



وإذا درسنا نموذج قيام الدولة العباسية، فسنجد أن العباسيين قد راهنوا على التبشير في منطقته نانية هي منطقة خراسان. وبالرغم من أن القوة

المتطلعة للتعبير هي قوة عربية إلا أن اختيار أهل خراسان كان بناء على مواصفات ومعايير محددة. وضعها مؤسس الدعوة العباسية محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. حيث نجد يقول: ان الشام أموية ولا يعرفون إلا آل أبي سفيان، والبصرة عثمانيّة نسبة إلى عثمان بن عفان أي: يدينون بالكف عن القتل والقتال. ويقولون: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. والكوفة شيعة علي. وأما الجزيرة بين دجلة والفرات فخوارج مارقة. أعراب مسلمون في أخلاق النصارى. وأما مكة والمدينة فتعيشان على ذكرى أبي بكر وعمر^(١). وأما خراسان فضيها العدد الكثير والجلد الظاهر، وصدور سليمة، وقلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء. فأهل خراسان بتعبير اليوم هم «مادة خام»^(٢). هذا بالإضافة إلى بعدها عن مركز الدولة في دمشق. هذا التعدد والتنوع والتلون في اختيار الشريعة المناسبة لعملية التغيير، وفي اختيار التموّقع المناسب لشريعة البدء، لا تحده حدود، وليس له نمط واحد أو طريقة واحدة. والفكر الإنساني والتجربة البشرية غنيان بالتجارب والأفكار والإبداعات والابتكارات.

(١) مقصد: ان حينما دخلت الدولة الإسلامية بلاد خراسان لم يجدوا فيها شيئا من الإسلام، فاجتهدوا في نشره. وهذا هو المقصد من قوله: «لا تكن عبد الله القاتل».

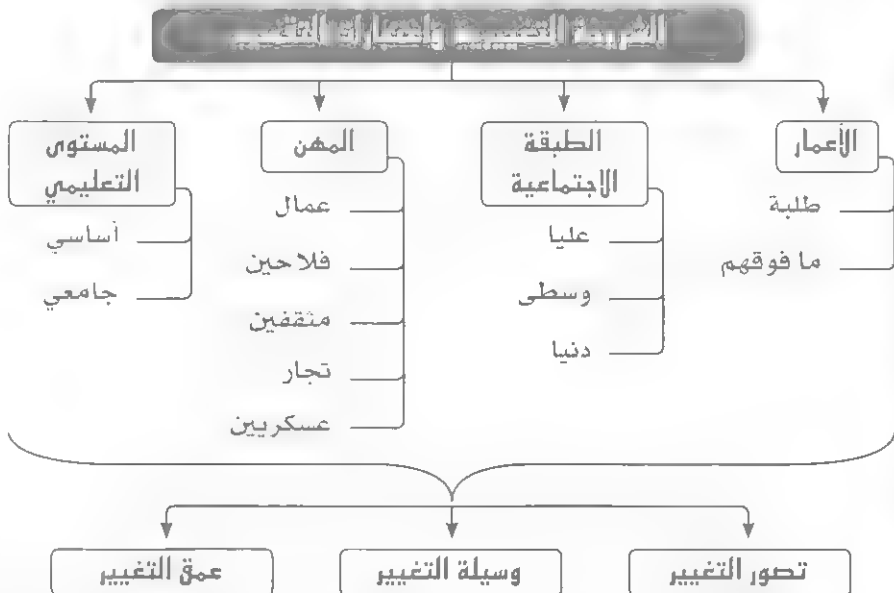
(٢) مقصد: ان خراسان كانت في ذلك الوقت كمنطقة خردة، أي: لم تكن لها قيمة أو أهمية.

لذلك، فإن الفئات التي تتكلس حول تصور واحد حول ما يجب عمله، وتغلق عقلها ولا تترك لخيالها العنان لبيدع ويبتكر: لا يمكن أن تحقق نهضة. فهذه الاختيارات الجامدة والتقليد الحرفي، يحول دون التفكير الملهدي بسن الله سبحانه وتعالى في الكون.

المبادئ التغييرية

ويمكن تقسيم الشريحة التغييرية طبقا للاعتبارات التالية:

- الأعمار: طلاب أو ما فوقهم.
 - الطبقة الاجتماعية: عليا أو وسطى أو دنيا.
 - المهن: العمال أو الفلاحون أو المثقفون أو التجار أو العسكريون.
 - المستويات التعليمية: أساسي أو جامعي.
- واختيار الشريحة المناسبة عمريا واجتماعيا ومهنيا وتعليميا يعتمد على ثلاثة عوامل:
- ١- تصور التغيير: سيناريواته ومجالاته وكوابحه.
 - ٢ وسيلة التغيير.
 - ٣ عمق التغيير (مدى التغيير المطلوب: هل هو شامل أو جزئي؟).



أما بعد التمكين، فالمجتمع يحتاج إلى كل طاقاته، سواء المختلفة دينيا أو مذهبيا أو طائفيا أو عرقيا. فكل ما يمكن أن يكون جزءا من المجتمع فالمجتمع في حاجة إليه. ويمكن استثماره في عملية البناء ما وجد الإنصاف والعدل. وكثير ممن يدعون إلى الإصلاح والتغيير تقوم أفكارهم وتصوراتهم على إقصاء الآخرين عقب التمكين. وهم بذلك واهمون ومخطئون. لأن عملية بناء الدولة تسبقها مرحلتان:

• مرحلة البقاء.

• ومرحلة الاستقرار.

وهاتان المرحلتان تمثلان مقدمتين ضروريتين للبناء.

فعادة، بعد أن تتمكن حركة أو تنظيم أو تجمع ما من أحداث التغيير والوصول إلى القوة التنفيذية، فأول ما يواجهه هو تحدى البقاء أو الوجود. بمعنى أن يستطيع السيطرة على زمام الأمور ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي تحدث عادة مع التغييرات فإذا تمكنت هذه القوة الناشئة من نخطى هذا التحدي وأصبح القضاء عليها أو إزالتها مستحيلا، تبدأ مرحلة البحث عن الاستقرار، لتبدأ بعدها مرحلة البناء. وفي هاتين المرحلتين الأوليين البقاء والاستقرار يحتاج المجتمع إلى طاقات كل أبنائه على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم وأيديولوجياتهم. فإذا ما قامت الحركة التغييرية بإقصاء البعض، وکیل الاتهامات للبعض الآخر، ورفضت الاعتماد إلا على أبنائها، فإنها لن تستطيع تخطى هاتين العفتين (تهديد الوجود والاستقرار).

لذا، فإن المجتمعات التي ستفتقد العدل لاحقا من الأفضل لها ألا تقوم، لأن الذي سيحدث بعد قيامها أنها إما أن تفقد نصاب البقاء، وإما أن تفقد نصاب الاستقرار، وبالتالي لا يحدث النماء الذي وعدت بتحقيقه.

■ العدل:

لا بد أن تكون المنظومة الفكرية لفضات التغيير صحيحة، وخاصة حول قانون العدل الحقيقي قبل أن تبشر عمليات التفكير في التغيير الاجتماعي. فمراجعة المنظومات الفكرية الموجودة عند حركات



التغيير في المجتمعات العربية والاسلامية. مقدمة ضرورية للحصول على نتائج جيدة بعد أن تدفع التكاليف الغالية في عملية التغيير.

وكل الكتب السماوية تدعو ان يقوم الناس بالقسط. وإذا افتقد العدل تحت أي مسمى او شعار ديني أو مذهبي أو طائفي. فلا بد أن تنتكس الأمور بعد ذلك. هذه المسألة يجب ان تكون من أولويات التفكير النهضوي في المجتمعات الإسلامية.

• **تساؤل: ماذا إذا فقدت أي جماعة التصور الواضح عن شريحة التغيير، وانحصرت في عملية التجميع المستمر دون رؤية لطريق التغيير؟!**

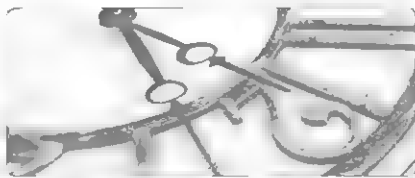
تخيل معنا ان شركة أو مؤسسة لها ضوابط معينة يتم فيها تجميع موظفين بصورة مستمرة. ثم لا يوجد عمل حقيقي لهؤلاء الموظفين. ولا يوجد تصور لتفعيلهم خلال برنامج زمني. بل يحاول رؤساء الشركة الهاءم بأي نوع من الأعمال. ماذا سيحدث بعد أن تنتقل هذه الطاقات إلى ساحة الفعل؟!

هذا الاحتقان المزمّن داخل هذه الشركة. سينتج عنه احتكاكات وصراعات وتفجيرات كثيرة. وستتحول الطاقة المبدعة من محاولة معالجة قضايا الواقع الخارجي إلى محاولة معالجة الواقع الداخلي وتشققاته وشروخه. وعندها تنتكس كل عمليات التبشير التي تمارسها مثل هذه الفئة.

وإذا كنا قد صَدَرنا كتابنا «النهضة.. من الصحوة إلى اليقظة» بباب العلم قبل القول والعمل. فذلك لأهمية العلم. فكتير من أبناء وقادة الحركات التغييرية يفتقدون العلم الحقيقي بقضية التغيير. وأدوات تحقيقه ومراحله. فهم يعتقدون أن هذا التغيير يحدث بطريقة غيبية. لا يعلمون كيفيتها. ولكنهم فقط مؤمنون بحتمية حدوثه!!

■ العامل الزمني:

إن العامل الزمني خطير جداً لأي شريحة بدء، ذلك أن وصول قادة هذه الشريحة إلى شريحة التغيير التي



تصل بالمشروع إلى أداة التنفيذ عنصر مهم يجب أن يحظى بالاهتمام والتركيز. ونلاحظ أن الرسول ﷺ وهو يبحث عن الشريعة، كان ما يشغله هو طلب المنعة والنصرة، والا فقدت شريعة البدء الاتجاه: فشريعة البدء ليست عرضة لأن تتعاقب عليها الأجيال، فتمر الأجيال تلو الأجيال، والشريعة ساكنة تكس الطاقات دون أن تجد لها تصريفاً. إنه التحدي الكبير الذي يواجه قادة شريعة البدء، إذ العنور على شريعة التغيير هو ضمان استمرار المشروع نحو أهدافه. أما شريعة البناء، فهي التي تتعاقب عليها الأجيال لترفع البناء طبقة تلو طبقة في عقود تتلو عقوداً.

مستلزمات القانون

١- المعرفة:

فمعرفة القانون هي أول ما يجب على قادة وطلاب النهضة. وتشمل المعرفة القدرة على الإجابة على التساؤلات المتعلقة بشرائح التغيير ومواصفات كل شريعة، والأعمال أو الأدوار المختلفة التي تستطيع الشرائع القيام بها، وطبيعة دور القائد مع كل شريعة.

٢- الاستخدام:

فالقانون إن تمت المعرفة به، وجب استخدامه في التغيير استخداماً محكماً، وذلك من خلال:

- اختيار الشريعة المناسبة لكل مرحلة.
- عدم تكليف الشريعة بأكثر مما تحتمل: فما تطالب به شريعة البدء غير ما تطالب به شريعة التغيير غير ما تطالب به شريعة البناء.
- الاستفادة من التجارب البشرية المختلفة.

٣- عدم المصادمة:

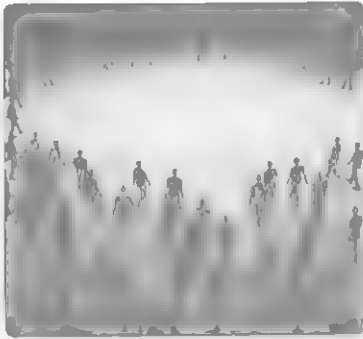
وتتم مصادمة القانون والحصول على نتائج عكسية في حالة اختيار شريعة



سطين القانون

« إن قوة الأمم ونهضاتها إنما تقاس بخصوبتها في إنتاج الرجال الذين تتوافر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة »

مفردات القانون



- الخصوبة: ونقصد بها، حيوية الأمة وقدرتها على إنتاج العدد الكبير من الطاقات القادرة على النهوض بها بلا انقطاع.
- الإنتاج: ونقصد به المخرج أو الناتج النهائي لعمليات الانتقاء والتربية والإعداد اللازمة للفرد، لكي يتمكن من المشاركة في عمليات التغيير والتحول الاجتماعي.

الأسئلة المطروحة

ان فوام اي حركة نهضوية هو الطاقات النوعية. وبدون هذه الطاقات النوعية التي نأخذ على عاتقها تحويل الافكار الى واقع، يبقى المشروع اسير النظريات، فانتقاء البسر واعادتهم وتجهيزهم لحمل المشروع والانتقال به ضرورة لا غنى عنها.

اسئلة مهمة

ان قضية التربية او اعداد الرجال نعد من اهم القضايا والملفات التي ينبغي ان يهتم بها العاملون في مشروع النهضة. وقد تعددت الاجتهادات وطُرحت الكثير من الآراء حول هذا الموضوع في مرحلة الصعود، الا انه لا زالت هناك اسئلة كبيرة تحير القادة والعاملين في المشروع. ومنها على سبيل المثال:

- من هم البشر المطلوب إعدادهم؟
- من الذي سيعدهم؟
- على أي شيء سيتم إعدادهم؟
- ما هو المخرج النهائي للعملية التربوية؟
- كم تستمر هذه العملية التربوية؟
- ما هي وسائل التربية؟
- ما هي مؤشرات نجاح عملية التربية؟
- متى يمكن ان تستوفي التربية شروط الاقدام على عمليات التغيير؟
- كيف نحافظ على المتربين؟
- كيف نسمح لهم بأن يقودوا؟
- ما المقصود بالقاعدة الصلبة وكيف تتحقق؟
- كيف ستم عملية التربية في ظل جهود تعليمية وإعلامية أخرى قد تجهز هذه

العملية التربوية؟

ونحن لا ندعي اننا نستطيع الإجابة على كل هذه التساؤلات التي تجول بعقول قادة وطلاب النهضة، ولكننا نفتح السبيل لكل مهتم بهد القصية ليعيد النظر والبحث والتفكير. وحتى يتم تطوير الملف التربوي في مسرود النهضة بما يناسب المرحلة الجديدة (مرحلة اليقظة) التي تطف الأمة على اعتبارها وتوشك أن تلج فيها.

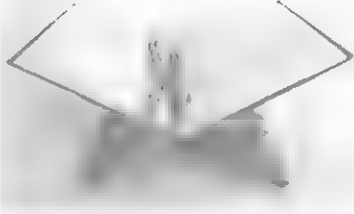
أصول التربية

التربية في الاسلام تعني بلوغ الكمال بالتدريج. ويقصد بالكمال هنا، كمال الجسم والعقل والخلق، لأن الإنسان موضوع التربية^(١). وهي تستهدف مساعدة الفرد على تحقيق ذاته، ونمية قدراته وامكانياته، وتزويده بالمهارات المعرفية والسلوكية والعملية التي تمكنه من ان يحيا حياة حرة كريمة بعيدة عن الجهل وشبح الفقر وإهدار القيمة والكرامة الإنسانية^(٢).

(١) الدكتور محمد منير مرسى، «أصول التربية»، الناشر: عالم الكتب

(٢) انظر المرجع السابق.

تربية الرسول ﷺ لأصحابه



وقبل أن نتطرق إلى تربية الرسول ﷺ لأصحابه نود أن نشير إلى تعريف المحدثين للصحابي. فالصحابي عند المحدثين هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام. ومن جهة ثانية يدخل فيمن لقي النبي ﷺ - كما يقول الحافظ ابن حجر - من طالت مجالسته

أو قصرت، ومن روى عنه ومن لم يرو. ومن غزا معه ومن لم يغز. ومن راد رؤية ولم يجالسه. ومن لم يره لعارص كالعمى . وعلى ذلك، يدخل في جملة الصحابة من شهدوا حجة وخطبة الوداع مع رسول الله ﷺ، والذين بلغ عددهم تسعين ألفاً . والذي يتأمل في تربية الرسول ﷺ لأصحابه يجد امراً عجيباً: فقد انقسم الناس باعتبار تلقيهم للتربية من رسول الله ﷺ كما وكيفا إلى ستة أقسام:

• **القسم الأول:** ويشمل الذين لازموا رسول الله ﷺ وصحبوه في مكة وبلغوا عنه الوحي اية تلو اية، مثل ابي بكر وعلى رضي الله عنهما. وهؤلاء عددهم قليل جداً اذا ما قورن بغيرهم، يصل في اكثر التقديرات الى ثلاثمائة صحابي. فاذا استبعدنا من هذا القسم المجموعة التي هاجرت الى الحبشة وكانوا يزيدون على المائة ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانى عشرة امراه فسنجد ان هذا القسم الذي لازم النبي ﷺ وصحبه وتلقى عنه مباشرة منذ مبعث النبي ﷺ وحتى وفاته لن يتجاوز المائتى صحابي.

• **القسم الثاني:** ويشمل الذين اخذوا الامر من الرسول ﷺ بترك مكة، سواء للهجرة الى الحبشة، مثل جعفر بن ابي طالب، وكان عددهم حوالى مائه صحابي. او الدين اسلموا في مكة وامرهم الرسول ﷺ بالعودة الى قبائلهم وألا ياتوه إلا ان اضطره الله على عدوه، مثل ابي ذر الغفاري وأبي موسى الأشعري.

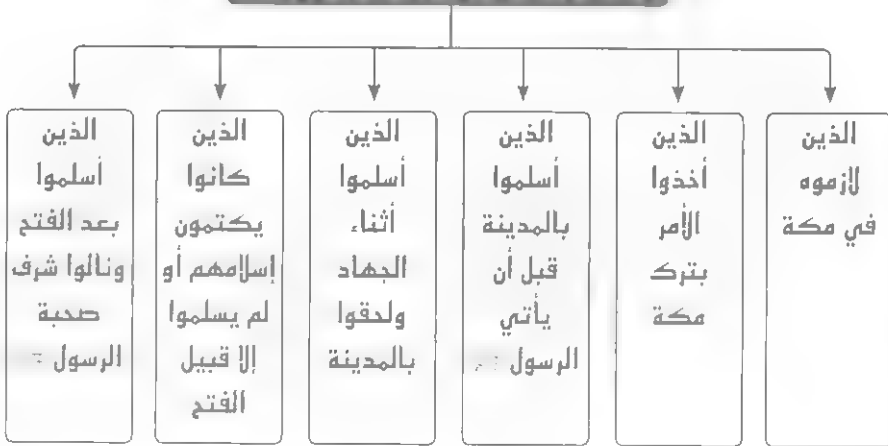
• **القسم الثالث:** ويشمل الذين اسلموا بالمدينة قبل ان ياتيها رسول الله ﷺ، وكانت البيعة معهم على النصر والجهاد.

(١) د. محمد صالح المنجد، كتاب في تربية الرسول ﷺ، دار الفکر، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الادب، ج ١، ص ١٠٠.

- **القسم الرابع:** ويشمل الذين أسلموا أثناء الصراع والجهاد فلحقوا بالمدينة. مثل خالد بن الوليد ونعيم بن مسعود وعمرو بن العاص.
- **القسم الخامس:** ويشمل الذين كانوا يكتُمون إسلامهم ولم يسلموا إلا قبيل الفتح. ولكنهم كانوا ينصرون رسول الله ﷺ، مثل العباس عم النبي ﷺ.
- **القسم السادس:** ويشمل الذين أسلموا بعد الفتح ولحقوا بشرف صحبة رسول الله ﷺ قبل موته. كسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وأبي سفيان بن الحارث. وستقف قليلا مع كل صنف من هؤلاء لتتعرف على كيفية تلقيهم للتربية النبوية. ونبحث في مقدار ما تلقوه بالمقارنة بنوعية الاداء الذي مارسوه. والمهام التي وكلت إليهم في المشروع الإسلامي.

أقسام الناس من تربية الرسول ﷺ



■ القسم الأول :

لا شك ان الذين لأزموا الرسول ﷺ في مكة مثل ابي بكر وعمر وعلى وغيرهم من الصحابة الاخبار كانوا يتلفون الوحي منه. ويتأثرون بسلوكه ووجيهاته المباشرة. ولكن المتأمل في الجرعة التربوية التي تلقوها قبل انطلاقتهم لنصرة هدد الفكرة الجديدة يجد انها يمكن ان تلخص في جملة واحدة: انهم امنوا بفكرة الرسول ﷺ.

وصنف اسلم وعاد إلى قبيلته يدعوها، ثم عاد إلى النبي ﷺ في المدينة بعد ان اظهره الله.

والذي يتأمل في إرسال الرسول ﷺ لصحابته الى الحبشة وهم ما زالوا حديثي عهد بالإسلام - يتبادر إلى ذهنه مجموعة من التساؤلات:

- ما المدة الزمنية التي قضاها الصحابة في الحبشة؟
- من الذي كان يرببهم في الحبشة طوال هذه الفترة؟
- ألم يكن أهلها يدينون بالنصرانية التي قد تفتن المسلمين؟

لقد كانت الهجرة في السنة الخامسة من البعثة. وعلى أفضل التوقعات، فإن الوحي كان يصل إلى المسلمين في الحبشة بشكل أو بآخر. لكن شخص النبي ﷺ المربي لم يكن معهم. وقد ضمت هجرة الحبشة الثانية حوالي ثلاثة وثمانين رجلا وثمانية عشرة امرأة. وإذا تأملت هذا العدد، فستجدد يتكون من مجموعة كبيرة وكتلة ضخمة من الذين أسلموا. وها هو الرسول ﷺ يبعدهم عنه وعن محضنه التربوي لمدة تقرب من الخمس عشرة سنة، ليعودوا مرة أخرى إليه بعد فتح خيبر في السنة السابعة من الهجرة.

إنها خمس عشرة سنة كاملة وهم يعبدون عن النبي ﷺ. فمن الذين رباهم وعلمهم؟ وكيف يخاطر الرسول ﷺ ويبيع بهذه المجموعة حديثة العهد بالدين الجديد ليقيموا وسط مجتمع نصراني يتعصب لعقيدته ذات الشرعية التاريخية ويدافع عنها؟ وهل بعد قدومهم إلى المدينة أجلسهم رسول الله ﷺ إلى جواره ليستكملوا تربيتهم ويأخذوا ما فاتهم أم أطلقهم لاستكمال المشروع جهادا وبذلا؟

إن المتأمل في سيرة رسول الله ﷺ، سيجد قد أطلق جعفر بن أبي طالب - زعيم المهاجرين إلى الحبشة - أميراً على راس الجيش في غزوة مؤتة بعد عودته إلى المدينة ببضعة أشهر فقط. وكان في الجيش عبد الله بن مسعود والمقداد بن الأسود، وهما من مهاجري الحبشة أيضاً.

هذا عن مهاجري الحبشة. أما بعض الصحابة الآخرين، فقد أمرهم الرسول ﷺ بالعودة إلى قبائلهم. وكان منهم أبو ذر الغفاري الذي اسلم ولم يأت النبي ﷺ في

المدينة إلا ومعه قبيلتا اسلم وغفار. ترى من الذي ربي ابا ذر وقبيلتي اسلم وغفار طيلة هذه الفترة؟

■ القسم الثالث:

ويمتله مجموعة من الأوس والخزرج الدين اسلموا ولم يتلقوا هذه التربية المكية الطويلة. فكان اسلامهم اسلام جهاد ونصرة. ولا يختلف اثنان في قصر المدة الزمنية للتربية التي تلقاها الأنصار إذا ما قورنت بالمهاجرين.

■ القسم الرابع:

ويمتله من اسلموا اثناء الجهاد والصراع، مثل خالد بن الوليد. فإذا به يقود جيوش المسلمين بعد عدة أشهر من اسلامه رغم انه لم يمر بعملية تربوية معقدة تستمر عشرات السنين.

■ القسم الخامس:

ويمتله بعض الذين كانوا يكتمون اسلامهم في مكة او لم يسلموا الا قبيل الفتح. وقد استعمل النبي ﷺ بعضهم، مثل العباس: فكان ممن شهد بيعة العقبة الثانية وهو لم يسلم بعد. بينما لم يعلم بها الكثير من الصحابة انذاك. ترى ما هي نظرية الرسول ﷺ في التربية؟ وكيف يقدم عمه وهو غير مسلم؟ أليس معرضا للفتنة؟ انه لم يرتق إيمانياً ترى هل يثبت؟

■ القسم السادس:

ويمتله الذين أسلموا بعد الفتح، من أمثال عكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية. وكلهم كانوا من الذين ابلوا بلاء حسنا فيما بعد، وثبتوا في وجه موجة الردة التي اجتاحت الجزيرة العربية عقب وفاة رسول الله ﷺ. رغم البون التاسع من حيث التلقي من النبي ﷺ بينهم وبين السابقين الأولين من الصحابة الأخيار رضوان الله عليهم جميعاً.

كيف نقرأ كل هذه الممارسات التربوية النبوية؟ وماذا كانت رؤية رسول الله ﷺ
للعلمية التربوية؟

«خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»^(١)

هذه هي القاعدة التي وضعها رسول الله ﷺ والتي تفسر لنا فكرة التربية. إن
التربية أمر لا بد منه، وهو مستمر مع الإنسان حتى مماته. لكن الإنسان المبدع القوي
المنتج وهو خارج دائرة الإسلام هو نفسه داخل دائرة الإسلام إذا فقه الدين وفقه
حقيقة المعتقد الجديد الذي آمن به. فكم أخذ عمر بن الخطاب من لحظة اعتناقه
للإسلام إلى أن يصبح قائداً لأول مسيرة أن صح التعبير طافت حول الكعبة؟ كم
أخذ من الوقت؟ وهل تلقى قدراً معيناً من المعلومات قبل انطلاقة حتى يجازي مثل
هذا الفعل؟ يقول ابن مسعود من رواية البخاري: ما زلنا أعزة منذ أن أسلم عمر .
إن عمر رضي الله عنه كان قوة للإسلام. ولم تكن قوته مستمدة من التربية التي
تلقاها أول إسلامه، بل هو الذي منح المسلمين القوة بإذن ربه.

فحمزة وعمر رضي الله عنهما كانا صاحبي باس وعزم وقوة في الجاهلية: فلما
أسلما. سخرنا هذه القوة للإسلام. لكنهما لم يكونا بحاجة إلى تربية خاصة ليكونا
قويين. وبالمثل كان سيف الله المسلول خالد بن الوليد فارساً بطبيعة الحال. وقبل
إسلامه كان سيفاً مسلطاً على أعدائه. فكان هو الذي اكتشف ثغرة المسلمين في أحد،
فهجم عليهم وقتل خيارهم. إن خالد بن الوليد لم يصنع منه الإسلام سيفاً، وإنما
جاء الإسلام ليشرقه بأن يكون سيف الله بدلاً من أن يكون سيف الكفر. فتربية خالد
بن الوليد لم تستغرق وقتاً طويلاً حتى يكون مؤهلاً لقيادة جيوش المسلمين، لأنه
كفء لهذه المهمة.

لقد وصف رسول الله ﷺ أبا در وصفا رائعاً فقال: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت
الخصراء من رجل اصدق لهجة من أبي ذر^(٢)». لقد صدع أبو ذر بالإسلام عقب
إسلامه في مكة رغم أن الرسول ﷺ لم يأمره بذلك. فكان هذا النعت له بأنه صادق
اللهجة: إذا عرف الحق، صدع به. وهكذا كانت حال أبي ذر قبل أن تتدخل أي تربية

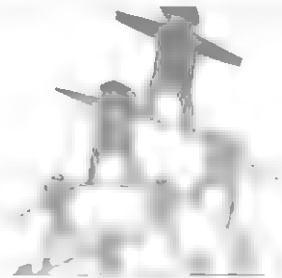
(١) رواه البخاري: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا».

(٢) سنن ابن ماجه.

جديدة لتصوغه: فإن اسلم، فهو صادق في الحق، لا يخاف في الله لومة لائم. إن عملية التربية لم تكن تستغرق زمناً طويلاً قبل أن يؤذن للفرد بالعمل، فالعمل في ذاته تربية، وهذا الانتقال لمواجهة الواقع تربية. فليس هناك ارتباط شرطي بين التربية الطويلة وبين نتائج العمل وبين العمل الذي سيقام به.

■ الجميع يشارك في المشروع الإسلامي:

يتبين لنا مما سبق عظم هذه القاعدة الجليلة. فخير الناس في الجاهلية هم خيارهم في الإسلام. ولذلك، فعلى الجميع أن يشاركوا في المشروع الإسلامي. أما التربية وتعلم العقيدة، فتكون مع الحركة والبذل، ولا فنحن نبتدع ما لم يقم به رسول الله ﷺ.



ويتوهم البعض أن هناك قسماً ما من التربية يجب أن يؤخذ قبل أن يمارس الناس العمل في المشروع من أجل تغيير الأوضاع القائمة. وهذا ابتداع لم يقم به الرسول ﷺ. ويعبر عن سوء قراءة للسيرة: فالأسود الراعي اسلم ولم يسجد لله سجدة، واستعمله الرسول ﷺ في مشروعه وفي ذروة سنامه الجهاد. فاستشهد ولم يسجد لله سجدة، ولم يؤخره النبي ﷺ بحجة عدم استكمال التربية. وهذا خالد بن الوليد يحكي في قصة إسلامه قول رسول الله ﷺ لآخيه الوليد بن الوليد سائلاً عن خالد رضي الله عنه: .. ولو كان جعل نكايته وجدد مع المسلمين على المشركين، لكان خيراً له ولقدمناه على غيره»^(١).

بل إن نعيم بن مسعود اسلم في غزوة الأحزاب، وكان المسلمون في مازق شديد، وجاء إلى النبي ﷺ يطلب منه أن يأمره بأي شيء يفعله. ترى ماذا قال له النبي ﷺ؟ هل قال له: اذهب إلى الصفوف الخلفية لتتربى على يد كبار الصحابة؟ لا. لقد أمره أن يخلد مع المسلمين ما استطاع، فاندس بين صفوف المتاركين وهو حديث عهد بالإسلام، لم يتلق بعد أي قدر من التربية، بل ربما لم يحفظ ولو آية

(١) انظر: «الهداية والنهاية» (٢٣٩/٤، ٢٤٠)؛ «التاريخ الإسلامي» (٩٥/٧).

واحدة. وبالفعل كان لهذا الصحابي الجليل فضل كبير في جلاء الاحزاب: حيث اوقع الشقاق بين قريش واليهود. لقد فعل ما لم يفهم به أبو بكر او عمر او حتى النبي ﷺ نفسه.

ينبغي ان يسارل الجميع في المشروع، فقد يوجد شخص ما خارج نطاق الدعوة. له ملكات و مهارات. و بانتقاله الى مساحات جديدة في المشروع ينقل هذه الخبرة اليه. و لا يحتاج الى جلسات طويلة لعشرات السنين، فلنا منا انه بعد ذلك سيكون انسانا منتجا و فعالا. اذ ليس هناك ارتباط شرطي بين المدد الزمنية المحددة للتربية و عملية الانتاج في مجال الدعوة والنهضة. فكم من شجاع مقدم مفكر لم يفرر العمل في المشروع. لكنه ان التحق به. نقله نقلة نوعية بجراته واقدامه ورجاحة عقله! وكم من جبان خوار متبلد المكر يعمل في المشروع ويؤخر تقدمه رغم انه يتعرض لتربية تجاوزت عشرات السنوات!

■ التوظيف الصحيح:

مما سبق نفهم ان ما كان يقوم به النبي ﷺ هو حسن توظيف للطاقات: فمن اعطاه الله فصاحة. كان متحدنا رسميا عن الدعوة. ومن اوتى الدهاء والقوة. كان قائدا عسكريا.

واليوم نجد بعض نبارات الصحة لا تستطيع ان نوظف الطاقات. فهي تتعامل مع المبرمج كما نتعامل مع الفنان. كما تتعامل مع الكاتب. الكل مكلف بمهام واحدة. وان لم يقم بها فقد نعدى الضوابط. ويتهم بسوء التربية. والواقع ان هذه الطاقات لم يحسن استيعابها ونوظيفها فيما حباها الله به من ملكات. لان كل فرد مسؤول اولا امام الله في تسخير طاقاته وملكاته.

■ التوثيق لا التربية:

وتعمل بعض الحركات والتجمعات والاحزاب هذا الاهتمام الشديد باستكمال التربية اولا قبل البدء في الفعل الجاد بان نهضة الامة ونقدمها تحارب وتقاوم من قبل الكثير من الجهات الخارجية والداخلية. وان هذه الجهات تحاول اختراق تلك التجمعات او

الحركات للقضاء عليها وعلى كل أمل للنهضة والتنمية والتقدم. وبالتالي. لابد من أن يمر الشخص الذي يريد خدمة المشروع بعملية تربوية طويلة حتى يتم التأكد من نواياه الحقيقية واستعداداته، ولضمان ولأنه.

ونشير هنا إلى أنه لابد من التفرقة بين التربية والتوثيق. فهما أمران لكل منهما أدواته وأساليبه. فالممارسات التربوية لرسول الله ﷺ وصحابته كانت واضحة واضحة. فقد اعتمدت على منهج عام يصل للجميع، ويرتقي فيه الناس بقدر اخلاصهم وبذلهم؛ وليس بأساليب مصنعة. ضررها أكثر من نفعها. لابد أن يكون هذا الفارق واضحاً في عقول طلاب وقادة النهضة. لأن عدم وضوحه يؤدي إلى التداخل بين التربية والتوثيق تداخلاً يصعب التعامل معه. بحيث تصبح الفكرة المسيطرة على جميع العاملين هي التربية الطويلة قبل العمل. فإذا تحولت الحركة السرية إلى حزب علني. فمن الخطأ أن يعتمد على نظام التوثيق. فلنا منه بأنه يمارس عملية التربية. أن وضوح الرؤية يجعل الحركة تمارس في كل مرحلة ما يناسبها من إجراءات وأنظمة، كما يجعلها لا تخلص بين التربية والتوثيق.

■ ما هي مخرجات التربية التي نريد؟

إذا ناملنا في التربية الأولى للصحابة. فسنجدهم نربوا على الاستقلال والمسؤولية الفردية. يقول الله تعالى: ﴿وكلهم إليه يوم الضامة فرداً﴾. ويقول: ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون﴾. ويقول: ﴿وان ليس للانسان الا ما سعى • وأن سعيه سوف يرى﴾^{٣١}.

وقد وضع حسن البنا رحمه الله قاعدة تربويه لذلك. فقال. علمود اي الجبل

• استقلال النفس والقلب.

• استقلال الفكر والعقل.

• استقلال الجهد والعمل.^{٣٢}

٣١ - سورة النجم: ٣٩

٣٢ - سورة النجم: ٣٩

٣٣ - سورة النجم: ٣٩

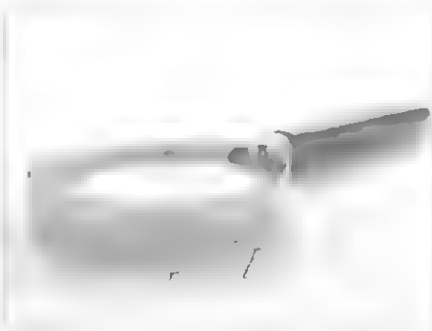
٣٤ - سورة النجم: ٣٩

أما قوله: «استقلال النفس والقلب»، فيقصد به حب الحق لا حب الأشخاص. أي: التعرف إلى الفكرة لا التعرف إلى الأشخاص. فكتير من الناس يهتم بمعرفة الأشخاص، ولا يتساءل أبدا ما هي الفكرة التي يطرحونها؟. لم يناقشها أو يبحث فيها أو ير أبعادها. لكنه مقلد في المطلق؛ فعندما تقال له فكرة. يقول: من قائلها؟ فإذا قيل له فلان. رفضها وإن كانت حقا. وإن قيل: إن قائلها فلان، قبلها ولو كانت باطلاً -.

كيف يمكن تربية جيل النهضة على أهمية التعرف إلى الأفكار، ومناقشتها مناقشة علمية موضوعية، بعيدا عن الحماس والعاطفة؟! هذه مسألة في غاية الحيوية. وإذا استعرضنا القطاعات الكبيرة من العاملين في ساحة النهضة اليوم لنرى كم منهم يعرف على وجه اليقين وليس على سبيل الظن الفكرة التي يتحرك من أجلها! وكم منهم يستطيع أن يشرح فكرته لغيره في شكل واضح لا يقبل لبسا. ويجب على التساؤلات المطروحة عليه؛ فسنجد قلة قليلة ممن تعرف ما الذي تتحدث عنه، بينما تجد أن الكثرة الغالبة هم أتباع مقلدون لأشخاص أو لجماعات أو لاتجاهات أو لتيارات.

كما ان استقلال النفس والقلب يعني الارتباط القلبي بالله سبحانه وبالإسلام ديننا. ارتباطا لا يعكده أي ارتباط اخر. ومن ثم فكل من يقدم انجازا لنصرة دين الله فنحن نحبه وندعو له، حتى وان كان يخالفنا أو يتبنى فكرة غير التي نراها. انه القلب الذي عبد الله رب العالمين واحب فيه وابعض فيه، وليس القلب الذي عبد الجماعة أو الحزب، فأحب من في الحزب وأعرض عن سواهم.

ثم انظر الى قوله: استقلال الفكر و العقل . فالיום في عمليات التدريب العام. هل يلقي الناس اجابات معينة ام يدربون على النظر الناقد وعلى الفكر المبدع ويطالبون بايجاد حلول لما هو مطروح عليهم من أسئلة الواقع؟ وليسأل كل منا نفسه: ما هو حجم تعليم منهجيات التفكير داخل هذه البنية الواسعة المنتشرة من التيارات والأحزاب والتنظيمات وغيرها؟ سنجد ان القليل يسمح بممارسة هذا النوع



من المنهجية. فبعض تلك التيارات لا يتساءل عن أموره الداخلية، ناهيك عن الواقع المحيط خارجه. فأين نحن من استقلال الفكر والعقل؟

لابد أن يمتلك طلاب النهضة وقادتها أدوات النظر والبحث، خاصة في الشريحة العليا التي تمثل الطبقة التي توجه

الآخرين. فعندما يصل الى هذه الطبقة العليا (القيادة) من لا يمتلك اي ملكة في التفكير الناقد او التحليلي او التصوري، فإنه يقتل التفكير بين العاملين معه؛ فينشأ الجمود تبعاً لذلك. هذه قضية خطيرة يجب معالجتها في تيار النهضة الإسلامية. لابد من تعليم الفكر الناقد أي: تعليم المنهجيات التي يتم بناء عليها قراءة الواقع وتعليم المكر الابداعي لايجاد الحلول لقضايا الواقع. بحيث لا يتجمد الذهن عند عمل مفكر ما. مهما جل قدره وعظمت مكانته وصعد نجمه في لحظة من اللحظات. بل يجب أن يكون التفكير المبدع مفتوحاً. بحيث يستطيع الناس أن يتخيلوا وأن يناقشوا وأن يطرحوا أفكارهم. هذه الأفكار المبدعة التي تحلق بالناس وتوجد حلولاً للواقع الصعب. قد تأتي من أي مكان ومن أشخاص قد لا يأبه لهم. ويجب تدريب الناس على تقديم هذه الحلول ومناقشتها وبحثها والنظر فيها.

المسألة الثالثة: استقلال الجهد والعمل.. فكثير من الناس يكتفي بمجرد الانتماء الى تيار الصحو. فإذا مرت السنوات، لم يكن له إنتاج ولا مشاركة ولا عطاء. فإذا توقف الناس. توقف. ولا يتساءل ما الذي افعله أنا؟ كيف يمكن ان اساهم في نهضة الامة؟ انه لا يتبنى او يدعم مشروعاً، ولكنه فقط ينتظر مع المنتظرين.

فتعليم الناس استقلال الجهد والعمل يعني ان يكون الشخص مستقلاً بجهد وعمله؛ فإذا عمل الناس. زاد عملهم خيراً ونمعا ودعماً، وإذا توقفوا سارع إلى العمل والانتاج غير ابه بتوقفهم او سكونهم. نلاحظ ذلك في المبادرة العمرية في مكة لجعل المسلمين يطوفون حول البيت. فنقلهم بذلك نقلة جديدة لم يطلبها منه القائد رسول الله ﷺ. إنه لم يكتف بما كان المسلمون يقومون به رغم ان معه القائد الموحى

إليه لكنه فكر ونظر كيف ينقل المشروع نقلة جديدة دون أن يكون ذلك بأمر مباشر من القيادة.

وهناك ظاهرة خطيرة، ألا وهي تطُّع الكثيرين من طلاب النهضة إلى العمل والممارسة، بغض النظر عما ينتج عن هذا العمل. هذه النظرة الخاطئة في انفصال النتائج عن العمل خطيرة ومنتشرة، ويتم التقنين لها من خلال التلقين السكوني لآيات وأحاديث معينة، ووضعها في غير موضعها، والانقسام نشأ بشكل واضح وسافر: فالناس تطالب في أعمالها ووظائفها اليومية بالنتائج. وإذا لم نتحقق هذه النتائج، فهم مهددون بالطرد والفصل أو الخصم أو غيرها من العقوبات. أما في أمر الدعوة وانجاز المشروع الإسلامي، فالقول الشائع: «إننا نكل الأمر إلى الله سبحانه وتعالى وليس إدراك النتائج علينا!! نعم.. إدراك النتائج على وجه الجزم ليس بيد الإنسان فهذا ظرف يخضع لأمر الله سبحانه وتعالى ومشيئته. لكن علينا أن نحاسب أنفسنا على أخطائنا. وننظر إلى المنهج القرآني الذي يعلمنا ذلك: فهو ينسب النصر لله سبحانه وتعالى. يقول تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. أما عندما تحدث الهزيمة، فيقول تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾. فتحدث عملية مراجعة للخطوات والإجراءات والقرارات، وتبحث كل هذه السلسلة حتى يستفاد من هذه التجربة للتجربة اللاحقة. أما إن يتم تجاوز هذه المنهجية، والهروب إلى مساحات أخرى يتم الانكفاء عليها لمحاولة نسكين الناس ومنعهم من التساؤل حول النتائج والانجازات والعمل: فإن ذلك يؤدي إلى تكرار للأخطاء باستمرار.

■ القاعدة الذهبية:

يخاف البعض من المراجعات خسية اتهام النوايا وفساد ذات البين. ونود أن نؤكد أن القاعدة تقول: «ربنا اغمر لنا ولاخواننا الدين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في

قُلُوبَنَا غَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. "فالسابقون بذلوا جهدهم. وهذا ما استطاعوه في فترتهم ومرحلتهم. فنحن لا نريد ان نحاسب الاشخاص ونتهمهم في نواياهم. فربما كانت قدراتهم محدودة، وربما كان الظرف اقوى منهم. ولكن المراجعة تتم لسلسلة الاجراءات والقرارات، لمحاولة تجنب الاخطاء التي حدثت. والاستفادة من التجربة ونقلها لأجيال المستقبل.

ان من اكبر الجرائم ألا نقوم باي مراجعة حقيقية. ثم ننسب الفضل الى الله سبحانه وتعالى - والعياذ بالله - بحجة أن الله هو الذي أراد ذلك الفضل.

أهمية التربية على الاستقلال

ان إهمال التربية على الشعور بالاستقلال الفلبي والعقلي والعملي بين بعض تيارات واحزاب مباركة تعمل في المشروع أدى الى انتاج جيل مربى تربية الاطفال. فهو دائما يشك في قدراته. وهو دائما ينتظر فعل من هو اكبر منه. كما انه متعصب الى حزبه تعصباً يحول دون رؤية أي خير في أي تيار آخر.

إننا نريد ان نخرج جيلا من القادة، وليس جيلا من الاطفال: جيلا يبادر وليس جيلا ينتظر. جيلا يوحد الامة وليس جيلا يتقوقع على منظمته. جيلا شابا وليس شبابا شاخ بروحه وبِعزيمته. ففقد اهم ما يميز الشباب. ان نزع الشعور باستقلال الجيل تعني التبلد الذهني وجمود العمل.



من هو الشخص الذي نريد؟

مما سبق يتبين لنا ان تيار الصحوه اليوم بعد هذا الاحتصاد الكمى الضخم بحاجة الى ان يبحث عن الدرة المفقودة. وعن الاشخاص الذين ينقلون المشروع نقلة

نوعية. إنه يبحث عن عمر الفاروق الذي يعطي المشروع قوة وطاقة جديدة. إن واجب المرحلة اليوم ونحن على وشك الانتقال إلى مرحلة اليقظة - أن نبحث عن القوة النوعية، نُنقّب عنها، ونبدل في سبيل ذلك كل ما نستطيع.

■ إنسان النهضة:

إننا نريد إنسان النهضة الذي لديه خمس صفات: الرباني، العامل، المفكر، الجريء، المنتج.

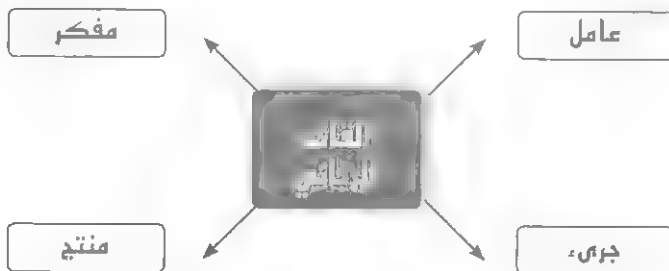
• **الرباني:** المعلق بالله وبمنهجه وشرعه: فلا يعبد إلا الله، ويسخر ما تحت يده لله، فهو يحب في الله ويبغض في الله. ولا يقصر الحب على من كان معه ويبغض من خالفه، بل يحكم أمر الله وشرعه في كل أحواله.

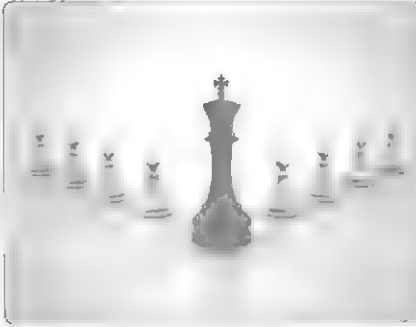
• **العامل:** الذي قرر أن يهجر السكون، ويبدل لدين الله ولو قعد المسلمون جميعا.

• **المفكر:** الذي يعمل عقله ويمتلك أدوات التفكير الناقد والإبداعي، ويمحص سبل العمل. ولا يتوقف عند فكرة شخص ما، بل يعمل عقله في ما يطرح عليه، ساعيا للتطوير الدائم.

• **الجريء:** الشخص المقدم الشجاع المضحي: فهو جريء في فتح مجالات جديدة وفي استخدام وسائل جديدة، وجريء في مناقشاته وفي تساؤلاته. إنه لا يخاف في الله لومة لائم.

• **المنتج:** الذي يتأكد من أن كل وسيلة يقوم بها منتجة. فإن لم تنتج، غيرها أو طورها. فهو لا يعبد الوسائل، وإنما يبحث عن النتائج ويُفني أداءه تبعاً لذلك: فهو شخص الإنجازات الذي لا يؤمن بأي تبرير للفشل.





كيف نعد إنسان النهضة؟

ذكرنا أن علينا البحث عن الدرة المفقودة، وعن الجائزة الكبرى التي تنقل المشروع بإمكاناتها ثقلة جديدة، لكن ذلك لا يمنع من أن تتم عملية تربوية جادة لإعطاء العاملين في النهضة الملكات التي يتحولون بها من الغنائية إلى القوة النوعية. ونقترح لذلك، هذه الحزم الثلاث:

- حزمة الأدوات الشرعية: مثل العقيدة، وأصول الفقه، وغيرهما.
- حزمة الأدوات الإدارية: مثل التخطيط للمستاربع، وكتابة التقارير، وغيرهما.
- حزمة العلوم الإنسانية: مثل التحليل السياسي، وفلسفة التاريخ، والجيوبوليتك، وغيرها.

وبدون أن يمتلك الجيل أو قادته على الأقل هذه الأدوات، سيظل لعبة في أيدي خصمه. ونقترح أن تبسط هذه الأدوات، وتدرس لجموع العاملين في مشروع النهضة؛ فكلما انتشر الوعي بها، كلما زادت القوة النوعية وكلما تحسن الأداء وزاد الإنجاز. إن التربية لا ينبغي أن تغلب جانباً على آخر. ولا بد من إعطاء الجسم حقه، والقلب حقه، والعقل حقه.

■ آليات التربية:

نحن نحتاج إلى ثورة حقيقية ومراجعة شاملة لقضية التربية. وفي هذا السياق يجب التفريق بين ضرورة التربية وآليات التربية وأدواتها. فلا يختلف اثنان في أن التزكية والتربية ضروريان، لكن الآليات هما اللتان فيهما سعة ومرونة. وتنقسم هذه الآليات إلى آليات عامة وآليات خاصة:

• الآليات العامة:

وهي الآليات والوسائل العامة التي كانت على عهد النبي ﷺ وسنّها لنا، وآليات

أخرى أتى بها الوحي الكريم: مثل الصلوات الخمس، وإحياء الليل، وأذكار الصباح والمساء وأذكار الاحوال، والحج والعمرة وغيرها من الوسائل التربوية. إن الآليات العامة تشمل كل أمر أو نذير أو نهى. وينبغي أن تأخذ هذه الوسائل الربانية حقها. وتعتبر هذه هي الوسائل الأصلية في التربية: فكل أمر وكل نهى له مردود تربوي لتزكية النفس. وهذه يجب أن تتم على طبيعتها لأنها توقيفية، ولأنها تصبغ كل الأمة مجتمعة. هذا في الجانب الروحاني التزكوي العام. أما المجال التصوري النظري، فالباب باب اجتهد بتغيير فيه الوسائل بتغيير الاحوال والظروف وتقدم العصر وحاجاته المختلفة من العلوم والمعارف.

• الآليات الخاصة:

وهي الآليات التي تخص كل كيان تنظيمي صغر في شكل افراد أم كبر. في شكل مؤسسة او حكومة. وهي ايضا خاضعة لمعيارين: الاول: موافقتها للشرع، والثاني: مدى تحقيقها للأهداف المطلوبة منها.

■ قواعد مهمة:

وهناك نقاط مهمة يجب الانتباه اليها حتى لا يتم الخلط بين الآليات الخاصة والعامة:

- يجب عدم اهمال الآليات العامة التي شرعها الله ورسوله بحجة الآليات الخاصة. فإن العامل بذلك يفقد وسائل مهمة جداً من الوسائل الربانية.

وقد كان تنوع الآليات التربوية بين السرية والعلنية في عهد الرسول ﷺ يخضع للظروف. والاصل هو التربية العامة في المسجد والاستئناء تبعاً للظرف. فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتعلمون في مجالس الرسول ﷺ، فمجالسه كانت هي المعلم الأساسي للصحابة رضوان الله عليهم. وما يذكر عن دار الأرقم في السيرة النبوية المطهرة هو استئناء للاصل: فهناك كانت فئة مطاردة لا تمتلك أي منصة علنية تقف عليها، إنه ظرف محدد قاد الى مثل هذا الأداء، وهو تقليد لم يستمر سوى مدة قصيرة قد لا تتجاوز الشهر. ترى كم نمتلك من معلومات عما كان يدور في هذا

اللقاء ١٩ فقد نسجت حوله التصورات ونم البناء عليها، واعتبرت اللقاءات الخفية في دار الأرقم من المطلقات، وأنه يجب أن يستمر هذا مع كل الدعوات في كل الأوقات، أنه أمر فيه مبالغة شديدة ومجافاة للواقع العملي الذي نشهده في بعض الدول من حولنا وفي التجارب الإنسانية التي تحيط بنا.^(١)

وبعض الناس يرى أنه لابد من التربية السرية، وكل ذلك مرهون بشروط وظروف. فهذا التكلفة الضخم في السرية والموجود داخل بعض الأطر النهضوية في الأحزاب والمنظمات يضر مشروع النهضة في المجتمعات الإسلامية ضرراً كبيراً، ويزيده انغلاقاً.

• يجب عدم الهروب من العمل الجاد والبذل بحجة أن الأفراد لم يتربوا بعد. فالآليات الربانية العامة هي الأصل، والتي كان منها الصدع بالدعوة والجهاد والبذل على اختلاف المستويات التربوية. فالدعوة والبذل من الآليات العامة التربوية التي شرعها الله للأمة، وليست عملاً منفصلاً عن التربية. فاعمل والتضحية والقيام بالأعباء تربوية، وتربية أساسية. أما التربية النظرية، فإنها تأتي كداعم لهذا المشروع والعمل له على بصيرة، أما من يقعدون سنوات دون إنتاج وعمل ينتظرون تحولا ما في شخصياتهم ليبدأوا العمل، فهؤلاء واهمون وسيطول انتظارهم.

• إن عملية التربية عملية ديناميكية فيها بدائل كثيرة، وهي رهينة الظروف والتحويلات والادوات المتاحة. ونحن اليوم في عصر الثورة التقنية؛ فالوسيلة المعرفية ووسائل نقل المهارات أصبحت متعددة وكثيرة. وقد يقول قائل: إن التربية تحتاج إلى صحة واقتداء. وهذا صحيح، لكن ليس بالضرورة إنها درسا صغيرا في مكان مغلق، فالإنسان قد يصبح قادة النهضة والمتحركين في النهضة ويرى سلوكهم ويقتدي بهم ويتعرف عليهم ويعاشرهم ما اتاحت له الفرصة^(٢)، وليس بالضرورة أن يجلس في

(١) يقول الأستاذ محمد أمين حسن في كتابه "دولة الإسلام" أوله في سبب لاجتماع السيرة والتواريخ: "ربح مقصود، وفقد شيء من الأمانة والحيثية في ذلك، لأنهم في ذلك مقصرون، ولكن المرجح على ما ساء من عيوبه من سرف في حركته، وألغى في حركته الكتمان"، أما عن دولة بغداد، فإنه يقول: "دولة بغداد في ذلك لا تتجسد في ذلك، لأنهم في ذلك جعلوا مدنية، فمقتضى

(٢) في بعض الدول لا يستطيع بعض الناس مقابلة قادة النهضة، حتى هؤلاء لا يجدوا وسائل التي تيسرهم، لكن لا ينبغي أن نحمل مسؤولية ذلك على هؤلاء، فبعض مقدمات النهضة في ذلك لا يرى، وعدم جرد من حركتهم من لائمه، فبذلك

جلسة مصغرة في شكل مستمر إلى ابد الابدین. بدعوى أنه قرر أن هذه هي الوسيلة الوحيدة للتعليم. وإن كان هذا ليس محرماً وليس خطأً. ولكنه ليس من المطلقات أو المسلمات، فليس هذا هو الشكل الوحيد الذي يجب أن تتخذه التربية؛ فيمكن أن تكون لحركة النهضة خلق العلم والتفقه، ويمكن أن تكون لها مجالس التوجيه والوعظ، ويمكن أن تكون لها أشكال غير ذلك حسب الظروف والبيئات.

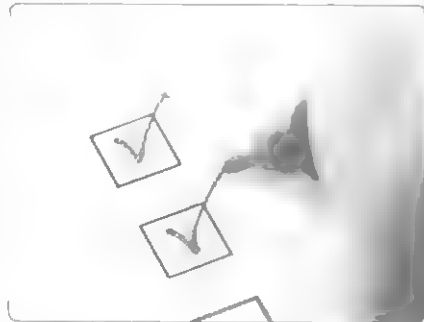
تعليم الوسائل التربوية

إن لكل وسيلة (خاصة) سلبياتها وإيجابياتها، ولا بأس من تعدد الوسائل وتجريبها. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل تمت دراسة هذه الوسائل لتقييم نتائجها على وجه الحقيقة لا وجه الانطباع؟ فالبعض يطرح وسيلة تربوية ما، ويدعي أنها وسيلة للتعليم. فكم من الناس تعلم منها علماً شرعياً أو دنيوياً؟ يجب أن يكون هناك إحصاءات لرفع الواقع الحقيقي. ومن الأسئلة المطروحة لتقييم أي وسيلة تربوية:

- ما الهدف منها؟
- هل هي وسيلة توجيه أو تدريب أو بناء روحي أو علمي؟
- هل هناك وسائل أخرى أفضل منها؟
- إذا لم يوجد الآن، فهل يجب التفكير في وسائل أفضل؟
- كم من الأفراد يستفيدون من هذه الوسيلة؟
- ما رأي العاملين في الوسيلة؟
- ما المدة الزمنية التي بعدها يجب تقييم الوسيلة؟

• هل تقييمنا للوسائل انطباعي يعتمد على الإحساس أو أنه تقييم رقمي؟

فإذا قلنا: إن وسيلة ما تستخدم للالتقاء والتجمع والتناصح وعمل الخير في مكان ما، فيجب الإجابة على هذه الأسئلة ودراسة مفرداتها منفصلة عن بعضها، لمعرفة كم يتحقق منها على أرض الواقع



لتقويم هذه الأداة؟ فبدون هذه الدراسات، سيكرر الناس وسائل، ويهدرون أعمارهم بناءً على انطباعات وتخيلات وأوهام. لكن هذه الوسائل قد لا تصمد عند البحث العلمي كثيراً.

ونحن لا نهدف من بحثنا هذا أن نهدم وسائل تربوية، ولكن كل ما نريده أن يتحول تيار النهضة من التقليد والمحاكاة والاكتفاء بما هو قائم، إلى الرشد واليقظة والتفكير المستمر في ما هو أفضل وأحسن. نحن نريد للتجمعات والتيارات أن تجود أعمالها ووسائلها بصفة مستمرة ودورية. ولا يهمنا في كثير ولا قليل شكل الوسائل أو طبيعتها، إنما نريد أن نرى منهجية صحيحة في التفكير والبحث والانتقاء والاختيار، بغض النظر عما سينتج عن هذا الاختيار من وسائل وأدوات.

بعض الأخطاء التربوية

١- تبرير الفشل:

لابد من التوقف عن تبرير الفشل من خلال عدم المراجعة و التقييم، ولابد أن يمتلك العاملون أدوات المراجعة والتقييم العلمي، وأن يزودوا بادوات فن الاختلاف في جو من المودة والحب والرحمة، تجنباً للاصطدام الداخلي بسبب عمليات المراجعة. فيجب أن يتعلم الانسان أن هذه المراجعة لاكتشاف الحقائق وتقرير ما يجب عمله في المستقبل، ولا محاكمة للماضي وأشخاصه.

٢- تكرار السير في الطرق المسدودة:

ومن الأخطاء المتكررة في عملية التربية تكرار السير في الطرق المسدودة. فقد تجد حركة النهضة أماكن مسدودة في مناطق معينة من العالم. ثم تستمر في السير في نفس الطريق مراراً وتكراراً لتلقى نفس النتائج. وليس ذلك من الحكمة، إنما هو من الانغلاق الذي تفرضه عليها أفكار ونماذج معينة.

٣- التربية أداة من أدوات الضبط التحكم:

ومن الأخطاء التربوية التي تحيط بعملية النهضة أن تستخدم التربية داخل

بعض الاحزاب والحركات والمؤسسات والاتجاهات كاداة للتحكم لا للوصول إلى الأهداف: فيصبح التحكم في ذاته غرضاً من اغراض التربية. ولا تصبح عملية دفع الناس لتحقيق الاهداف هي الغرض الاساسي منها. والضبط والتحكم في ذاتهما ليسا عيباً. ولكن اذا غلبا على قضية الوصول للاهداف واصبحا غاية. صارا خطراً محدقاً وكبيراً، وتحولاً إلى أداة من أدوات التخلف.

ومن مظاهر سوء استخدام ادوات التربية حرص بعض المؤسسات على تربية افرادها على مبدأ الطاعة العمياء: فالمطلوب من الفرد ان يطيع دون تردد ولا تلتم ولا كثرة سؤال. وكلما كان الفرد اقل تساؤلاً كلما كان افضل وانجب. وقد يتساءل الفرد فيتم ضبطه بالتذكير بالطاعة. ومن اخطر ما يورث الجمود ان يطالب الافراد بالطاعة العمياء وهم لا يرون طريقاً امامهم. ولا يرون مراحل مرسومة من قبل القادة. ولا يرون اهدافاً محددة. فالطاعة هنا تستخدم كاداة لتسكين الجموع. لكن الطاعة مطلوبة. وهي اداة فعالة في التنظيمات الجادة التي تطرح لاتباعها مشاريعها وتحدد وسائلها. وترسم خطواتها. ثم تطالب اتباعها بالطاعة. فأكرم بها من طاعة على بصيرة!

اما الطاعة بدون تردد فيما ليس بمعصية لله. فهي السكل الامثل في الجيوش وما شابهها. لذلك. لا نجد نقاشاً او حواراً في الجيوش النظامية بين القائد الاعلى رتبة وبين جنوده: فاوامر لا بد ان تنفذ في الحال. واذا لم تنفذ يقدم الجندي الى المحكمة والقضاء العسكري. حيث ان الممارك لا تحتل إثارة الخلافات.

٤- الوصفة الواحدة:

ونقصد بها. أن يظن المنصدي للعملية التربوية ان اتباعه لابد ان يمروا بنفس المراحل التي مر بها لكي تحسن تربيتهم. ويجب ان يتلقوا بنفس السكل: يستوي في ذلك من كان من اتباعه من اهل العلم ام لا. كما ان تقييمه لارتفاع الحالة الايمانية عند اتباعه يكون بالقياس على الامور التي ترفع ايمانه هو. وهذا خطأ فادح. فرب إنسان يرفع ايمانه الجهاد. ورب اخر ترفع ايمانه الدعوة الى الله. ورب ثالث يرفع ايمانه تدريب الجيل على الوسائل الحديثة لنشر الدعوة.

■ ٥- شيخوخة المؤسسات:

فبعض المؤسسات تعاني من الشيخوخة. ولا يشترط أن تكون الشيخوخة متمثلة في كبر سن قادتها، ولكنها تتمثل في أن المؤسسة تعامل أتباعها كاطفال، فهم لا يدرون ولا يعلمون شيئا عن مصلحتهم، وأباؤهم ادرى بما يصلحهم. كما تتمثل الشيخوخة في كون الأعمال التي يفترض أن يكلف بها فتي، عنده ست عشرة سنة، يقوم بها شاب جاوز الخمسة والعشرين عاما، والأعمال التي يفترض أن يقوم بها شاب في الثلاثين، تجد رجلا تجاوز الخمسين من عمره يقوم بها. وهكذا تسيطر الشيخوخة على بعض المؤسسات نتيجة الانغلاق وقلة المتاح من برامج العمل المنتج، وتحول اصغر الأعمال الى قضايا تشغل بال اعلى المستويات المؤسسية، نتيجة هذا الانخفاض في مجال الاعمال المنمرة، وتخيل معي لو ان مؤسسة ذات شأن تتناقص العائدات على استثماراتها باستمرار، وجل ما يشغل صانعي القرار فيها كيفية ترتيب صالة الزوار أو ألوان الأبواب فيها، فكيف يكون مصيرها؟

■ ٦- الفهم الخاطئ للقاعدة الصلبة:

بعض الناس يتحدث عن مصطلح (القاعدة الصلبة)، حتى اصبح من المسلمات. وهو وان كان مصطلحا منتشرا، الا ان تحويله إلى هدف محدد يمكن تكميته بوضع كم له، وتوصيفه، وتحديد شروط المدخلات وشروط الانتساب لهذه القاعدة، واليات جعلها صلبة وتحويلها لحقيقة امر محال. ويصعب ان يتم في اي بقعة من العالم. فلو نظرنا الى الشروط التي حددها من كتبوا عن القاعدة الصلبة، لوجدنا وصفا يشمل كل اوصاف المؤمنين في القران الكريم. وربما يضيف عليها البعض شروطا اخرى يرونها ضرورية. ولو نظرنا الى الواقع العملي، فهل تتحقق هذه الشروط في احد؟! وهل يمكن ان تستمر في حالة وجودها؟! فالشروط التي ندرج نحتها مثل هذا المعنى يكون تحققها شبه مستحيل. لانها تتكلم عن الانسان النموذج. وبالتالي، نجد امامنا معضلة من البداية قبل ان نبدأ بتحديد كم هذا القاعدة، وتحديد المدى الزمني لادخال هؤلاء الافراد بهذه المواصفات ضمن هذه الدائرة المسماة (بالقاعدة الصلبة). كما ان الاحزاب والجماعات تتفاوت في التوصيف الشرطي تشددا او تساهلا،

فيدخل عند البعض كل الناس. وعند آخرين قد لا تجد إلا فرداً أو فردين.

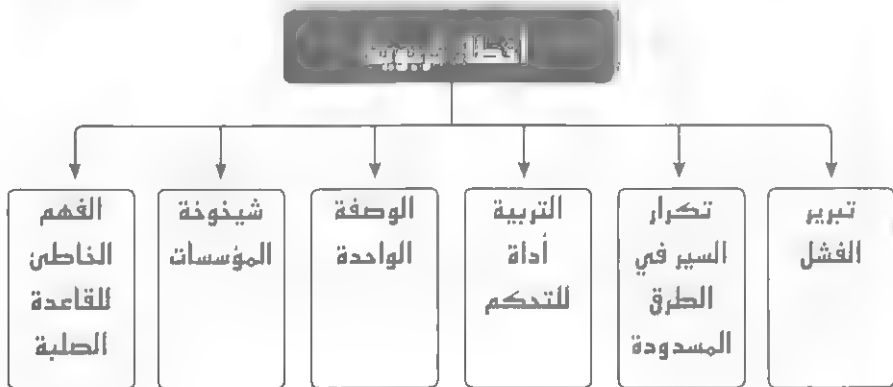
إن الحديث عن تكوين (القاعدة الصلبة) يحتاج إلى إعادة نظر؛ ليس لمحو هذا المصطلح من قاموس التربية. وإنما لتحديد المعنيين به. ومهما كان الاختلاف حول توصيف المصطلح، فإنه لا بد من ألا يكون حائلاً دون البذل والعمل بحجة التكوين. فالقاعدة الصلبة المكية والتي يستشهد بها دائماً هي التي تحمّلت وفدت وضحت، وبعضهم لم يتلق أي قسط من التربية الطويلة، فما إن أسلم حتى صب عليه العذاب صباً.

إذا أردنا أن نتحدث عن تكوين (القاعدة الصلبة)، فإنها تتكون في أتون العمل والبذل. وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي هم أبطالها. وإن كان أبو بكر وعثمان وعلي شهدوا المرحلة السرية التي قد يرى البعض أن تكوين (القاعدة الصلبة) كان فيها فإن عمر رضي الله عنه لم يشهد هذه المرحلة. وكان دائماً من الثابتين. فالإحجام لم يرب يوماً من الأيام صحابياً، ولم نسمع عن صحابي انكفأ على نفسه ثم أخذ عضوية الانضمام إلى القاعدة الصلبة.

إن تكوين (القاعدة الصلبة) في رأينا ليس من أهداف التربية، فهي تتكون وحدها من أناس حملوا المشروع وانطلقوا به. ويتشرفون بالانضمام إليها كلما زاد سهمهم في البذل والعطاء. إنها ليست قاعدة القاعدين والمخلفين، إنها قاعدة الراكضين المخلصين. أما حديث الرسول الذي ذكره سيدنا عمر بن الخطاب في رسالته لعمر بن العاص لن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة، فهو يفسر نفسه: فالقوم الذين مع عمر بن الخطاب هم من عموم القبائل العربية. ولا تذكر لنا الأخبار أنهم كانوا محل انتقاء متكلف للقيام بالعمل. ثم إن عمر بعث لهذه القوات أربعة آلاف كمدد، وفيهم أربعة أفراد: هم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد، وهؤلاء من الأبطال المجربين في الحروب، وهم نتاج البيئة وليسوا نتاج أي شكل مصطنع من التربية. وعلى ذلك، نفهم أن القاعدة الصلبة التي تخطر في أذهان البعض ليس لها واقع عملي، بل هي نسبية متغيرة بحسب الأحوال والظروف، وترجمتها في الواقع بالشكل الذي يطرحه البعض هو ضرب من الخيال لا يصمد للتحقيق العلمي، وأن التربية أيّاً كانت ولو كان المربون من الأنبياء ليست ضماناً

من الانحراف لسهولة أو لتسببه، وما كان جهد الأنبياء إلا على قاعدة «فذكر إنما أنت مذكر • لست عليهم بمسيطر»^{١١}، وكل جهد يعتقد صاحبه أنه صمام أمان مطلق كما نشاهد في الواقع من نسبة كل قصور في الأداء أو تحول في الفكر والتصور أو مخالفة لقصور في التربية فإنه تحميل للتربية بما لا تطيق، ومجاوزة للممكن والعملي واغراق في ما لا طائل منه. وكل مبالغة في الشروط والتحوطات لتفعيل الطاقات هو قلب لحقيقة أن «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إن فقهوا»، فإن العنصر ذا المعدن القوي خارج نطاق الدعوة هو العنصر القوي بداخلها، ويجب عدم تأخيرها عن العمل والجهد، وأن ينال مكانته لمجرد أنه لم يكن من الأوائل، قرب «مبلغ أوعى من سامع.. ورب حديث عهد بدعوة هو أرضى لله وأكفاً لخدمة دينه من سابق لا يمتلك المهمة ولا الموهبة.

ويجب أن لا يستخدم مصطلح (القاعدة الصلبة) لتبرير السكون؛ فجموع أبناء الصحوة هم الذين يغشاهم الخلل^{١٢}، وهم سبب النكبات^{١٣}، وهم ليسوا أهلاً لتتنزل النصر^{١٤}، وهكذا، تكال التهم لهذه الجموع، حتى يكونوا في النهاية هم سبب الوبال على الأمة، وذلك حتى ينشغل هؤلاء الأبناء بأنفسهم ولا يطالبون من فوقهم بأي شكل من أشكال الإقدام والتقدم.



مبادئ القانون

١- المعرفة:

- بمنطوق القانون.
- بمعنى التربية ووسائلها وعلاقتها بالعمل في مشروع النهضة.

٢- الاستخدام:



- بالبحث عن الدرة المفقودة: الفرد العامل المفكر الجريء المنتج الرباني ليكون من حاملي المشروع.
- باعتماد ثقافة متوازنة تتمثل في حزمة العلوم الشرعية، وحزمة المهارات الحياتية، وحزمة أدوات العلوم الإنسانية في غير ما إطالة ولا تقعر، وتمييز ما يلزم للجمهور مما يلزم صانع القرار.

- بإيجاد البيئة التي تمارس الحياة على منهج الرسول من غير تكلف ولا اصطناع.
- اعتماد مبدأ التربية في غمار الأحداث.
- الانطلاق إلى جماهير الأمة، وعدم الانكفاء على الذات بحجة الجودة.

٣- عدم المصادمة:

- بالبعد عن تغليب جانب على حساب آخر في العملية التربوية.
- بتقييم الوسائل المستخدمة في التربية، واستبدال الوسائل التي ليس لها مردود فعلي بغيرها.
- بعدم انتظار أن يتواجد فريق من البشر الذين تربوا حتى بلغوا أعلى درجات التفوق والإيمان قبل أن يحملوا المشروع وإعطاء الطاقات النوعية حقها، فهي التي تقدم القيمة المضافة للمشروع.

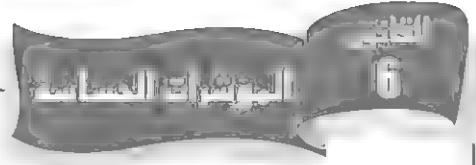
القانون والنفس



مبادئ القانون

- عامل + مفكر + جريء + منتج + رباني = إنسان النهضة
- أدوات شرعية + أدوات مهارية + أدوات العلوم الإنسانية + دراسة مشروع النهضة = ثقافة متزنة.
- بيئة تؤمن بالإسلام + تعتني بشعائره = مناخ تربوي طبيعي.





GOAL



منظور القانون

« لكل نهضة موفقة مؤشرات نجاح حساسة تبشر بإمكانية تحقيقها في الواقع »

مفردات القانون

• مؤشرات: هي العلامات التي تدل على التقدم أو التأخر.

أهمية القانون

القانون يبين أهمية اعتماد المؤشرات لمعرفة مدى التقدم أو التأخر، والقرب أو البعد عن تحقيق الأهداف: بحيث لا تضيق الجهود سدى، أو يقف المشروع في مكانه ظناً من قادته أنه يتحرك.

تعتبر المؤشرات قضية أساسية في أي نوع من الأعمال. فالمؤسسات الربحية التجارية لابد أن تتابع خسائرها وأرباحها، فتعتمد على المؤشرات المالية بقياس معدل الدوران المالي أو معدل الربحية الصافية أو نسبة السيولة في المؤسسة: فإذا كانت هناك اختناقات، أمكن تجاوزها بالتخطيط المبكر لهذا الموضوع. وقد تستخدم مؤشرات أخرى مثل مؤشرات أداء الموظفين، ومدى رضا العملاء بطريقة أو بأخرى. وبالتالي، يصبح أمام هذه المؤسسة مؤشرات تدل على تقدمها نحو الأهداف أو تأخرها. فإذا حددت المؤسسة أنها تريد تحقيق نسبة رضا بين الزبائن تتجاوز تسعين بالمائة. فقد تكون الاستبيانات أفضل وسيلة مقننة تستطيع بها أن تقيس تقدمها أو تأخرها نحو الهدف.

وهكذا، لا تتمكن أي مؤسسة من تحديد ما إذا كانت تربح أو تخسر في أي جانب من الجوانب إلا إذا وضعت مؤشرات يمكن بها قياس التقدم والتأخر. وبالتالي، تعمل هذه المؤشرات كجهاز إنذار مبكر لاتخاذ القرارات. فإذا تراجعت الأرباح كان هذا مدعاة للبحث، ثم تتخذ إجراءات مبكرة. أما أن تنتظر المؤسسة الربحية إلى نهاية العام لمعرفة ما إذا كانت تحقق أرباحاً أم لا، فهذا لا يحدث.

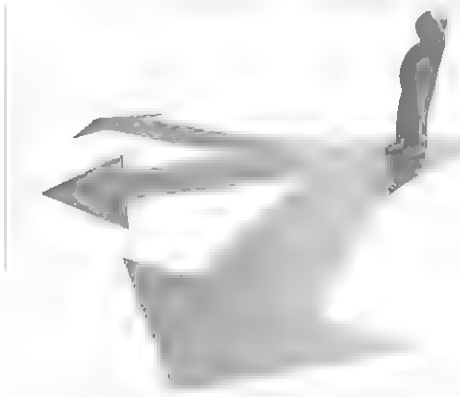
الأهمية المؤشرات في مشروع النهضة

إذا كانت المؤشرات ضرورية للمؤسسات والمشاريع الربحية، فهل هي ضرورية لمشروع

النهضة؟

ولندرك هذا الأمر؛ هب أننا قمنا بتدخل ما لزيادة عدد المنتسبين لمشروع النهضة. أو لزيادة عدد المشاركين في مشاريع النهضة. أو لزيادة عدد مشاريع النهضة. ثم لم تكن عندنا قاعدة بيانات أو طريقة نستخدمها لمعرفة التقدم والتأخر نحو تحقيق هذه الأهداف، فكيف نستطيع أن نقيم بطريقة قياس علمية ما إذا كان تدخلنا أحدث تغييراً أو تقدماً وتطوراً، أو جاء بعكس النتيجة التي كنا نريدها؟ إننا لن نستطيع تحديد مدى تقدمنا أو تأخرنا عن بلوغ الأهداف - ولن نستطيع اتخاذ إجراءات مبكرة - إلا إذا كانت المؤشرات حساسة وواضحة.

إن اعتماد قانون المؤشرات الحساسة أمر في غاية الأهمية. فإدارة مشروع النهضة تحتاج إلى معرفة المؤشرات. وفي غياب هذه المعرفة تصبح إدارة المشروع غير ممكنة



عملياً. وإذا وجدت فستسير سيراً عشوائياً كالذي يسير في ظلام ولا يعرف الاتجاه الصحيح، ولا يعرف إن كان لا يزال على الطريق أم انحرف؟ فما يسري على المؤسسات الربحية والتجارية يسري أيضاً على مشروع النهضة.

أشكال الدعاية

أ. مؤشرات لقياس عمل الأحزاب والتجمعات:

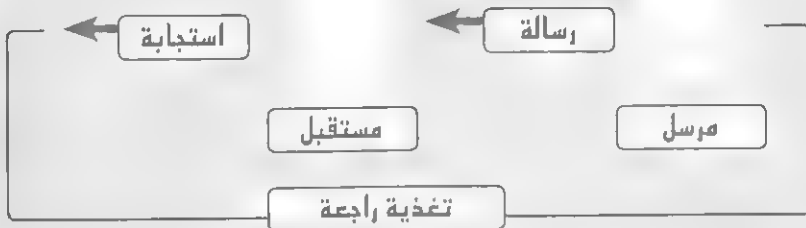
أولاً: عموم الدعاية: (الرأي العام)^(١)

من أهم ما تسعى إليه أي دعوة^(٢) أن تقوم بالدعاية لفكرتها؛ فكل فكرة تحتاج إلى دعاية للترويج لها. والدعاية تعرف بأنها فن التحدث عن الفكرة في كل مكان. ونقصد بعموم الدعاية: وصول الدعاية وتأثيرها في كل الشرائح المستهدفة.

• **جمهور الدعاية:** وعادة ما تتجه دعاية النهضة إلى الرأي العام^(٣) المثقف بالدرجة الأولى. لتخاطبه وتستقطبه وتجذبه إلى مجال النهضة^(٤) ثم هو أي: الرأي العام المثقف - يخاطب بها الشرائح الأخرى ويوسع قاعدة النهضة.^(٥)

• **جهاز الدعاية:** الدعاية عبارة عن نظام؛ فيه مرسل ورسالة ووسط مناهي ومستقبل، وفيها استجابة تقاس. وتغذية راجعة تعود إلى العقل المركزي الذي يصنع الدعاية.

وسط مناهي



(١) الرأي العام: هو موقف أغلبية الأفراد تجاه مسألة عامة محددة، مطروحة لمناقشة في زمن محدد بهدف تحقيق المصالح العام.

(٢) ونقصد بكلمة دعوة، دعوة النهضة في أي مجتمع من المجتمعات.

(٣) راجع قانون الدعوة للدعوة «سُعرِف من ألسنة الرأي العام سبي من لتفصيل

(٤) لرائي لعدم مثقف هم مُستهدف من شرح فكرة النهضة، حيث إن الرأي العام العامي لا يقبل الأفكار المركبة والمعقدة، ومن ثم لا تصف لرائي لعدم المثقف - تسعى إلى شرح الفكرة للرأي العام العامي بشكل مبسط، فضلاً عن أن يعود

(٥) تمكن لراي العام من شرح مفصل لموضوع في كتاب «الدعاية السياسية» للمؤلف نفسه.

ومن هنا، نستطيع ان نقول: ان هناك مؤشرات يمكن استقراؤها لمعرفة مدى فاعلية الدعاية، فيمكن مثلا: تحديد عدد الناس الذين وصلتهم فكرة معينة، وعرفوها معرفة عامة. فإذا قلنا إن هدفنا نشر شعار معين، فعلينا أن نقيس:

- كم من الأشخاص وصلهم الشعار؟
- ومن يعرف مضمون هذا الموضوع الذي تمت الدعاية له؟
- كم عدد النسخ التي وزعت بالمقارنة بعدد الجمهور المستهدف؟
- إن الاسئلة التي تتعلق بمدى وصول الفكرة إلى كم من البشر هي وسيلة من وسائل القياس.

وبالإمكان أن نقيس أكثر من ذلك مثل:

- ما مدى وضوح الرسالة؟
- ما مدى رضا الجمهور عن الرسالة وتقبله لها؟
- ما مدى الاعتراضات على الرسالة من قبل الطرف الآخر؟
- ما مدى الاستجابات وزيادة عدد المشاركين في المساريع المطروحة على الجمهور؟
- ما مدى تفاعل الجمهور مع المناطق التي تبث الدعاية للنهضة؟
- إذن، يمكن استخدام العديد من المؤشرات لمعرفة نمو المكروة او تراجعها، ويمكن الحديث عن المستقبل ومدى اهمية هذه الرسالة وتليبيتها لاحتياجات شرائح معينة في المجتمع:

• قد تكون الطبقات العامة التي لا تقرأ ولا تكتب.

• أو الطبقات العامة التي تقرأ أو تكتب.

• أو الطبقات المثقفة.

وقد يكون الخطاب أعلى من مستوياتهم أو أقل، فيمكن دراسة محتوى الخطاب، ومصادراته، ولغته من حيث مناسبتها لشرائح معينة، وعدم مناسبتها لشرائح أخرى. كما يمكن دراسة جميع أجهزة البث والوسائل التي تبث الدعاية النهضوية، ومدى تحقيقها والتزامها بالشروط الأساسية للدعاية من هذا النوع، وكذلك دراسة الاوساط الناقلة ومدى كفاءتها في بث الدعاية وانتشارها، ونوعيتها ونوع الخطاب التي تبثه، حيث يشترك في البث النهضوي حكومات، ومجتمعات، ودول:



- ما نوع هذا البث؟
- ما عدد برامج هذا البث؟
- كم تبلغ ساعات البث اليومي؟
- كم الإيجابي منها؟ وكم السلبي؟
- وليست هذه هي المؤشرات الوحيدة لدراسة عموم الدعاية، فهناك مؤشرات تتعلق ببنية وتكوين هذه المنظمات التي تسعى للتأثير في الجماهير، والتي تؤثر بالضرورة على دعاية المنظمة.

بالإضافة الى مؤشرات تتعلق بالاجهزة التي تقوم بالبث لدراسة مدى كفاءتها وقدراتها والتزامها بالشروط الموضوعية.

إن إحدى اهم وظائف المؤسسات التي تعمل مع الجماهير هي الوصول لهذه الجماهير. وتقع دراسة الية الوصول الى الجمهور في أول اهتمامات هذه المؤسسات. وهناك مقومات لهذه الحملات الدعائية الموجهة الى الشرائح الاجتماعية المختلفة المستهدفة بالمسروع النهضوي. حتى تصل الدعاية الى كل الشرائح، وبطريقة علمية، بعيدة عن العشوائية والتخبط.

مقومات الحملات الدعائية:

- دراسة الموقف الكلي.
- تحليل مادة الرسالة والصورة المطلوب انطباعها في ذهن الجمهور.
- تحديد طبيعة الجمهور المستهدف.
- تحديد الوسائل المباشرة وغير المباشرة.
- ضبط العناصر الفنية.
- رصد الموازنات: مال بشري.
- التقييم المستمر للحملة الإعلامية واثارها.
- وينبغي الاشارة الى ان جوهر المنظمات السياسية الجماهيرية من قمتها الى قاعدتها - هو كونها منظمة دعائية.

■ ثانياً: كثرة الأنصار (شبكة العلاقات المنتجة):

المسألة الأخرى هي قضية الأنصار. فالدعاية تبث لكل الناس. لكن ما هو مفهوم الأنصار في حركات النهضة؟

تجدر الإشارة هنا إلى أن كثيراً من الناس يعتقد أن فكرة الأنصار هي فكرة متعلقة بأنصار الرسول ﷺ فقط، ولكن الحقيقة أن كل الدعوات تحتاج إلى أنصار. فقديماً قيل في الفكر الماركسي: إن الحركات الثورية لا يمكن أن تصطدم بنواتها في المجتمع الخارجي؛ فهي تحتاج إلى بناء واسع حولها، يشكل إن صح التعبير الغلاف الذي يحيط بنواة البيضة. هذا الوسط الذي تسبح فيه هذه النواة هو وسط الأنصار. وهو وسط كبير جداً يمد هذه النواة، ويغلفها ويحميها، ويمنع عنها الصدمات، حتى تستوي وتنضج، وهؤلاء الأنصار هم ثمرة الدعاية.

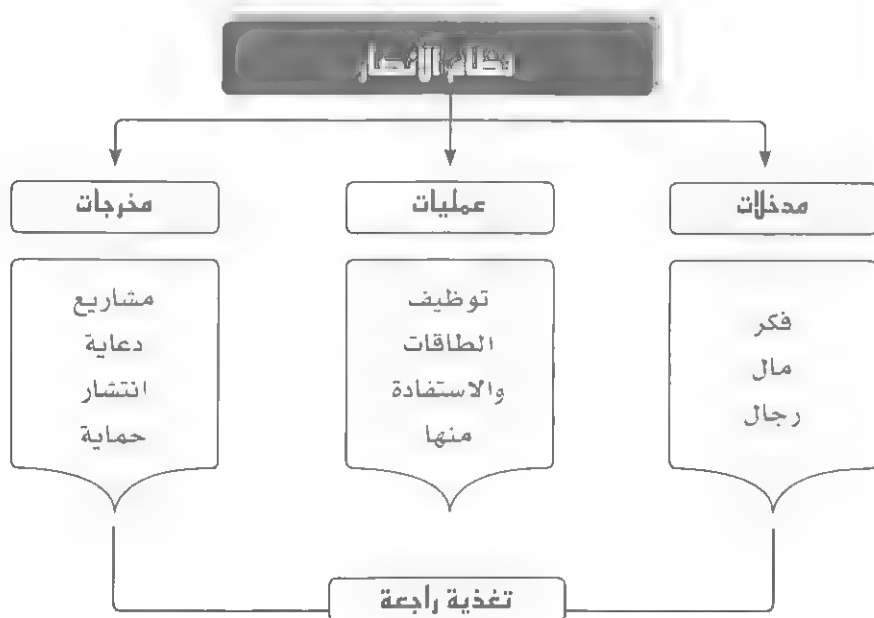


ونظام الأنصار أيضاً، هو نظام له مدخلات: فكر، ومال، ورجال.

وله عمليات: بحيث توظف هذه الطاقات ويستفاد منها.

وله مخرجات: في شكل مشاريع ومزيد من الدعاية والانتشار والحماية لمشروع

النهضة، وفيه تغذية راجعة لمعرفة تطور هذه البنى.



فالأنصار هم البحر الذي تعيش فيه الأفكار، وعندما ينحسر لا يبقى إلا الموت والتشرنق على الذات والتحوص، فكيف نقيس مشروع الأنصار؟

قياس مشروع الأنصار:

• قياس نوع الارتباط:

- نوع المرتبطين عاطفياً،
- نوع المرتبطين عضوياً،
- نوع المرتبطين بمشاريع محددة.

• قياس آخر:

- قياس درجة الاستفادة من دوائر الأنصار.
- قياس مدى المدخلات من الفكر والمال والرجال لاستقطاب الأنصار.
- استثمار نظام الانتخابات العامة أو النقابية وما شابهها لمعرفة حجم الأنصار.
- استخدام نظام التمويل (مثل التبرعات) لمعرفة وجود الأنصار.

وهناك وسائل كثيرة جدا لبناء الأنصار ومعرفة وجوده من عدمه، ومدى فاعليته في النهضة العامة التي ترجوها الأمة.

إن مفهوم الأنصار هو واحد من أهم المفاهيم في العمل النهضوي، في كل أطواره. ففي أي دولة أو حركة تغييرية إسلامية أو ليبرالية أو اشتراكية أو غيرها نجد مفهوم الأنصار شائعا. وحركة النهضة ممثلة في روادها لا تكفي أبدا لإنجاز المشروع، ونجاحها مرتهن بمفهوم الأنصار.

■ ثالثا: متانة التكوين (بناء المؤسسات):

المجال الثالث للمؤشرات هو البنية والتكوين. فمشروع النهضة يحتاج أن تبنى له المؤسسات الرسمية والخاصة التي تهتم بها الدول والتجمعات على وجه سواء. فكتير من هذه التجمعات تفتقد الشروط الموضوعية، أو الكفاءة اللازمة للأداء، فكيف يمكن قياس أو وضع مؤشرات لهذه المؤسسات؟

■ النظام الإداري لمحرك التغييرات

■ ١- المكون الفكري للمنظمة:

- ما مدى قوته؟
- ما مدى تمكن أفراد المنظمة من هذا المكون الفكري؟
- ما مدى انتشاره؟
- ما مدى وضوح الأهداف الكلية والمرحلية فيه؟
- كيف تقاس الأفكار وتتطور؟

■ ٢- الإستراتيجية:

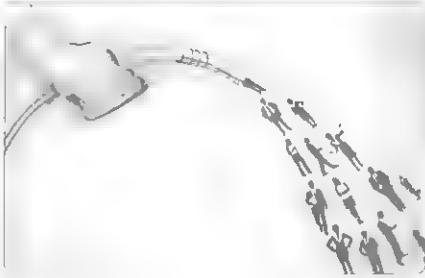
- ما مدى وضوح الإستراتيجية؟
- ما مدى فاعلية الإستراتيجية سواء في الانتقال المرحلي أو في الوصول إلى الأهداف؟

■ ٣- المياكل:

- ومدى ملاءمتها للمطلوب منها.^(١)

■ ٤- القوى البشرية:

- هل يوجد الكمّ الضروري من القوى البشرية؟
- هل يوجد الكم النوعي الضروري؟
- ما درجة الروح المعنوية المنتشرة؟
- ما درجة فاعلية هذه القوى البشرية وكفاءتها في أداء المهام المنوطة بها؟



■ ٥- المهارات:

- ما مدى توفر المهارات كمّاً وكيفاً؟
- ما درجة استثمار هذه المهارات؟ فقد تكون هناك مهارات كثيرة جداً، ولكن درجة استثمارها قد تكون اثنين أو ثلاثة في المائة.

■ ٦- النظم والأجهزة:

- النظم والفاعلية والتقليد داخل هذه المنظمات.

■ ٧- ثقافة بيئة المنظمة:

- كم درجة الأفكار القاتلة المنتشرة فيها؟
- هل تنمي المنظمة قيم العمل والإنتاج والجرأة؟
- أين توجد هذه القيم داخل المنظمة في مقابل قيم التقليد والالتزام الحر في والقيم

(١) بعض التنظيمات يثبت شكل الهيكل، سواء كان هرمياً، مخططاً وحيدياً، أو من حيث أنه ثابت وفي ذلك حنف كثير، إذ إن كل إستراتيجية تتطلب نوعاً من الهياكل، وكثير من الأحيان من منظمات تأتي من عدة نماذج الاستراتيجيات مع بنية هيكل المؤسسة.

السكونية؟ فإنه إذا لم يتم التوازن بين قيم الالتزام والانظام وبين قيم العمل والإنتاج والجرأة والتفكير. وطفئت إحداها على الأخرى؛ يحدث الخلل. فكم درجة التوازن بين هذه وتلك؟

• ما هي الأمثلة والقصص التي غالباً ما يستشهد بها؟ وهل تتفق مع إستراتيجية المؤسسة؟

يدخل في هذا البند أيضاً دراسة القيادة:

• ما ثقافتها وقدراتها؟

• هل هذه الثقافة مناسبة لطبيعة التحدي القائم؟

• ما أساليب وطرق العمل المنتشرة بينها؟

• ما مدى المثالية والأخلاقيات في إدارة الأعمال؟

إن بإمكاننا وضع معايير ومقاييس في مجال ما يسمى بمتانة التكوين أو البنية العامة.



• ملاحظة مهمة:

يتبين من هذا الشكل أو ما يسمى بالنظام السباعي أن إستراتيجية المؤسسة تبنى على أساس المكون الفكري لها والاستجابة لأهدافها. وهذه الإستراتيجية بدورها ليست ثابتة. بل هي تتغير بتغير الظروف. وانطلاقاً من الإستراتيجية المختارة، يبنى هيكل المؤسسة. وقد يتغير الهيكل أيضاً بتغير الإستراتيجية. أما انتقاء القوى والكوادر البشرية، فيكون حسب نشاط المؤسسة، بينما تخضع المهارات المطلوبة أو

التي يتم التدريب عليها أيضا للاستراتيجية: إذ إن كل إستراتيجية تتطلب مهارات خاصة. قس على ذلك أيضا النظم واسلوب الإدارة والثقافة السائدة في المنظمة. ففد يتواجد خلل في منظمة ما، وأول ما يتبادر إلى أذهان القادة والعاملين أن الخلل في التوجيه والروحانية. بينما قد يكون الخلل في غياب الهدف العملي أو في غياب استراتيجية فعالة وفي اختيار بنية الهيكل وشكل التنظيم الذي ستحمل عليه الإستراتيجية. أو في افتقاد الافراد للمهارات التي تناسب المهمة. أو في تكدر المنظمة بالبشر الذين لا توجد لهم وظائف حقيقية. أو ان قدراتهم تختلف عن الاستراتيجية المختارة.

مما سبق يتبين ان عمليات الحشد المستمرة وصراع التجنيد على نفس العدد من البشر بين الاحزاب والتيارات يجب ان ينحسر. فكل منظمة تتطلب افرادا



بمواصفات معينة، وليس كل فرد يصلح لكل منظمة. فالتجنيد العشوائي ان له أن يتوقف. وأن يسود الرشد هذه المرحلة، وألا تتكدس التيارات والمشاريع بشباب يعانون من البطالة العملية؛ إذ يوضع الشاب في مكان لا يناسب قدراته، إما لأنها أعلى من المهمة المكلف بها، أو لأنها - أي: قدراته - أقل من تلك المهمة.

وقد يكون الخلل في ثقافة وبيته المنظمة. فكثير من المنظمات تتحدث عن التغيير، بينما لا تجد في ثقافتها ائرا لفكرة التغيير: فلا ندرس الحركات التغييرية. أو وسائل التغيير المختلفة. ولا يتم عرض التجارب الفاشلة والناجحة. وبالتالي، فإن منظمة كهذه قد يكون خللها في ثقافتها وبيئتها.

نظام ٤ في ٤

ويمكن استخدام نظام اخر هو النظام الرباعي. اد ان اي مؤسسة تقاس من حيث التكوين بستة عشر معيارا من خلال أربعة مفاتيح: (٤×٤)

■ أولا: المنظمة:

- الميكل: مدى كفاءة الهيكل وتوافقه مع مهمة المؤسسة.
- البيئة: مدى ملائمة بيئة المنظمة وثقافتها لتحقيق الأهداف.
- الإدارة: كفاءة الإدارة للمهام المنوطة بها.
- القيادة: كفاءة القيادة للمهام المنوطة بها علما وتدريبيا (قدراتها وثقافتها).

■ ثانيا: روافع المؤسسة (الموارد):

- الموارد البشرية: نوع وكم الموارد البشرية وحافزيتها للعمل.
- الاتصالات: كفاءة جهاز الاتصالات.
- التقنية.
- التعاون.

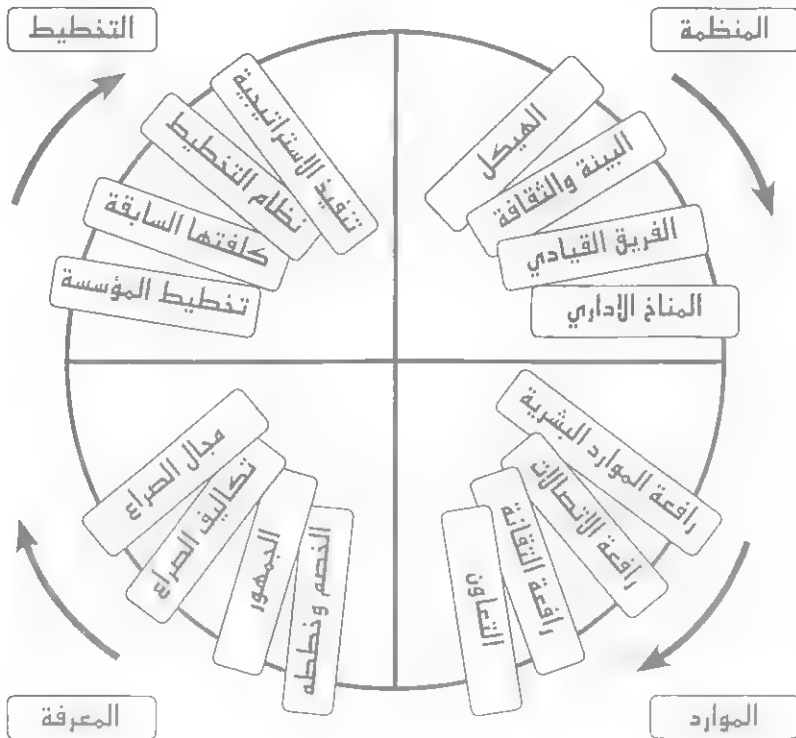
■ ثالثا: معرفة المؤسسة:

- بمجال الصراع: هل تعرف المؤسسة مجال الصراع جيدا؟ فقد تجد شابا يتدرب ويستعد في مجال البلياردو لسنوات عديدة، ثم اذا به يجد ان المباراة المزمع عضدها تدور في مجال كرة القدم. فأنى له ان يفوز؟! فالمجالان مختلفان تماما. وليس هناك رابط بينهما.
- بتكاليف الصراع: هل تعرف تكاليف الصراع والمواءمة بين العوائد وبين الخسائر؟
- بالجمهور: (التسريحة) هل تعرف التسريحة التي تريد ان تخاطبها والتي نعتمد عليها أساسا؟
- بالخصم وخططه: هل نعرف المنافسين والخصوم وإستراتيجياتهم وادواتهم على وجه التحديد لا على وجه الظن؟

■ رابعا: نظام التخطيط:

- وجود الإستراتيجية: ما الإستراتيجية الحالية؟

- كفاءة نتائجها في السابق: ما مدى كفاءتها في مواجهة الظروف المحيطة وقيادتها لتقديم المنظمة أو تراجعها؟
- مدى تنفيذ الاستراتيجية: مدى كفاءة تنفيذ هذه الاستراتيجية.
- وجود نظام التخطيط: ما درجة وجود نظام حقيقي للتخطيط داخل المؤسسة، ودرجة ارتباط التخطيط بالتنفيذ اليومي؟ ومدى انتشار الوعي التخطيطي داخل هياكل المنظمات؟
- اننا عندما نتحدث عن المؤشرات، فاننا نتحدث عن مجال كبير خصب. وأي منظمة تعمل في مجال النهضة، فيجب تقييمها من خلال عناوين هذه المؤشرات.⁽¹⁾



• المؤشرات الحساسة للعملية التربوية الجماهيرية:



من المخاطر التي تتعرض لها التربية عدم وجود مؤشرات حساسة يمكن اعتمادها لمعرفة التقدم أو التخلف في الحالة التربوية العامة.

فبعض الأحزاب والمنظمات لا تهتم بالشأن العام والتربية العامة وتربية المجتمعات رغم حديثها الدائم حول هذه

القضية، بينما اهتمامها في حقيقة الأمر يتركز على الحزب أو التنظيم والمنظمة وما يدور فيه. فإذا افترضنا نظرية (٨٠ - ٢٠)، ٨٠٪ تربية لمن هم داخل المؤسسة و٢٠٪ للخارج (المجتمع)، فسنجد السنين تمضي ولا تنتقل بعض هذه المؤسسات إلى الخارج مطلقاً، ولا توجه سياستها الدعوية للخارج. وهو خطأ كبير ومؤشر خطير يجب الانتباه له. لذا، يجب اعتماد مؤشرات صلبة في مدى انتشار فكرة النهضة بين العاملين في الحقل الإسلامي وجموع المنتسبين لتيار النهضة، وبين المجتمعات التي يعيشون فيها. كما يجب اعتماد مؤشرات لقياس انحسار الأفكار القاتلة، كما يجب قياس معدل انحسار الكلمات الاستعلانية بين التيارات؛ والتي تعني أن هذا التيار أو ذاك وحده على صواب، وأن ما عليه هو الدين بعينه وليس اجتهداً يقبل القبول والرد. يجب قياس انحسار معدل المساحنات، ومدى ازدياد كلمات الوفاق والتقارب، وهل لا تزال التيارات تتفوق على نفسها فلا يعلم اتباعها إلا قول قادتهم؟ أم أن كل الأفكار تطرح وتقرأ على اعتبار أن كل التيارات جزء فاعل في المشروع؟

أذن، لا بد من رصد مدى انتشار هذه الأفكار في مقولات التيارات المنتسبة للنهضة في المجتمعات المسلمة، ورصد مدى النجاح في جعلها تتراجع لصالح أطروحات أكثر عدالة وإنصافاً، وأكثر رحمة للعالمين.

ويشكل الحزب أو المنظمة أو التيار في أحيان كثيرة حاجزاً يحول دون التواصل مع

الكفاءات والقدرات الموجودة في المجتمعات المستهدفة استنهاضها. فبدلاً من أن يكون الحزب أو الجماعة أو المنظمة سواء كان في السلطة أو خارجها وسيلة للتواصل مع الآخرين، يصبح أداة لإبعادهم وتهميشهم. فكلما اختلفت رؤى أحدهم مع هذا التيار أو ذاك حدث العراك. ولا يكون هناك خيار إلا الالتحاق بالمنظمة أو الدخول في حرب معها. هذا النوع من الأداء خطير ويضر بمجمل المشروع النهضوي. لذا، يجب أن تكون عندنا مؤشرات لرصد هذا الأداء ومدى تقدمه أو انحساره. ومن هذه المؤشرات رصد عدد المناصرين لتيار النهضة في المجتمعات الإسلامية.

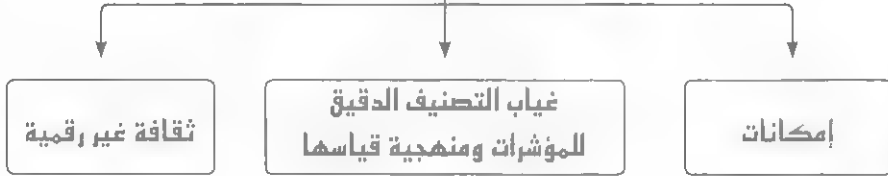
كما يحتاج المشروع إلى مؤشرات لقياس مدى متانة تكوين الأجهزة المختلفة: مثل أجهزة الإحصاء والتخطيط والتكوين والمدارس والجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات. هذا التكوين الشامل للامة كيف نقيسه؟ كيف نقيس مدى استنهاض الامة، ومدى انتقالها من طور الصحوة إلى طور اليقظة؟ كل هذه التساؤلات والقضايا لا تعتمد إلى الآن كمؤشرات حقيقية لعملية الانتقال. بل ما زال العمل في ذاته غاية دون وجود وسيلة لمعرفة ما إذا كنا نتجه في الاتجاه الصحيح أم لا.

إن قضية التربية وإدارة هذا المشروع الضخم، واستخدام المؤشرات الحساسة، والانتقال من فكرة تربية التنظيمات إلى تربية شاملة للمجتمعات الإسلامية بما فيها هدد التنظيمات والتجمعات بشكل عام، يجب أن تكون مؤشراً أساسياً لتقارب عام بين المسلمين. يتقبلون فيه أشدهم تطرفاً، ناهيك عن أكثرهم اعتدالاً. هذه القضية يجب أن تكون شاملة عامة ونطرح في المجتمعات الإسلامية لانتقال التيارات والحكومات والاتجاهات من ساحة العراك إلى ساحة التعاون.

ما الالم، بقول عملية إنباء مؤشرات

قد يكون توافر الامكانيات لإنشاء مراكز البحوث عائقاً في نظر البعض لإيجاد مؤشرات. وفي نظر البعض الآخر قد يكون العائق هو الثقافة العامة المنتشرة في المجتمعات. فهي ليست ثقافة رقمية بالدرجة الأولى، ولبيست ثقافة تقبل المراجعات. وبالتالي، فستظل عملية المؤشرات غير مهمة بالنسبة لأفراد كثيرين في ظل الثقافة القاصرة المنتشرة في مجتمعاتنا.

عوائق وجود مؤشرات



فالمراجعات تعني عند البعض المساحات حول من المخطئ ومن المصيب، ولا تعني عملية التطوير. والأرقام تعني تفكيراً حقيقياً وعملاً جاداً لمعرفة مدى التقدم أو التراجع. وهذه المراجعات والأرقام مؤلمة للنفس البشرية التي لا تقبل إلا الاعتراف بالإنجازات والحسنات. وهكذا، يفضل البعض في هذه المجتمعات السير من غير علامات، أو يتم تقييم الأمور انطباعياً.

فقد يقول أحد مرتادي مسجد ما يفيل رواده من الشباب أو من الناطقين باللغة العربية: إن العرب لا يصلون! والشباب لا يحضرون المساجد! . بينما لم يدرك هذا الشخص أن المسجد في منطقة عمالية!، ويسود فيها غير الناطقين باللغة العربية! وأكثر أهل المنطقة ليسوا من صغار السن أصلاً!

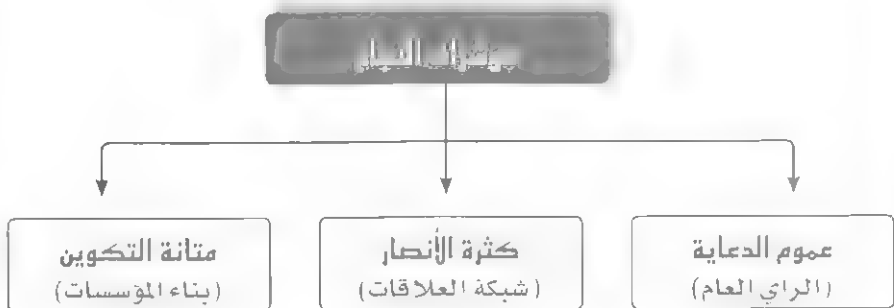
أو قد يقول قائل من أبناء الصحوة الإسلامية: نحن نتقدم لأن نسبة الحجاب تزداد. وهذا يعني أننا نؤثر في الشارع ولنا شعبية ضخمة. وهذا صحيح. فقد ازدادت نسبة الحجاب، ولكن ازدادت في نفس الوقت ظاهرة الزواج العربي، ودخول المسلمين على المواقع الإباحية، وتطور مستوى الإعلان التليفزيوني والأغاني إلى اظهار الكاسيات العاريات بشكل لم يسبق له مثيل.

فكيف نقيس تأثيرنا على الشارع من خلال ظاهرة واحدة وهي انتشار الحجاب! رغم أن هناك ظواهر كثيرة منتشرة قد تفسد كل نجاح نراد. خاصة وأنها تخترق كل بيت من خلال الفضائيات والإنترنت.

هذا النوع من الانطباعية في تقدير الأحكام نتج عن غياب ثقافة الأرقام، وعدم اعتماد مؤشرات محددة، وعدم ترتيب المؤشرات بحجم تأثيرها في مشروع النهضة: فمعدلات القراءة عند العاملين في المشروع ونوعية ما يقرأونه قد تكونان أكثر أهمية من نوع الملابس التي يلبسون، وقد يكون معدل استخدام اللغة العربية كلفة علم مؤشراً أهم من عدد حفظة القرآن في الجمعيات المعنية. وهذه الانطباعية السائدة تؤثر كثيراً على الأداء العام للعمل، وهي محبطة في أحيان كثيرة، وفي أحيان أخرى يكتشف الناس بعد عشرات السنين من الانهماك في العمل أنهم لم يغادروا أماكنهم. ولم يحققوا أهدافهم التي أرادوها، بل والبعض انتغل بأعمال جزئية، أو بعمل استثنائي في ظرف ما اضطر إليه، وبمرور الزمن صار هذا العمل الاستثنائي هو الأصل!!

نحن نحتاج إلى تعميم الثقافة الرقمية، وثقافة تقبل المراجعة، وهذا يحتاج إلى زمن وتربية. وبالتالي، فمسائل التربية يجب أن تركز على تطوير عقلية القائمين على مشاريع النهضة الكبرى، واستقطاب عناصر تقبل هذا النوع من الأداء لهذه المؤسسات والأحزاب والحكومات.

أما استقطاب العناصر العاطفية التي لا تريد أن تتعب ذهنها في شيء، وتريد أقل الأعمال المجهدة للذهن، وأقل الأعمال المجهدة للجسد، ثم اعتمادهم ليصبحوا في المستقبل قادة لهذه المشاريع الكبيرة: فهو خطأ فادح ومكلف على مسارات مشاريع النهضة، سواء كان ذلك في الحكومات أو المنظمات.



مؤشرات لقياس عمل الأحزاب والتجمعات والدول والتقدم في مسار النهضة:

- المؤشرات الثقافية: مؤشرات القراءة كماً وكيفاً.
- مؤشرات احترام الآخر.
- مؤشرات شيوع قيم العدل.
- المؤشرات الاقتصادية: مؤشرات النمو الاقتصادي.
- المؤشرات الاجتماعية: مؤشرات قياس سلامة التسيج الاجتماعي وحيوية المجتمع.
- المؤشرات السياسية: مؤشرات المشاركة والعدالة والحريات.. الخ.
- المؤشرات الروحية: ظاهرة الالتزام وحيوية الحالة الإيمانية ومظاهرها.
- المؤشرات الحضارية: النظام والنظافة والجمال.. إلخ.
- المؤشرات الصحية: المعدلات المختلفة.
- المؤشرات التعليمية: في العدد والتخصصات والمستويات المناسبة لسوق العمل والوضع في الهرم الدولي.
- المؤشرات النفسية: الاعتزاز بالذات الحضارية، وشيوع روح التفاؤل، والاقبال على العمل المنتج.

مبادئ التعاون

١- المعرفة:

- بمنطوق القانون.
- بالادوات التي تعين على استخدام القانون من الدعاية إلى التخطيط الاستراتيجي.

٢- الاستخدام:

- إيجاد أجهزة دعائية إعلامية مؤثرة.
- إيجاد شبكة علاقات قوية بين مؤسسات النهضة والجمهور. وبين المؤسسات والتيارات بعضها البعض.
- إيجاد منهجية ومراكز بحوث وأجهزة على أعلى مستوى من التدريب لرصد المؤشرات.
- التدريب على الثقافة الرقمية والإحصائية.

- التأكد من متانة تكوين المؤسسات العاملة للنهضة من خلال اداة التخطيط الإستراتيجي.

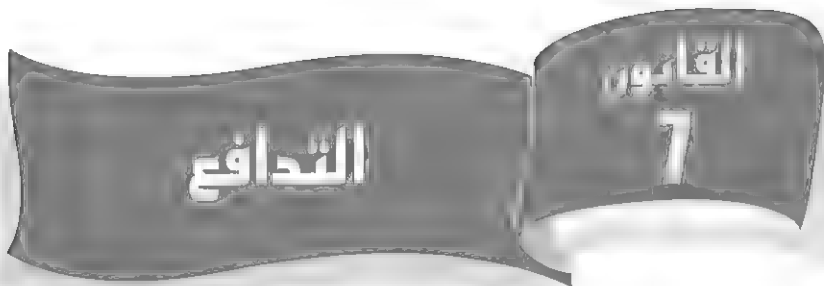
■ ٣- عدم المصادمة:

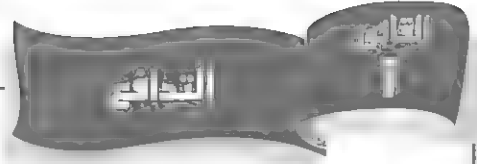
- بتجنب إهمال رصد المؤشرات. والا راحت جهود المؤسسات والتيارات العاملة والدول أدراج الرياح، ولعلها تخطئ طريقها وهي لا تدري.
- بإيجاد أجهزة دعائية مؤثرة تصل إلى الجماهير، فبدون الأنصار تموت مشاريع النهضة عند أول تهديد.



مبادئ القانون

- مرسل + رسالة + مرسل إليه + تأثير + تغذية راجعة = جهاز الدعاية
- فكرة أنصار = فشل
- أهداف عليا - استراتيجية مناسبة - هيكل مناسب للاستراتيجية - كوادر مدربة بالمهارات اللازمة - نظام اداري مناسب - ثقافة وبيئة ونمط قيادة مناسب - مؤسسة قوية
- دعوة - مؤشرات نجاح - تخطيط وبعد عن الأهداف





منطوق القانون

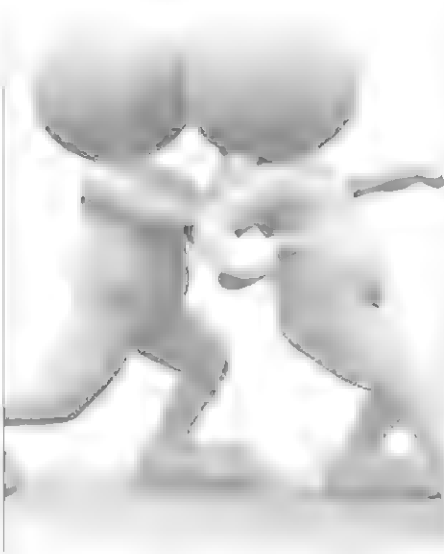
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^(١)

تجريد القانون

• الدفع: جاء في المعجم الوجيز: دفع الشيء دفعاً، أي: نحاه وأزاله بقوة. فيقال: دفعته عني، ودفع عنه الأذى والشر. ويقال: دفع القول، أي: رده بالحجة. والمقصود بدفع الناس، أي: دفع بعضهم بعضاً.

الحكمة القانون

قضية التدافع - كما يشير القرآن الكريم - كانت ولا زالت وستكون هي جوهر الوجود البشري. فالوجود البشري قائم على هذا التضاد، وعلى هذا التدافع المستمر لخلق الله على

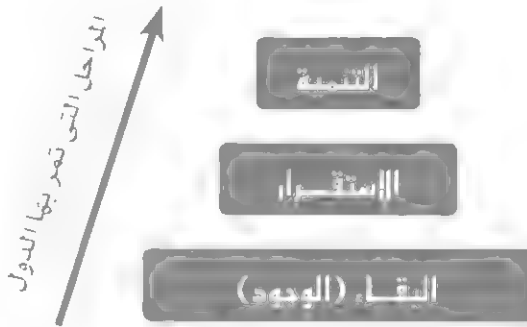


أرضه. فالبشرية تدعو إلى السلام والامن، بينما في الواقع يطغى الناس بعضهم على بعض. وتستمر عملية التدافع إلى أن يشاء الله عز وجل ، وإلى أن يرت الله الأرض ومن عليها. فقانون التدافع يخبرنا بأنه لا مفر من عملية التدافع المستمرة في السلم والحرب، فهي حالة دائمة ومستمرة لا يجوز تجاهلها أو الأمل في زوالها.

(١) سورة النور: ٢٤

المراحل الثلاثة للمؤسسات

- عندما نتحدث على مستوى الواقع الحي. سواء كان على مستوى المنظمات والأحزاب. أو حتى الدول، سنجد ثلاث مراحل لأي مؤسسة:
- **المرحلة الأولى:** وتسمى مرحلة البقاء أو الوجود. فكل كائن حي أو نظام قائم يحرص أولاً على بقائه أو وجوده.
 - **المرحلة الثانية:** وهي مرحلة الاستقرار. فهذا الكيان الذي ضمن وجوده وبقائه في المرحلة الأولى يسعى الآن إلى الاستقرار: فتأمين الوجود والبقاء قد لا يعني استقرار النظام. لذا، فهو يسعى إلى تعديل أوضاعه لإيجاد حالة من الاستقرار.
 - **المرحلة الثالثة:** مرحلة النماء أو التنمية. وفيها يهدف الكيان بعد المرحلتين السابقتين - إلى مستوى ثالث: ألا وهو النمو وتطوير ذاته والبناء.
- وهكذا، فإن أي نظام يسعى إلى الوجود، ثم إلى الاستقرار، ثم إلى النماء.



والدولة كنظام تمر بهذه المراحل الثلاث. وتسعى إلى بلوغ نهاية هذا السلم بتحقيق التنمية. وبالمثل تسعى النظم الأصغر والأضعف أينما كانت إلى بلوغ الهدف نفسه. ومن هنا تأتي عملية التدافع.

نموذج التدافع

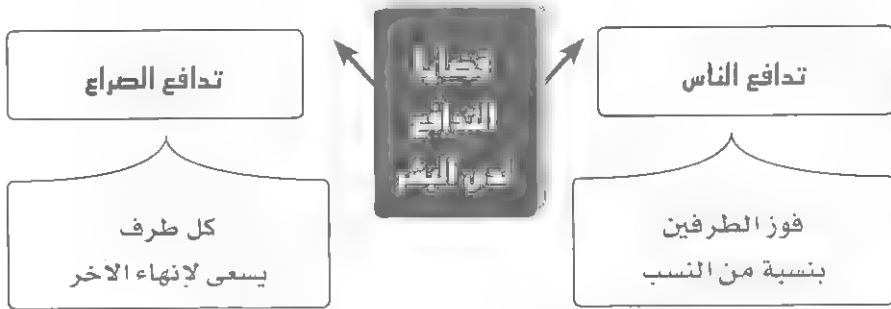


التدافع البشري

هناك نوعان من التدافع البشري:

- **التنافس:** بمعنى ان تكون النتيجة النهائية للتدافع بين طرفين متنافسين هي فوز كليهما بسوء من الخيرات، او ما يطلق عليه Win _ win situation. أي: حالة من فوز الطرفين وحصولهما على مكاسب معينة يرضى بها كلا الطرفين. هذا النوع من التدافع يمكن أن يطلق عليه التنافس.
- **الصراع:** ويفصد بها الصراعات الصفريّة Zero _ sum. وفي هذه الصراعات لا يتقبل كلا الطرفين وجود الطرف الآخر إطلاقاً، ويسعى الى اتيانه تماماً. والخروج بفوز نهائي ساحق كامل، بينما يخرج الطرف الثاني من الصراع مغبوناً ومتمالماً: إما منسحباً مكسور الارادة، واما عازماً على الاعداد لجولة اخرى من الصراع⁽¹⁾ وهكذا، يمكننا تقسيم قضايا التدافع الى تنافسية وصراعية. فالقضايا التنافسية تحتل فوز الطرفين بنسبة من النسب. بينما يسعى احد الطرفين الى اتياء الطرف الثاني وإخراجه من ساحة الفعل في القضايا الصراعية.

(1) الصراعات الصفريّة هي تلك التي لا يمكن فيها تحقيق فوز مشترك بين الطرفين، ففوز أحدهما يعني خسارة الآخر، أو ما يطلق عليه Win _ lose situation. وفي هذه الحالة، يسعى الطرفان إلى تحقيق فوز نهائي ساحق كامل، بينما يخرج الطرف الثاني من الصراع مغبوناً ومتمالماً: إما منسحباً مكسور الارادة، واما عازماً على الاعداد لجولة اخرى من الصراع.



خطوات التدافع

وهنا يتساءل الكثيرون عن خطوات التدافع. وهل هناك خطوات أو قواعد محددة يمكن السير في ضوءها في عملية التدافع؟ وحتى تستطيع مؤسسة أو حركة أو تنظيم ما أن يحدد قواعد وخطوات التدافع يلزمه أولاً الإجابة على هذه التساؤلات، والتي في ضوءها يتم تحديد الخطوات:

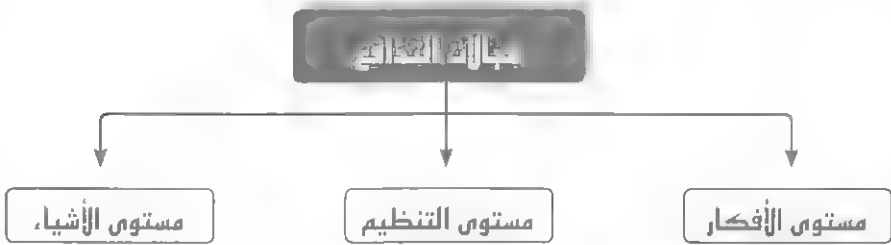
- هل التدافع تنافسي أو صراعي؟
- على ماذا يتم التنافس أو الصراع؟
- أين يتم التدافع؟ (المكان)
- ما أدوات الصراع أو التنافس؟ (بماذا تصارع أو تنافس؟)
- كم التكاليف؟
- ما المدى الزمني المتوقع؟ (بالقريب)
- ما مستلزمات الصراع أو التنافس؟ (ما تحتاجه)
- هل هناك مضر من عملية التدافع؟

ليس هناك مضر من عملية التدافع. فلو نظرنا إلى التاريخ وإلى الحاضر، لوجدنا أن التدافع هو إحدى السنن الكونية التي كانت وما تزال تطرق المجتمعات والكيانات منذ أن نشأت ووجدت على وجه الأرض، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهذه بعض الأمثلة:

- الرسل جميعهم من لدن آدم وحتى رسولنا عليهم جميعا صلوات الله وسلامه.
- تاريخ قيام الدول وسقوطها.
- تاريخ قيام الحضارات وزوالها.

مبادئ الدفاع

- وللتدافع مجالات عدة، سواء في السياسة والاقتصاد والاعلام والاجتماع وغيرها، والتي يمكن اختزالها في المستويات الثلاثة التالية:
- **مستوى الفكرة:** فعندما تصطرع المنظومات القيمية، سواء الليبرالية والإسلامية والسيوعية وغيرها على مستوى الفكر، فهذا صراع على مستوى الفكرة.
 - **مستوى التنظيم:** وعندما تصطرع النظم التي تحمل هذه الافكار، سواء كانت أحزاباً أو دولاً، فهذا صراع على مستوى النظم.
 - **مستوى الأشياء:** أما عندما يكون الصراع على الأشياء المادية، سواء على البترول أو مصادر الطاقة أو أسلحة الدمار الشامل: فهذا صراع على مستوى الأشياء.
- وهذا التقسيم نظري بحت: إذ ان الصراعات تختلط فيها المستويات الثلاثة: الفكري، والتنظيمي، ومستوى عالم الاشياء. ولكن للدراسة تقسم مجالات التدافع بهذه الكيفية.



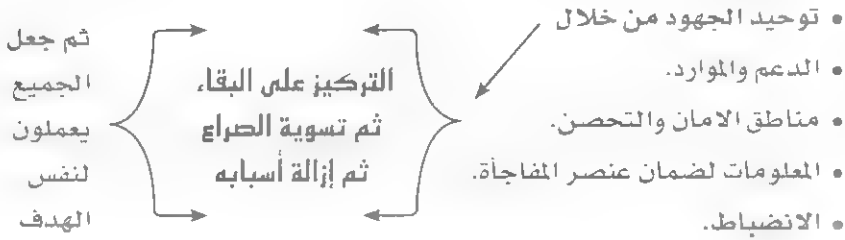
جوهر التدافع

أما جوهر عملية التدافع، فهو وجود اختلاف في المصالح: سواء كانت هذه المصالح دنيوية أو اخروية. فهذا الاختلاف في المصالح والرؤى بين الاطراف المختلفة يؤدي إلى التدافع فيما بينها.

ويقوم التدافع على عنصر القوة، أي: محاولة طرف من الاطراف فرض إرادته على الطرف الآخر: اذ ان القوة تُعرّف على انها قدرة الطرف (أ) على فرض إرادته على الطرف (ب)، بغض النظر عن الوسيلة المستخدمة.

مناور الصراع

• أما المحاور التي يدور حولها الصراع، فيمكن تلخيصها في النقاط التالية:



• وأدواته:

• الإقناع.

• المال.

• القوة الصلبة.

• الهدف:

• كسر إرادة الخصم وإجباره على تغيير اهدافه.

• القيادة كعنصر مهم في التدافع:

فاذا تبين لنا مما سبق أن جوهر عملية التدافع هو اختلاف المصالح والرؤى، وقوامها عنصر القوة، ومحاورها هي ما ذكرنا انفا: لعلمنا قطعاً انه سواء كان تنافساً او صراعاً أمر لا بد منه. ونلفت النظر هنا إلى ان هذه المنظومات على اختلاف أنواعها تتبلور في القيادة، وهكذا، يمكن اختزال التدافع ليكون بين العقول القاندة.

و يمكن القول بأن القائد هو اهم عنصر في الصراع، والقائد في أفضل تعريفاته: له رؤية، وعنده التزام بالهدف الذي يتحرك من أجله، ولديه القدرة على إدارة الآخرين وتوظيفهم لتحقيق الهدف الذي يسعى إليه.

إذن، تحتاج عملية التدافع إلى قيادة تقود الصراع، وهذه القيادة ليست مجرد قيادة، بل يجب أن يكون لديها:

١ - رؤية واضحة عن:

• ماذا تريد؟

• كيف تصل إلى ما تريد؟

٢ والتزاماً عالياً بالهدف.

٣ المهارات القيادية التي تمكن من إدارة الناس والموارد للوصول للهدف.

فاذا افتقدت هذه العناصر، تصبح عملية التدافع بلا قيادة، انما تخضع لإدارة من نوع ما.

اهم وظائف القيادة

وتحتاج القيادة إلى ثلاث وظائف متزامنة:

• **تطوير مستمر:** فوظيفة القيادة الاساسية ان تقوم بتطوير نفسها باستمرار: سواء بالقراءة، او النظر والبحوث والنعلم والتدريب وغيرها من الامور. فتطور القيادة المستمر، والحرص على ان تكون لها مدخلات جديدة باستمرار وان يكون نموها مستمرا: هو الواجب الاول الذي يحقق تميز القيادة وقدرتها على منافسة بقية العقول القائدة الداخلة في الصراع.

• **خلق ميزة تنافسية للمنظمة أو الجهة التي تعمل لها:** والميزة التنافسية تقوم على ايجاد فرصة او قدرة معينة للمنظمة للتغلب على العقبات التي تقف امامها، وللوصول إلى اهدافها في مقابل المنافسين، او القوى الأخرى التي تدافع المشروع.

• **القدرة على استخدام أدوات القوة:** ففي السياسة تعتبر ادوات القوة او الفعل ثلاثة وهي: المال وما يتعلق به، والاقناع وهو هذه القوة الفكرية المنطقية التي تسمح

بإقناع طرف ما بأن يخضع لرغبة الطرف الموجه للفكرة، والقوة المادية وما يصب في جانبها من عناصر القوة الصلبة.

هذه العناصر الثلاثة تشكل جوهر أدوات القوة التي تستخدم في الصراع، ووراءها تقف كل الإمكانيات المادية والبشرية والمعرفية. فالمال والإقناع والقوة الصلبة هي الأدوات المستخدمة في الساحة مباشرة لفرض إرادة طرف ما على طرف آخر.



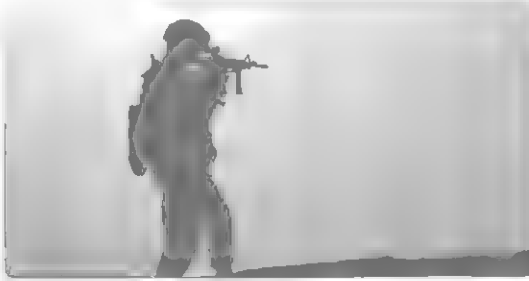
أشكال هبة في العمل التدافعي

هناك أشكال كثيرة ومتنوعة في العمل التدافعي. ولكن إذا حصرنا كلامنا على المستوى السياسي والذي هو جوهر عملية، لتتحول الفكرة إلى إيجاد نظام سياسي يمتلك عناصر القوة، وينقل مشروع النهضة من تصور نظري إلى مشروع يستفيد بإمكانيات الدولة في تنمية المجتمع. إذا حصرنا دراستنا على هذا المستوى، فسنجد أشكالاً ومسميات عديدة. وعلى القائد أن يعرف تفصيلات هذه الأشكال وليس عمومياتها، لأن هذا هو جوهر قضية ما يجب أن يتعلمه القائد عن عملية التدافع، وأي نقص في هذه الجوانب سينعكس على نقص في الأداء والتصور والتخيل عند القائد. وقد اخترنا من هذه الأشكال أو المسميات سبعة أنواع لانتشارها وكثرة استخدامها على مر العصور من قبل الدول أو التنظيمات. وسنستعرض في الصفحات التالية هذه الأشكال السبعة:

١- الحرب:

إن الحرب هي أداة من أدوات السياسة، وهي عمل من أعمال العنف. يستهدف إكراه الخصم على تنفيذ إرادتنا^(١).

(١) اللواء الطيار الركن عبد الرحمن حسن الشهري، «تطور العقائد والاستراتيجيات العسكرية».



من التعريف السابق يتبين أن الحرب ليست هدفاً لذاته، وإنما هي أداة من أدوات تنفيذ السياسات، و هي لغة حوار الإرادات، وهدفها إخضاع وكسر إرادة الخصم، ولا يشترط

تدميره. بل القائد العسكري الماهر هو الذي يسخر موارد خصمه لصالحه.

وتنقسم الحروب إلى ثلاثة أنواع رئيسة:

• **حرب كبيرة:** مثل الحربين العالميتين الأولى والثانية، وهذه الحروب لها خصائصها وتصوراتها.

• **حرب متوسطة:** مثل حربي الخليج الأولى والثانية: حيث تلتقي قوى عظمى بقوة صغيرة. وتستخدم فيها الأسلحة التقليدية وما إلى ذلك. ولكنها لا ترقى إلى مستوى الحروب العالمية.

• **حرب منخفضة الحدة:** وهي في مستوى أدق من هذه الحروب. مثل فيتنام والصومال ولبنان وغيرها.

فكل نوع من هذه الحروب له خصائصه التي يجب أن يعرفها القائد معرفة جيدة. وبدون هذه المعرفة: لا يمكن له أن يتخيل ما الذي يتكلم عنه أثناء وجود الأزمات. أو أثناء إدارة مثل هذا النوع من الصراع، حتى على المستوى النظري.

٢- الانقلابات:

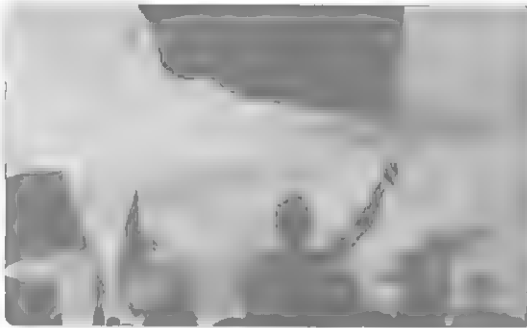
والانقلاب هو عبارة عن عملية تتم داخل أجهزة السلطة: حيث يقوم طرف من الأطراف داخل دائرة السلطة بإسقاط فريق العمل السابق والحلول مكانه.



وهناك مجموعة من الاسئلة المتعلقة بهذا الشكل من اشكال التدافع. ولا بد أن يكون القائد قادراً على الإجابة عليها. ومن هذه الأسئلة:

- ما هي الانقلابات؟
- ما شروطها؟
- ما كوابحها التي تمنع من حدوثها؟
- ما معدلات العوامل التي تسرع من حدوث الانقلابات؟
- ما سلوك العمل الانقلابي؟ فهناك سلوك معين للعمل الانقلابي.
- ان معرفة كل ما يخص الانقلابات مسألة مهمة جداً بالنسبة لعفلية القائد وتكوينها.

■ ٣- الثورات:



والثورة حدث أشمل من الانقلاب. ففي كل من الثورة والانقلاب يتغير نظام الحكم، ولكن يصحب تغير نظام الحكم في الثورة تغيرات عميقة في البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتتأثر فيها

أحوال المجتمع بوجه عام. فالثورة لا تختص فقط بتغيير السلطة في الحكم. لكنها تشمل تغيير المنظومة الاجتماعية كاملة.

فانقلاب حركة الضباط الأحرار المصرية في يوليو ١٩٥٢م لم يتحول إلى ما يسمى بالثورة علمياً إلا بعد ان مس جميع جوانب المجتمع المصري، فتحول اسمه من انقلاب الضباط الأحرار إلى ثورة يوليو.

وهكذا، فإن انتقال الفكرة من مجرد استبدال طغمة حاكمة بأخرى إلى إحداث تغييرات حتمية نتيجة هذا الاستبدال تمس تغيير البنى الاجتماعية في المجتمع: سياسة واقتصاداً وشرائح تحول الانقلاب إلى ثورة وليس عملية انقلاب.

وحتى يستطيع القائد ان يدير الصراع، لا بد أن يكون على علم جيد بالتورات، وأن يكون قادراً على الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما هي الثورة؟
- ما شروطها؟
- ما توابعها؟
- ما معجلاتها؟
- ما هو سلوك التورات عندما تحدث حتى يمكن التعامل معها عندما تحدث انفجارات؟
- من أطرافها؟
- هل الثورة تحدث بفعل القوة المعارضة او تحدث بفعل القوة الحاكمة؟
- ما دور الأطراف؟
- ما دور كل من الشعب والجيش والقوى السياسية؟
- فكل هذه القضايا يجب أن تؤخذ في الحسبان عندما تدرس هذه الظاهرة، وعلى القائد أن يكون ملماً إماماً عميقاً بهذا الموضوع المهم.

■ ٤- العمل السياسي أو العمل النضالي الدستوري:

وينبغي للقائد ان يفهم هذا الشكل المهم من أشكال الصراع، وعليه ان يلم بالأمور التالية:

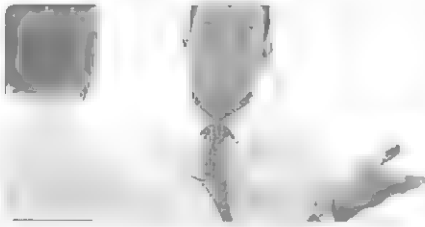
- المفهوم العلمي للسياسة.
- أهمية تحديد موضوع الخلاف والصراع.
- الأدوات الاساسية لعملية التحليل السياسي العلمي الفعال، والقدرة على التواصل مع المحللين السياسيين، والمكاتب المتخصصة التي تقوم بتوصيل ما يدور بشكل علمي للقائد.



- الأدوات الأساسية المستخدمة في السياسة وتضرعاتها.
- أدوات المعارضة والتقنيات المعاصرة المستخدمة من قبلها.
- منظومة كاملة لمعرفة كيف تقوم القوى السياسية المختلفة.
- ماهية الدعاية السياسية، وتكتيكاتها، وتقنياتها، وأساليبها.

فإذا لم يدرك القائد هذه الأمور ولم يمتلك تلك الأدوات الخاصة بالعمل السياسي، فهو غير مؤهل للقيام به، لأن العمل السياسي ليس نزهة، بل هو تدافع وصراع على منطقة ما. وفي مناطقنا التي يطلق عليها العالم الثالث، فالصراع فيها غالبا ما يكون صفريا (منتصر أو مهزوم) ^(١). وعليه، فلا بد من معرفة كل ما يخص هذا النوع من الصراع وأدواته وتقنياته.

٥- التفاوض: ^(٢)



وهو من أهم أشكال عملية التدافع التي يجب أن يعرفها القائد بشكل واضح؛ إذ إن استخدامه في الصراع أمر حتمي في أي مرحلة من مراحل الصراع. ففي بعض مراحل الصراع يمتلك كل طرف

من أطرافه درجة معينة من السلطة أو القوة أو النفوذ، ولكنه في الوقت نفسه ليس لديه كل السلطة أو النفوذ أو القوة الكاملة التي يستطيع بها إملاء إرادته وفرضها إجبارياً على الطرف الآخر. ومن ثم يصبح التفاوض هو الأسلوب الوحيد متاح أمام الأطراف التي لها علاقة بالصراع وتريد الوصول إلى حل ما.

ونتيجة لحتمية استخدام هذا الشكل في عملية التدافع، يجب على القائد أن يلم بكافة دقائق وعناصر التفاوض. وعليه أن يكون قادراً على الإجابة على الأسئلة التالية:

(١) بعض المفسرين يذهبون إلى أن الصراع في دولنا الثالث لا يكون نزهة، بل هو تدافع وصراع على منطقة ما. وفي مناطقنا التي يطلق عليها العالم الثالث، فالصراع فيها غالبا ما يكون صفريا (منتصر أو مهزوم) ^(١). وعليه، فلا بد من معرفة كل ما يخص هذا النوع من الصراع وأدواته وتقنياته.

(٢) يمكن الاستدلال في حال التفاوض من كتاب مقدم في علم التفاوض لأحمد عيسى، د. حسن محمد وحيد، مؤسسة دار الفکر.

- هل تستطيع تحديد موضوع التفاوض؟
- كيف يتم اختيار الفريق التفاوضي وتدريبه وإعداده للقيام بالعملية التفاوضية؟
- ما نوع التفاوض؟
- ما هو توصيف الحالة التفاوضية؟ هل هي حالة مقايضة أو تفاعل إستراتيجي كامل؟
- كيف تعد الهياكل التفاوضية أو الحزم التفاوضية؟ سواء كان الجزء الصلب منها أو الجزء الهش؟
- كيف يحدد الموقف العام لأطراف العملية التفاوضية؟
- كيف تحدد الأطراف العلنية والخفية للعملية التفاوضية؟
- ما الإستراتيجيات التي تستخدم فيه؟ سواء كانت الإقناع أو القهر أو التنازل أو التعاون الإيجابي أو التعاون السلبي؟ وما هي هذه المعاني ومتى لا تستخدم في العملية التفاوضية؟
- ما التكتيكات المستخدمة في العملية التفاوضية؟
- هذه هي القضايا الأساسية في التفاوض التي يجب أن يدركها القائد وأن يكون مدرباً تدريباً عالياً عليها.

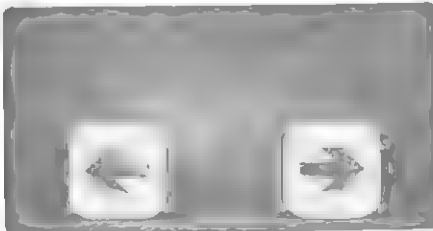
■ ٦ - حركة اللاعنف:

تعتمد حركة اللاعنف على طبيعة القوة في المجتمع. ذلك أن نتائج هذا الكفاح ترتبط بامتلاك وممارسة القوة وتأثير ذلك على الخصم.

ويتعارض هذا المفهوم مع الفهم الخاطئ السائد الذي ينظر إلى الفعل اللاعنيف باعتباره يفتقد القوة، وباعتباره يتجاهل واقع القوة في السياسة. فالكفاح اللاعنيف

هو أسلوب سياسي ينبغي أن يفهم ويقيم وفقاً لمنطقه الخاص.

إن الكفاح اللاعنيف هو أسلوب لحشد القوى في مواجهة الخصم الذي عادةً ما يكون لديه قدرات إدارية واقتصادية



وسياسية وبوليسية وعسكرية. وتستخدم القوة هنا للإشارة الى كل مظاهر النفوذ ووسائل الضغط المستخدمة ضد الخصم لإقناعه بالتصرف على النحو الذي يريده قادة حركة اللاعنف. فهو أسلوب يستخدم أدوات اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية لممارسة الضغوط. ويتضمن أكثر من مائتي طريقة مثل المقاطعات الاقتصادية والإضرابات العمالية وحتى إقامة حكومة الظل.

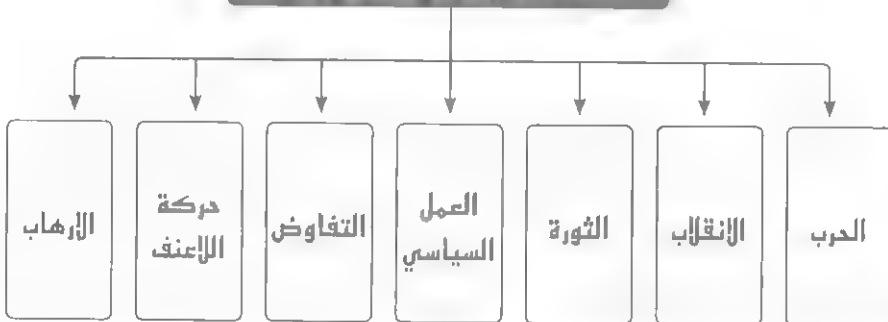
ولأهمية حركة اللاعنف في المسارات التغييرية. يجب ان يهتم القادة بدراساتها وان يكونوا قادرين على الإجابة على هذه الأسئلة:

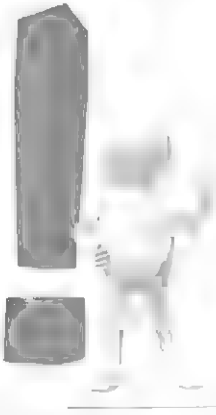
- ما هي حركة اللاعنف؟
- ما أهدافها؟
- ما آلياتها؟
- ما أدواتها؟
- ما شروطها؟
- ما نماذجها؟
- كيف تنجح؟ ومتى تفشل؟

٧- الإرهاب:

ويمكن اضافة شكل سابع للتدافع وهو الإرهاب بقسميه: إرهاب الدولة وإرهاب المنظمات. لتتكامل لدى القارئ صورة عن آليات التدافع.

أنواع تدافع





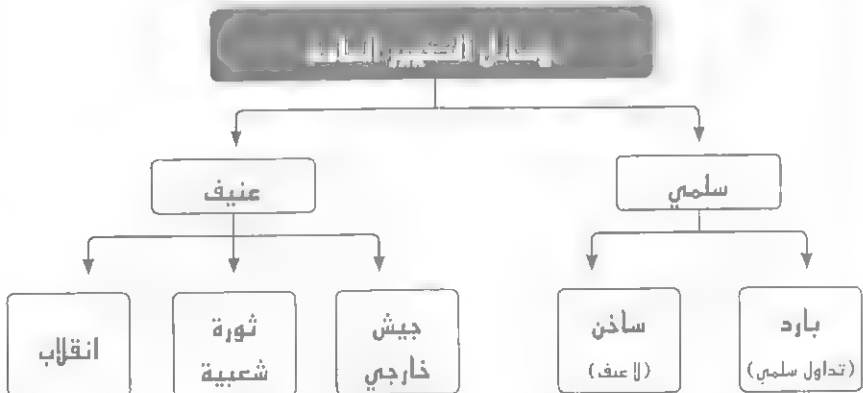
إن معرفة القائد الصلبة لهذه المسميات أو الأشكال الستة التي تدخل في العمل التدافعي أمر في غاية الأهمية، وتدخل في باب الضروريات، وليست من الحاجيات أو التحسينيات. ومن يفتردها، فقد افتقد شرط النجاح.

إن هذه المسميات يجب معرفتها بدقة شديدة، والتدريب عليها تدريباً عالياً، ومناقشتها مناقشة موسعة، حتى تتكون رؤية كاملة عند القيادات، حول البدائل المتاحة، أمام أي حراك تغييري يراد له النجاح.

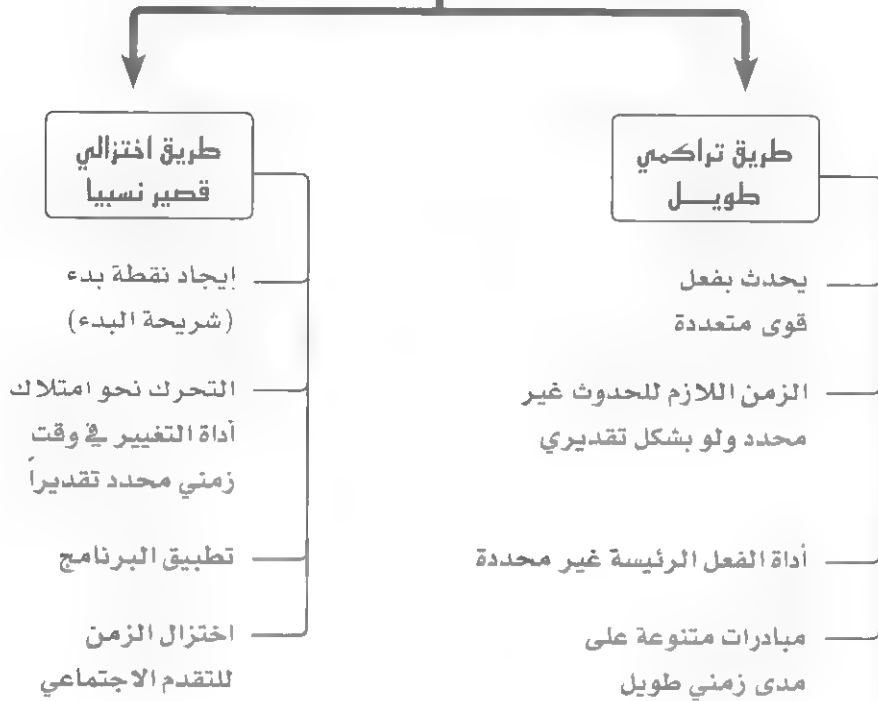
ولا بد إلا تقتصر هذه المعرفة على الفكر القيادي الذي يقود عملية التدافع فقط، بل يجب أن تكون كل الطبقات العاملة في المستوى الوسيط قادرة على استيعاب هذا النوع من الفكر، وهذا النوع من الأداء. وبدون ذلك تكون المنظومات القائمة على قانون التدافع هشة وقابلة للانهيار. والتاريخ خير شاهد على ذلك؛ فعندما تدخل مجموعة من الناس مجردين من الأدوات الأساسية في العلوم العسكرية والسياسية والاقتصادية إلى مجال العمل؛ فكم يحدثون من التدمير لأنفسهم قبل مجتمعاتهم؟

وسائل التغيير الخاصة

ونحب أن نذكر هنا في عجالة سريعة أن للتغيير وسيلتين أساسيتين هما:



طرق التغيير لإحداث النهضة



من أمثله تجارب (الفعل كلي تغلب
عليه الاستراتيجية المقصودة؛
الرسول / الصين / اليابان /
العباسيين / ماليزيا

الفعل جزئي تتناوب فيه الاستراتيجية
المقصودة وغير المقصودة

ومثال ذلك كثير من التحولات في التاريخ الأوروبي والتي تمت عبر
تراكم تاريخي طويل كطريق التحول من الإقطاع إلى الرأسمالية
والنهضة العلمية الأوروبية والتحولات الديمقراطية.

إن تجربة الدولة الحديثة في عالمنا العربي والإسلامي هي فكرة التنمية بمفهومها الاقتصادي أساساً، وليس بشكلها المنظومي الكامل الذي يعتبر أن محور التنمية هو الإنسان الحر المبدع، وبناء كل المنظومة الاجتماعية العادلة التي يستشعر كل فرد فيها الحرية والكرامة والعدل.

أما قوى التغيير في المجتمعات من الحركات والأحزاب، فحريٌّ بها أن تدرك أن طريق النهضة لا يمكن اختزاله زماناً إلا بوجود مشروع الدولة للنهضة. والدولة إما أن تكون محرك النهضة أو معيقها.

والحديث عن التدافع يطول، ولكن حسبنا أن نقول: إن إعداد القادة لعملية التدافع شرط أساسي، لأنها عملية لا يمكن تجنبها.

مستلزمات القانون

١ - المعرفة:

فمعرفة القانون أول ما يجب على قادة وطلاب النهضة. وتشمل:

- الإلمام بنوعية عملية التدافع التي يخوضونها.
- ومجالات التدافع.
- ومحاور الصراع.
- والأشكال المختلفة المستخدمة في عملية التدافع.
- ووسائل التغيير العامة.
- وأهم وظائف ومواصفات القيادة.

٢ - الاستخدام:

فالقانون إن تمت المعرفة به، وجب استخدامه في التغيير استخداماً محتكاً، وذلك من خلال:

- تحديد نوعية التدافع (صراعي أم تنافسي؟)
- تحديد مجالات ومحاور الصراع.
- تحديد الشكل المستخدم.

- اختيار الوسيلة المناسبة للتغيير.
- الاختيار المناسب للقادة وأدوارهم.

٣- عدم المصادمة:

وتتم مصادمة القانون والحصول على نتائج عكسية في حالة الجهل بقانون التدافع. او نتيجة سوء تحديد نوعية الصراع أو مجالاته أو محاوره. أو اختيار احد الأشكال او الوسائل غير المناسبة. أو عدم معرفة القادة لدورهم ووظيقتهم الاساسية.



مبادئ القانون

- استبدال نخبة بأخرى = انقلاب.
- تغيير اجتماعي + تغيير سياسي = ثورة.
- قطع موارد القوة عن النظام السياسي استخدام القوة المسلحة : حركة لا عنف.

القانون

8

الفرصة



خطوة القانون

«الأحداث العظيمة يصنعها

اقتناص الفرص»

ظروف القانون

• الفرصة: هي اللحظة التي تبدو فيها عوامل النجاح متوفرة ولحظة العمل المنتج قائمة، أو هي عبارة عن ظرف مناسب للتقدم.

أهمية القانون

قانون الفرصة هو جزء من عملية التدافع، ومعين على فهمها. ومن المعروف تاريخيا ان الفرص تتاح وباستمرار وبدون توقف للامم. حتى تنهض وتتحرك. إن المام القائد بهذا القانون وتدريبه على كيفية التعامل مع الفرص التي تتاح أمر في غاية الأهمية لنجاح مشروع النهضة.

قانون الفرصة هو جزء من عملية التدافع. وهو يعني الانتقال من مقعد المفعول به الى مقعد الفاعل. وكما اشرنا من قبل. فهي عبارة عن ظرف مناسب للتقدم. وهذا التقدم قد يكون حاسما او جزئيا. وهو يعتمد بعد ارادة الله جل وعلا على وجود الاستعداد لدى الطرف الراغب في التقدم لاقتناص الفرصة واستغلال الظرف. لتحقيق المكاسب التي يسعى إليها.

أنواع الفرص

- فرصة جزئية: لانجاز هدف من اهداف المشروع. او قطع مرحلة في الطريق.
- فرصة كلية: لانجاز المشروع الكلى والتمكين له. وهي تشمل ما يطلق عليه

بالفرصة التاريخية التي قد تكون:

• فرصة للوصول إلى أداة التنفيذ.

• أو فرصة للتحرر من الاستعمار.

• أو فرصة تاريخية للحصول على اسبقية معينة في مجال معين من المجالات.

وقد تحدث أحد الرجال النابهين في بداية القرن الماضي عن قانون الفرصة وما يتعلق به وقال: إن الغاية البعيدة لأبد فيها من ترقب الفرص، وانتظار الزمن. وحسن الاعداد، وسبق التكوين "فقانون الفرصة والطرف المناسب للتقدم يقابله قانوننا: الجاهزية، والسرعة، وحسن التوقيت.

■ الجاهزية:

اننا لا يمكن أن نتحدث عن قانون الفرصة والظروف الملائمة لحرالك ما، بدون الحديث عن قانون الجاهزية. والجاهزية عملية نسبية وليست مطلقة: فلا يمكن أن يدعى تنظيم أو فرد أو دولة ما انه جاهز لكل الاحتمالات، فذلك ليس من شأن البشر. ولكن الجاهزية هي نسبة وتناسب: فإذا كان الطرف المقابل والطرف المنافس اقل جاهزية في مسار من المسارات، عندها يمكن للطرف الاكثر جاهزية بالنسبة له ان يتقدم عليه. وهكذا تقاس جاهزية احد اطراف الصراع بالنسبة للاطراف الاخرى المشتركة فيه، وليس بالنسبة إلى العالم كله.

ان افتقاد أمة أو تنظيم أو فرد ما للجاهزية اللازمة لاقتناص الفرصة، يقوت الفرصة عليهم، بينما يقتنصها غيرهم.

• السيناريوهات:

ويرتبط قانون الجاهزية بدراسة الاحتمالات او رسم السيناريوهات. ففي عملية التدافع توجد أربعة سيناريوهات شائعة ومحتملة:

١ - السيناريو المرجعي أو الوضع القائم (Status Quo): ومفاده: ان الحالة التي نعيش فيها مرشحة للاستمرار في المدى الزمني القانم. وبالتالي، توضع الحسابات

على اعتبار ان الوضع القائم مستمر. وبالتالي. معالجته معروفة في ظل ما هو قائم.
 ٢- سيناريو الانقلاب الجذري (Radical): وهو عكس السيناريو الاول. مفاده: أن
 الوضع سينقلب انقلابا جذريا بسبب من الأسباب. قد يكون بناء على دراسة من
 الدراسات. وبالتالي. كيف يستعد هذا الطرف في حالة انقلاب السيناريو جذريا إلى
 وضع وحالة جديدين تماما؟

وهذان الاحتمالان او السيناريوهان متقابلان تماما. ويميلان اقصى اليمين
 وأقصى اليسار ان صح التعبير عند وضع السيناريوهات. الا انه يقع بينهما
 سيناريوهات وسيطة:

• ان يغلب الاستمرار على التغيير: بمعنى أن يحدث تغيير ولكنه طفيف في الوضع
 القائم. وبالتالي. يمكن التعامل مع هذا التغيير الطفيف باجراء نوع من التحويلات
 في خطة العمل.

• او يغلب على الظن ان التغيير سيكون كبيرا. ولكنه ليس جذريا. فتستمر الحالة أو
 الوضع القائم. ولكن التغييرات تكون كبيرة. وبالتالي. يتم التعامل مع هذه التغييرات
 الكبيرة بوضع خطة لمواجهة مثل هذا السيناريو.

الوضع القائم



• بناء السيناريو:

يتم اعداد الافراد والمنظمات والدول للسيناريوهات التي ترسم في اوصاع معينة.
 ويتم بناء كل سيناريو بتحديد:

- الوصف العام له.
 - الأطراف الفاعلة فيه.
 - الشروط الابتدائية لعمله.
 - لحظة تفعيل السيناريو (توقيت البداية).
 - المدى الزمني للسيناريو المحتمل.
- وهذا البناء يحدد طريقة التدخل التي يعتمد عليها أحد الأطراف لاستثمار الوضع القائم أو التغيرات الحادثة.



المدى الزمني

الوصف العام

لحظة التفعيل

الأطراف الفاعلة

الشروط الابتدائية

ولا تستطيع أي جهة أن تخطط لكل السيناريوهات مرة واحدة، ولكنها تخطط للسيناريو الغالب، وسيناريو محتمل آخر بعده. وتستعد وتجهز نفسها لاستثمار الظرف الذي سيحدث للتقدم أو لتفادي المخاطر الواردة فيه. إذن، يحتاج مشروع نهضتنا إلى عقل يقوم بدراسة المتغيرات وتوقع الظروف والاحوال، و يحدد ما يجب أن يخطط له، لاقتناص الفرص وتجنب المخاطر.

■ قانون السرعة وحسن التوقيت:

هذا يقودنا إلى موضوع في غاية الأهمية، ألا وهو أهمية السرعة وحسن التوقيت. أو كما يقول عماد الدين خليل الاستماع لـ، للحظة التاريخية.. فهناك ظاهرة متكررة: مضادها: أن النجاح والتوفيق ليس مقصورا بالضرورة على الطرف الأكثر جاهزية. بل هناك عنصر آخر يؤثر في قانون الفرصة، ألا وهو قانون السرعة التي هي جوهر



النصر في الصراعات. فعندما تكون المسافات بين الأطراف وبين الوصول للسياريو متقاربة أو شبه متقاربة، قد يكون طرف من هذه الأطراف سريع الحركة، فيقوم بحركة مباغتة ومفاجئة لاقتناص الفرصة. وعندها، فإن هذه السرعة في الاستفادة من الوضع القائم تشكل أسبقية، رغم جاهزية بقية

الأطراف التي تبدو متقدمة على جاهزية هذا الطرف. والأمثلة على ذلك كثيرة. كذلك فإن الفرص قد لا تدوم كثيراً حتى يفكر القائد فيها؛ فبعض الفرص تكون أياماً وبعضها أسابيع، وعلى أحسن الظروف تكون شهوراً.

وهنا يأتي دور القيادة الذكية الجريئة القادرة على الفعل السريع. فمن مواصفات القائد وطريقة تفكيره أنه قادر على أن يعمل كرجل الأعمال، الذي لا يضيع الفرصة عندما يراها، ويسرع في استثمارها قبل الآخرين؛ إذ إن الفرص لا تنتظر، بل هي تخدم من يقتنصها.

هذه العقلية القيادية في لحظة الفعل تصبح لها الأسبقية على العقل التحليلي التنظيري، فالقائد يحتاج إلى:

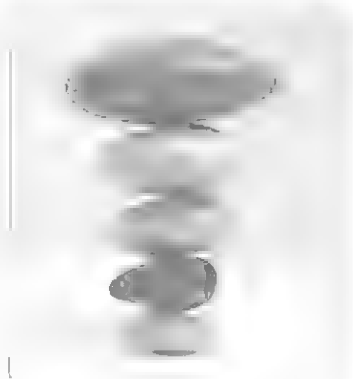
- عقلية المفكر التحليلية.
- وعقلية الطبيب الذي يعالج حالات خاصة.
- وعقلية رجل الأعمال الذي يسارع في اقتناص الفرصة. ولا يتردد في ذلك، ويتحمل المخاطر المحسوبة.^(١)

أما المترددون فرغم جاهزيتهم الكاملة افتراضاً، فيمكن أن يصبحوا فريسة لمنظمات صغيرة، أو لأفراد مغامرين يسبقونهم إلى الحركة في لحظة الفعل الأساسية. والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ.

(١) «رجع إلى كتاب «النهضة.. من الصحوة إلى اليقظة»، ندماء نفسه.

الخطوط الأمامية والخلفية

وفي هذا السياق يجب الإشارة إلى موضوع الخطوط الأمامية والخطوط الخلفية. فكثير من المنظمات لا تدرك الفارق بين خطوطها الأمامية التي تواجه الفعل مباشرة وتحمل نتائجه وبين خطوطها الخلفية التي تقوم بدعم هذا الفعل. فقد تجد تركيزاً على الخطوط الخلفية على حساب الخطوط الأمامية، فتفرق المنظمة في الخطوط الخلفية على حساب الخطوط الأمامية.



فربما تفرق منظمة من المنظمات في إعداد نفسها على المستوى الروحي أو الفكري والتفاني في مقابل إهمال الخطوط الأمامية التي تحتاج لإعداد وتجهيز في العمل السياسي والاعلامي والمادي وغيرها. فتسقط فريسة لهذا الغياب في قضية التركيز والتوازن بين خطوط الدعم الخلفية وخطوط الدعم الأمامية. وتفرق منظمات كثيرة في العكس، فتركز على الخطوط الأمامية دون إعطاء الدعم والوزن الكافي للخطوط الاستراتيجية الخلفية المتعلقة بنواحي الفكر والثقافة وخطوط الدعم المادي وخطوط الدعم اللوجستي بشكلها العام. نستخلص مما سبق أن قضية الإعداد والجاهزية لاقتناص الفرصة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتمييز بين هذين الخططين ومعرفة معنى كلمة خطوط داعمة. ومعنى الخطوط الأمامية والتوازن بينهما. فالخطوط الأمامية هي التي يتم من خلالها الصراع، وأي ضعف فيها يؤدي إلى انهيار مكاسب هذه المنظمات.

ظريّة «اعقلما تدخل»

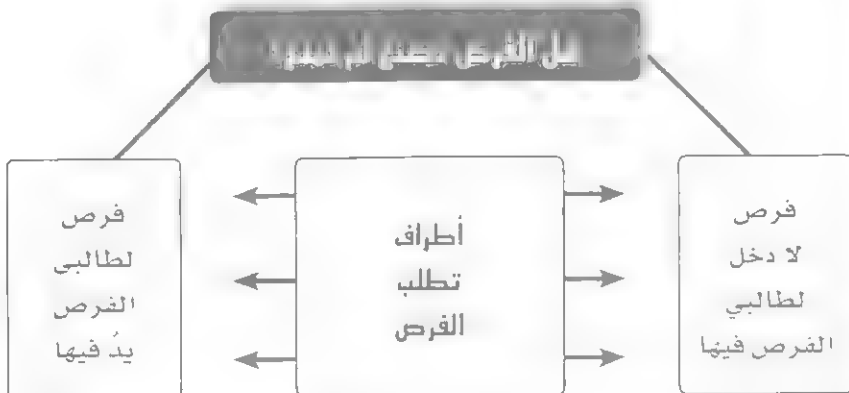
سؤال: هل الفرص تصنع أو تأتي قدراً؟

والذي يحدد الإجابة على هذا السؤال هو زاوية النظر. فان عدد العوامل المؤثرة في ساحة الفعل الانساني كثيرة جداً، وكل فرد من الأفراد يمتلك طرفاً من هذه العوامل. فمثلاً: عندما تحدث الاحداث الجسام التي لا دخل للمنظمات الصغيرة في اشعال



فتيلها، كاندلاع الحرب العالمية الأولى أو الثانية بين الكتل الكبيرة المتصارعة، وتستفيد من هذا الطرف الكيانات الصغيرة المحيطة بها كحركات الاستقلال؛ فإن تلك الحركات في هذه الحالة لم تشعل فتيل الصراع، لكنها استفادت منه بمدى قدرتها وجاهزيتها على الحصول على مكاسب محددة كاستقلال بعض الدول والمنظمات. إذن، الفرص في جانب منها تأتي بهذه الكيفية؛ بأن يحدث حدث لم يصنعه الطرف المستفيد،

ولكنه يجني الكثير من المكاسب، ويتقدم نتيجة وجود صراعات بين أطراف أخرى. وهناك أنواع من الصراعات يستترك الطرف الذي يطلب الفرصة في دفع الأحداث فيها، بتحريك بعض قطع الشطرنج التي يمتلكها على ساحة الفعل، فتتحرك الأطراف الأخرى، فتتاح فرص جديدة. وهنا تأتي عملية التدخل في صناعة الأحداث. وفي الحقيقة فإن الأمرين يحدثان. فهناك بعض العوامل التي يمكن التحكم فيها وتحريكها لإحداث تغييرات على الساحة تسمح لنا بالتقدم على رقعة الشطرنج. وهناك أحداث لا دخل لنا فيها تحدث بسبب تدافع أمم وشعوب ومجتمعات وأطراف أخرى. وتتاح فيها فرصة للكيانات الصغيرة للتحرك واقتناء الفرص.



وهكذا، فإنه يمكن المساهمة في صنع الفرص بالأخذ بالأسباب:

- ١- الذات: الجاهزية.
- ٢- الخصم: دفعه للموقع الذي نريد.
- ٣- الأرض والمناخ: بالمعالجات المناسبة.

ماذا يقول الرسول ﷺ؟

ونجد امامنا في هذا السياق قول المصطفى ﷺ للأعرابي الذي أراد الدخول إلى المسجد وهو يحدثه عن دابته التي تركها فضاقت، فقال له: اعقلها وتوكل.. لقد حدد المصطفى ﷺ هنا قضيتين هامتين:

- القضية الأولى: وهي الأخذ بالأسباب، سواء كانت في الإعداد، أو في التدخل بتحريك احجار الشطرنج. وهنا يجب أن يتم الفعل كاملا، لأن المراد من قوله: اعقلها ضبط الامور، واستنفاد الجهد والطاقة واقصى الوسع في الأخذ بالاسباب.
- بعدها لا يبقى امام الإنسان إلا القضية الثانية، وهي أن يكل نتاج أعماله إلى الله سبحانه وتعالى وفضله ونعمته «وما النصر الا من عند الله»^(١).

ماذا يقول الاسم الخمسين؟

يقول سان تسو المنظر الصيني الاستراتيجي المعروف: بعد تمام الاستعدادات لا يتحقق النجاح إلا اذا وجد ضعف في استعدادات الخصم. بمعنى آخر: إننا نمتلك خمسين في المائة من اوراق اللعبة او الصراع، والتي تكمن في تمام الاستعدادات أو الاعداد الكامل. اما الخمسون في المائة الأخرى، فتقع في دائرة ضعف الطرف الآخر. بان يغفل عن جزئية من الجزئيات، أو عن جانب من الجوانب، فيتم اقتناص هذه الفرصة الناتجة عن غفلة الخصم.

ويقول المنظر الألماني المشهور كلاوزفيتز في كتابه فن الحرب: بعد اخذ كل ما يمكن عمله في الحساب، فإن هناك فرصة خمسين في المائة من النجاح. والباقي يمكن أن تعزوه لارادة الله اذا كنت مؤمنا، او الحظ إذا لم تكن مؤمنا. ولكن المهم عندي أنك

تملك خمسين في المائة من الأوراق، لكن هذه الخمسين في المائة يجب أن يقيم بها على أكمل وجه: من الناحية الحركية والمهنية والترتيب والاهتمام والدقة .

وفي حالة الفشل يجب مراجعة هذه المنظومة مراجعة كاملة، وعدم إرجاع الفشل إلى الله سبحانه وتعالى : فالقرآن خاطب صحابة رسول الله ﷺ عقب هزيمتهم في أحد بقوله: ﴿أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾^(١) . أي: راجعوا منظومتكم، وانظروا كيف حدثت الأخطاء؟ ومن أين جاءت؟

بالتالي، تحدث الاستفادة والنمو المستمر. أما في حالة تحقق النصر، فتأتي القضية الثانية: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٢)؛ فيبدأ شكر الله على نعمائه وفضله ومنته وكرمه، والعزم على تحسين الأداء: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٣)، فتتكامل المنظومة الإسلامية بين عمليات المراجعة في حالة الفشل، والتطوير في الأخذ بالأسباب كاملة عملاً بنظرية «اعقلها» . ثم بعد ذلك بالتوكل على الله سبحانه وتعالى في جميع الأسباب والشروط، تحقيقاً لقول النبي ﷺ: «وتوكل» . أما عند إهمال الأخذ بالأسباب والتقصير الشامل الكامل على المستوى المهني والحرفي والحركي والتقني والإداري والتخطيطي، سواء على مستوى القيادات أو المنظمات، ثم عزو النتائج إلى الله - سبحانه وتعالى : فإن ذلك لم يحدث حتى للأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

فالمصطفى ﷺ ذاق حلاوة النصر ومرارة الهزيمة، لكنه في حالة الهزيمة لم يقل: إنها قدر لا بد منه، وأن جيشنا كان الأقوى والأفضل والأكثر انضباطاً، وما الهزيمة إلا قدر لا يمكن منعه، ولكنه قال لصحابته ما أخبره به ربه: ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾^(٤) . أي: راجعوا منظومتكم بالكامل، وصححوا أخطاءكم. ثم ثقوا في بالله سبحانه وتعالى ، وانطلقوا إلى محاولة أخرى. بذلك يصلح العقل المسلم، ويصبح قادراً على تطبيق نظرية «اعقلها وتوكل»، لكن إذا أسيء استخدام هذا المعنى: بحيث تصبح جزئية «توكل» هي الأساس، وتصبح جزئية «اعقلها» هامشية، فسندخل في عملية الجبرية والتوكل، وليس في عملية التوكل.

(١) سورة آل عمران: ١٦٥

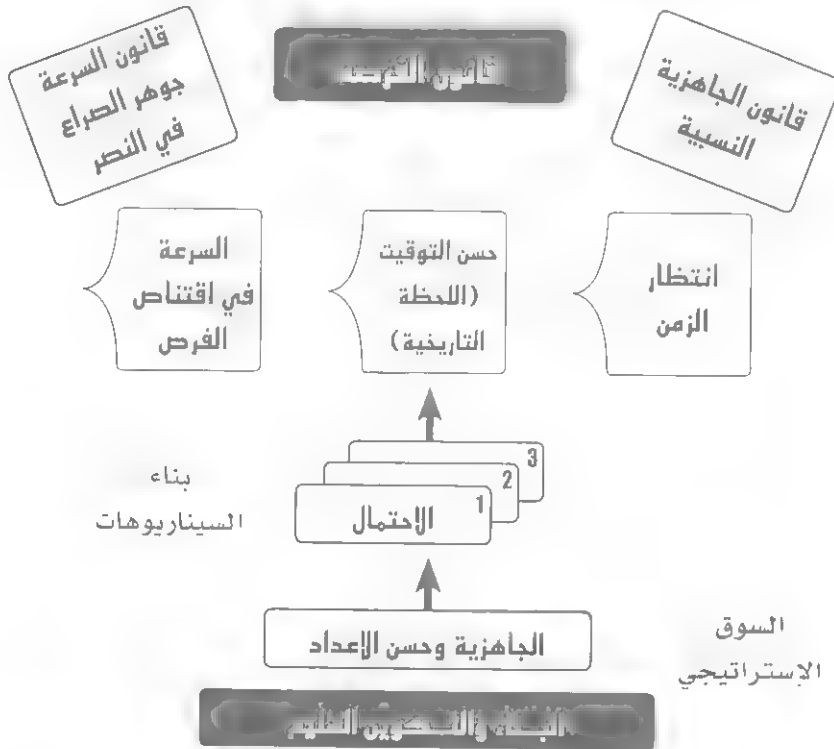
(٢) سورة الأنفال: ١٠

(٣) سورة شت: ٢

(٤) سورة آل عمران: ١٦٥

التطبيقات الكبيرة والصغيرة

إن قدرة المنظمات الصغيرة على الاستفادة من الأحداث تكون أكبر من قدرة المنظمات الكبيرة: إذ إن المنظمات الكبيرة لها موازناتها وحساباتها، وغالباً ما تخشى إذا قتلت أن يتم إفناؤها. أما الصغيرة، فإنها تكون مرنة، وتستفيد من الازمات، التي تعتبرها فرصاً ذهبية لكي تتحرك.



مستلزمات القانون

١ - المعرفة:

فمعرفة القانون هي أول ما يجب على قادة وطلاب النهضة: البحث في التجارب التاريخية التغيرية ودراسة كيفية تعاملها مع الفرص.

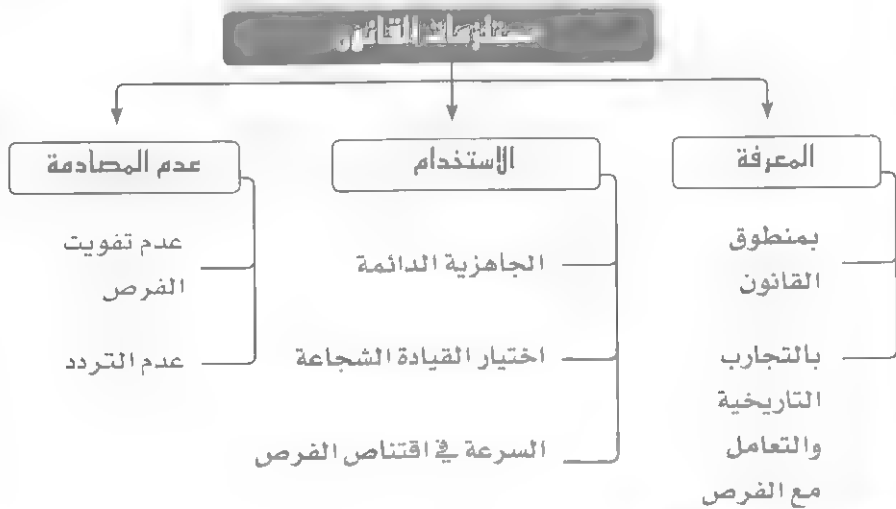
٢- الاستخدام:

فالقانون ان تمت المعرفة به. وجب استخدامه في التغيير استخداما محنكا. وذلك من خلال:

- الجاهزية الدائمة، واستمرار الاستعداد لقوله تعالى: «وأعدوا».
- اختيار القيادة الشجاعة الذكية التي تبادر باقتناص الفرص.
- السرعة في اقتناص الفرص.

٣- عدم المصادمة:

وتتم مصادمة القانون والحصول على نتائج عكسية عندما تمر فرصة نلو فرصة. والقيادات تقدم خطوة وتراجع خطوات. مترددة في التعامل مع الفرصة. أو أن تنتظر فرصة تدوم شهورا: اذ ان العمر الافتراضي للفرص كثيرا ما يكون قصيرا.



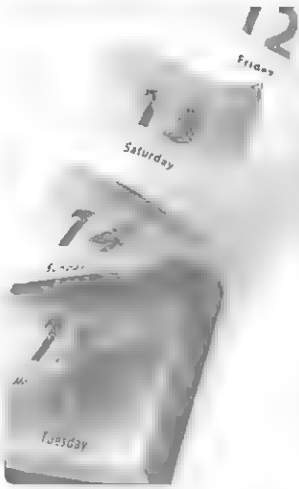
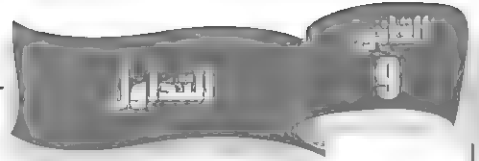
مصادمة القانون

- ٥٠% جاهزية + ٥٠% ضعف الخصم = فرصة.
- فرصة + سرعة + جاهزية - نصر.

القائمة

9

التداول



سُطْرَةُ الْقَائِمِ

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١)

سُطْرَةُ الْقَائِمِ

• **الأيام:** اليوم هو الوقت الزمني المعروف. ويقصد به أيضاً، الأحداث والوقائع كما قيل في معنى أيام العرب. أي: وقائعهم.

• **نداولها:** جاء في المعجم الوجيز في معنى كلمة (دال) الدهر مثلاً أي انتقل من حال إلى حال.

و (أدال) الشيء أي جعله متداولاً. و (داول) الأمر بينهم أي جعله متداولاً تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء.

فالمقصود أن الأحداث والوقائع لا تستمر على حال ولا منوال واحد. بل هي تارة لهذا الطرف، وتارة أخرى للطرف الآخر. فدوام الحال من المحال. فالمنتصر اليوم كان مهزوماً بالأمس، وهكذا تمضي الحياة؛ يوم لك ويوم عليك.

أهمية القانون

يزرع الاعتقاد في هذا القانون الأمل في قلوب طلاب النهضة. إلا أنه ليس أملاً بارداً بلا حراك، بل أملاً يصحبه استعداد للفرص القادمة وعزم على اقتناصها.

قانون الأمل العائد

يقول عماد الدين خليل: هذا القانون يمكن أن نسميه قانون الأمل العائد؛ فمع

(١) سورة آل عمران: ١٤٠

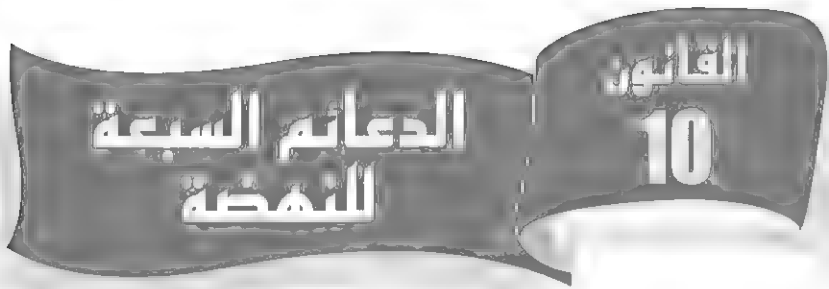
ضيق أي فرصة، فلا زالت هناك فرص أخرى قادمة، ومن فاته قطار اليوم سيلحق بالقطار التالي، لذا، يجب أن يكون جاهزاً لركوبه وإلا فاته واضطر لانتظار القطار الذي يليه، وهكذا...

فإذا كان الأمل مستمراً، سواء كان الوضع يبدو يائساً في لحظة تاريخية معينة أم لا: فعلى قادة وطلاب النهضة الأخذ بقانون التداول القائل بأن ذلك الوضع لن يدوم، وأن علينا واجب الاستعداد والتحرك المستمر: بحيث لو أتى القطار في اللحظة التي يقدرها رب العالمين، نكون قادرين على اقتناص الفرصة والصعود وتحقيق المغامر والنصر. عماد الدين خليل «الاستماع للحظة التاريخية».

إذن، هناك عمل قبل وجود الفرصة، وهذا العمل القبلي من الاستعدادات يؤكد على اليقين بعملية التداول، واليقين بعملية التداول ينفي عملية اليأس التي تصيب الناس من رؤية قوة طاغية: كالاتحاد السوفيتي في لحظة معينة، أو كالولايات المتحدة الأمريكية في عصرنا الحاضر، أو كالرومان والفرس في عصر ما.

إذن، يعلمنا هذا القانون أن كل وضع يبدو صعباً في لحظة ما فإنه سيصبح هساً في لحظة أخرى لاحقة، وإلا تعطل قوله تعالى: «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلُهَا بَيْنَ النَّاسِ»، فهناك عمل قبل وجود الفرصة، وهناك عمل لاغتنامها، وهناك عمل بعد الفرص. وهو ما سنتحدث عنه في القانون الأخير وهو دعائم النهضة.





العمل البعدي

عندما يُمكن الله للمجتمعات أو الأمم أو الحركات والتيارات، وتحقيق أهدافها باستخدام القوانين والسنن التي سبق ذكرها، تجد نفسها أمام نساؤل مهم، وهو ما هي احتياجات الدولة؟



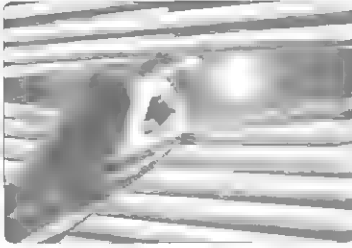
فمن الخطأ أن يهمل قادة وطلاب النهضة التفكير في احتياجاتهم بعد التمكن بحجة الانشغال بما هو أهم وهو الوصول للتمكن أصلاً. وهذا التفكير وإن كان في ظاهره منطقياً، إلا أن قانون الفرصة يخبرنا أن التمكن قد يحدث بين عشية وضحاها، وأن الفرص في أغلب الأحيان لا يمكن التنبؤ بأوقاتها ولا يخلو الأمر من قادة مخلصين في مكان التنفيذ الآن... فكيف سيديرون الدولة؟ وما هي تصوراتهم عنها؟ وغيرها من التساؤلات التي لا بد من

التفكير فيها ملياً قبل الوصول والتمكن. وهذا هو ما اطلقنا عليه في قانون التداول: «العمل البعدي».

وبداية تحتاج الدول إلى مجموعة من العناصر أو الدعائم اللازمة لاستنهاض الأمة.

الدعائم السبع

أولاً الروح الخبيثة بالأمل



إن أول ما تحتاجه أي أمة هو روح جديدة تسري فيها؛ روح مشبعة بالأمل في إمكانية الفعل التاريخي، وتحقيق النتائج، والتفوق على الأطراف الأخرى. وقد تناولنا هذا الموضوع بالتفصيل في قانون المكنة النفسية.

ثانياً الاعتزاز بالذات والمراهمة

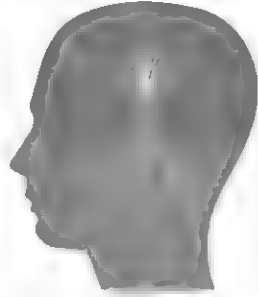
الاعتزاز الشديد بالذات، واليقين بالقدرة على المشاركة الحضارية. وارجع إلى قانون المكنة النفسية لترى كيف تم زرع قضية الاعتزاز بالتراتب الخاص لهذه المجتمعات وبمكوناتها وبقدراتها، واستثمار ذلك في سبيل المبعث النفسي.

إن الأمل والعزة أداتان كبيرتان تساعدان على بعث حالة نفسية وشعور جديد في هذه المجتمعات. هذا الشعور الضخم بالذات والأمل المفتوح للمستقبل، يجعل العمل الجاد والشاق هيناً على النفس، لأن الإنسان المدفوع بهذين العنصرين: الاعتزاز الشديد بالذات وعدم الرضا بالهوان، والأمل الكبير في تحقيق الأهداف، يستعذب كل جهد وتعب في سبيل تحقيق ذاته وأهدافه. وبين هذين الحافزين - الأمل والاعتزاز - يصبح استثمار الوقت في الفعل الحضاري استثماراً هائلاً وضخماً. وارجع إلى النماذج المذكورة في قانون المكنة النفسية لترى كيف يتم تحريك الجموع، وتوظيف أوقاتهما في الفعل الحضاري المتقدم في ساحة النهضة.

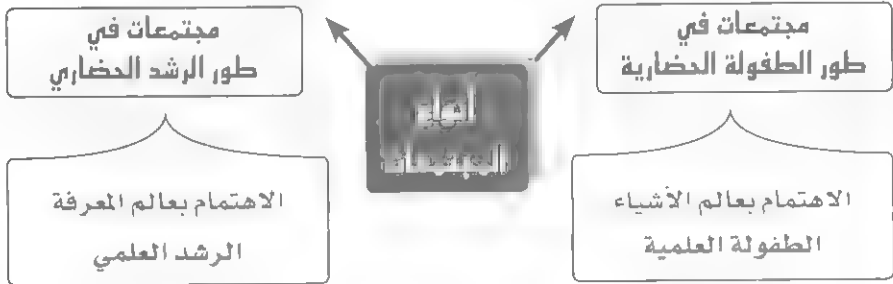


قالا: العلم الغزير (علم الدنيا والدين)

يحتاج أي مجتمع من المجتمعات إلى منظومة علمية وقيمة. والتفكير في كيفية الحصول على العلم الغزير أمر ضروري لبناء أي مجتمع. والمجتمعات - كما يقول مالك بن نبي - نوعان: نوع يعيش في طور الطفولة نمثله بالفرد المسلم الذي يذهب إلى ديار الغرب فينهر بعالم الأشياء؛ فإذا دخل معرضاً للمنتجات وعُرض



عليه منتج. فإن أعجبه اشتراه، وإذا تم إقناعه بأخر اشتراه، فيستخدمه ثم يرميه ليستري آخر. كالطفل الذي يلعب بلعبة، فإذا تحول نظره إلى غيرها ألقي التي في يده وأخذ الأخرى، فهو ينتقل بين عالم الأشياء. بينما قد يأتي الطالب الياباني أو الطالب الذي يأتي من منظومة حضارية متقدمة، فإذا عُرض عليه منتج، فتسح (دليل المستخدم) Manual لينظر إلى أسرارها، وكيفية نقلها إلى مجتمعه. وهنا تأتي قضية مجتمع الرشد، الذي يبحث عن المعرفة، ولا يبحث عن عالم الأشياء.



إن مجتمعاتنا لا تزال في طور الطفولة العلمية، فهي تبحث عن عالم الأشياء، ولا تبحث عن عالم المعرفة في الأشياء. وعندما تنتقل أمة من الأمم إلى عالم المعرفة، فإن ذلك لا يكون قدراً ومصادفة، إنما هو جهد جهيد. وعندما تبدأ أمتنا في تحويل عقلية الفرد وفي المنظومة الصناعية والمنظومة العلمية من منظومة تبحث عن عالم الأشياء، إلى منظومة تبحث عن عالم المعرفة؛ فهي بذلك تنتقل إلى مرحلة جديدة.

ثلاثية التكنولوجيا

وهذا يقودنا إلى الحديث عن قضية التكنولوجيا. فعلى تيار النهضة أن يدرك أن التكنولوجيا ليست هي عالم الأشياء التي نتجت. فالتكنولوجيا الحقيقية مكونة من:

- ١- البحوث التي يتم بناء عليها التصنيع الذي يخرج عالم الأشياء التطبيقية.
- ٢- المصانع أو الأداة التصنيعية التي تقوم بتحويل الأفكار إلى منتجات.
- ٣- الاستخدام الأمثل لعالم الأشياء أو تلك المنتجات.

من هذه المنظومة الثلاثية (البحوث، والمصانع، وحسن الاستخدام) يمكن أن تعرف التكنولوجيا.

أما المجتمعات التي لا تشارك في البحث العلمي بنصيب، ولا تمتلك هذه الأداة المعرفية، ولا تمتلك الأداة التصنيعية أو المصانع التي تقوم بتحويل الأفكار إلى منتجات، ثم هي لا تحسن استخدامها؛ فهي ليست مجتمعات تكنولوجية، إنما هي أسواق كبيرة.

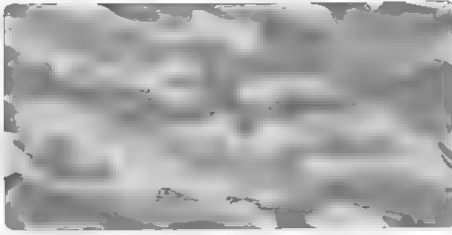
وفي غياب المفهوم الثلاثي الجوانب للتكنولوجيا، يصبح المفهوم العلمي عندنا مختلفا عن المفهوم العلمي السائد في المجتمعات التكنولوجية الحقيقية. فيصبح الهدف هو تحصيل الشهادات دون تحصيل المعرفة الضرورية.

وهكذا، لا بد أن تتغير فكرة أي مشروع نهضوي عن العلم والتكنولوجيا. ويجب أن تفكر أي حركة نهضوية، وأي حركة استقلال، في الآلية التي يمكن بها الانتقال من عالم الطفولة العلمية إلى عالم المعرفة والرشاد والنضج العلمي.

رابعة القوة والاستعداد

تحتاج مجتمعاتنا الإسلامية والعربية اليوم إلى القوة والاستعداد في كل الاتجاهات. فمجتمعاتنا تحتاج إلى قوة عسكرية، وهي مسألة يجب التفكير فيها مليا، فالسماة الإسلامية مستباحة رغم كثافة السكان وإمكانية الحصول على الأسلحة التقليدية. كما أن قوى الردع التي يجب أن تتاح لهذه المجتمعات غير موجودة في مقابل منظومات تمتلك قوة تدميرية شاملة.

إن العمل الشاق الذي يجب أن نفكر فيه هو كيفية امتلاك أدوات تحمي السماء



الإسلامية، وقوة ردع تجعل عملية التفاوض مع الأطراف الأخرى ممكنة. وبالتالي، ننتقل إلى عالم الإنسانية المتوازنة؛ لا نعتدي فيه على الآخرين، ولا يعتدي فيه الآخر علينا. أما حالة

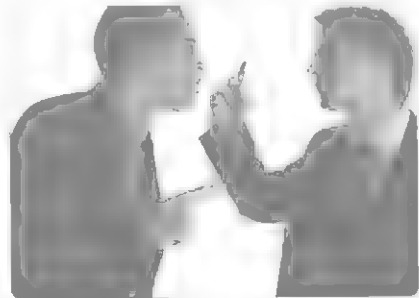
الاستضعاف التي نمر بها، فهي تؤدي إلى معاهدات غير متكافئة، وتؤدي إلى أن يفرض الآخر شروطه على حساب مصالح شعوبنا وأمننا ومنظوماتنا القيمية. وبالتالي، فعلوم الفضاء وما يتعلق بها، والعلوم المتعلقة بقوى الردع هي من فروع الاعيان التي تأتم الأمة بتركها، ولا تتحول إلى الكفاية حتى تتحقق الكفاية.

ثانياً: عناصر النهضة العالمية والتأخلة

إن وجود منظومة قيمية صالحة يعد من عناصر القوة، وحركة النهضة يجب أن تفكر في هذه القضايا الثلاث الكبرى قبل القضايا الايديولوجية:

- أولاً: درجة العدل التي يجب أن تتوفر في هذه المجتمعات للإنسان كإنسان.
- ثانياً: حجم الكرامة المتوفرة للإنسان في المجتمعات التي نريد أن نبنيها. فكثير من النشطين والداعين لحركة النهضة الإسلامية يختزنون منظومات غير عادلة للإنسان وكرامته، تحدوهم في ذلك مفاهيم مغلوطة عن التفوق والتميز الذاتي بسبب من الاسباب. ومن العجيب أن يقول شخص ما: «إننا نمتلك الدعوة الحق والآخرين على باطل. بالتالي يجب أن نهيمن عليهم». ولعل صاحب هذه المفولة يقول: ومن الذي يعتقد - وهو في منظومة أخرى - أنه على الباطل؟

إن كل شخص يعتقد أن ما يتبناه هو الحق. ولو أراد كل طرف من الأطراف أن يؤسس المجتمع على منظومته التي يراها مع وجود تعددية وأطراف أخرى لا تقبل بمثل هذه المنظومة، لوجدنا عالماً يسوده الاقتتال لا تهدأ له ثائرة. بينما



يمكن للإنسان أن يعيش في منظومة يتمتع فيها بالكرامة الإنسانية. وذلك عمل فكري ومنهجي شاق، يجب أن تتبناه المجتمعات الإسلامية؛ ليس بدعوى حقوق الإنسان أو الضغوط الخارجية. ولكن بسبب هذه الحقيقة المنطقية، وهي أنه حتى في المجتمعات الإسلامية فإن هناك فوارق بين الطوائف والمذاهب الإسلامية، فإذا قررنا أن من يختلف معنا في مذهب من المذاهب أو رأي من الآراء هو مواطن من الدرجة الثانية أو الثالثة لا يحق له كذا وكذا وكذا، لنشأت صراعات لا تنتهي. ولقننت قوانين لا يقبل بها العقل الإنساني. أو المنهج الرباني الذي أنزل الميزان والكتاب ليقوم الناس بالقسط.

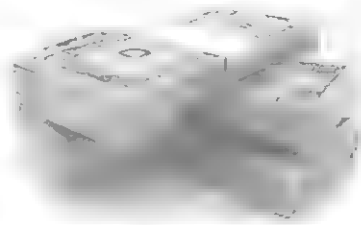
إننا نحتاج إلى مراجعة المنظومة القيمية، وتحديد معنى المفاهيم المطلقة: كالحرية، والعدل، والمساواة. وأن يتم التراضي حول هذه القيم. وإسنادها بالأدلة الشرعية والعقلية والمصلحية. حتى يمكن أن تصبح قانوناً عاماً عند العاملين في مشروع النهضة. وإلا تحطمت كل الجهود بعد أول خطوة من التنفيذ، ولا أصبحت العلمانية هي غاية ما يرجوه أي مجتمع من المجتمعات بشكلها القائم. لأنها تشكل خلاصاً للإنسان من هذه المعاناة، بدلاً من استمرار الحروب، والاقترال حول قضايا الأيديولوجيات التي لا تسمح للآخرين بالعيش في ظلالها. والأمثلة على ذلك كثيرة.

أساس المال والاقتصاد

لا يمكن أن تنهض المجتمعات إلا إذا كان لها نظام اقتصادي صلب. يسمح للإنسان بأن يحقق ذاته وكرامته. وأن لا يقع فريسة للفقير بأي حال من الأحوال. ويجب أن يكون هذا هدفاً اجتماعياً كبيراً. وعميلة الاقتصاد ليست بالبساطة التي يتصورها البعض اليوم، فعملية بناء البنية التحتية

في مجتمع من المجتمعات، تحتاج إلى:

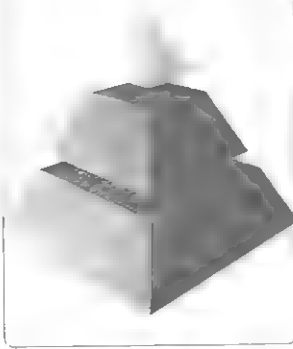
- مليارات الوحدات النقدية.
- عقول جبارة تخطط لهذا العمل.
- قدرات تنفيذية قد لا تتاح في المجتمعات الإسلامية في لحظة ما.



فالتخطيط الاقتصادي لإيجاد نظام اقتصادي جديد في هذه المجتمعات في ظل المعطيات الحالية هو عمل ضخم، وليس بالعمل الهين الذي يختزله البعض في مقولة: «اتباع الكتاب والسنة»، على ما في هذه المقولة العامة من صواب.

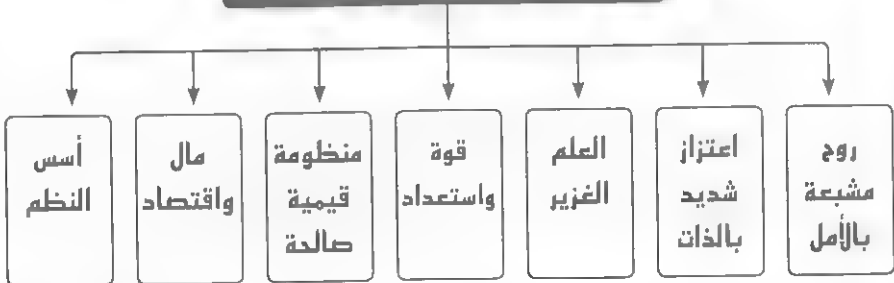
سابقاً: أسس النظم

يحتاج كل مجتمع إلى نظم. ويحلو للبعض القول بأن كل شيء موجود في الكتاب والسنة، وما علينا إلا تطبيقهما لتصلح المجتمعات. وذلك قول صحيح، ولكنه عندما ينزل إلى أرض الواقع يحتاج إلى الكثير من العمل والتفكير، خاصة في وجود نصوص قطعية الثبوت ظنية الدلالة، فتتعدد الأفهام وتتباين الرؤى، وعندها يصبح المرجح الحقيقي في ظل هذا التباين هو المصلحة المحققة من هذه النصوص، وليس مجرد النصوص في حد ذاتها.



فنحن نحتاج إلى منظومة سياسية، واجتماعية، وتربوية. وخلقية. فوجود هذه النظم مجتمعة في مجتمع ما توجد له القوة التي تركز عليها بقية الأمور. وكلما ازدادت صلابة المجتمع في نظمه ازدادت قوته في العلم وفي التصنيع والجيش، وتعززت منظومته القيمية، وتعززت الآمال عنده. وازداد اعتزازه بذاته وبفكرته، وحقق نهضته وتقدمه وتنميته.

الأسس السبعة للنظم



القانون

11

قوانين النهضة
في سياق الدولة

قوانين النخبة في سياق الدولة

لو تركنا التعريف المتداول للدولة من أنها شعب وارض وحكومة وسيادة، وتعاملنا معها على أنها بنية اجتماعية مكونة من نظام اجتماعي في داخله نظم فرعية، وقلنا: ان المجتمع هو افراد وقواعد ومعايير وتفاعلات، وان نظمه الفرعية هي ايضا مكونة من افراد وقواعد ومعايير وتفاعلات، وفي داخله تحدث الظواهر: صغيرها وكبيرها، وأعلاها الثورات.

وبما اننا نتكلم عن فكرة النظام هنا، فالقاعدة العامة في سياق علم الاجتماع ان النظم تميل إلى الاستقرار والتوازن، وعلم الاجتماع كما نعرفه نشأ بعد الثورة الفرنسية، واجتهد مفكرو الغرب لاعادة الاستقرار للحياة الاوربية، وبالتالي شددوا على مفهوم النظام وضرورته. وفي مقابل ذلك ولدت المدرسة الماركسية التي ركزت على فكرة التناقض داخل النظام وضرورة تغييره، وقالت بأن قواعد النظام المستقر صاغتها القوى المسيطرة على وسائل الانتاج لضمان ديمومة سيطرتها على البشر في اوضاع غير عادلة. واستطاع الغرب نجيب المزيد من الثورات حين فكر في اقامة نظم

عادلة تسمح لقوى الاختلاف أن تفرغ طاقتها في مسارات منتجة، وأن تحصل على حقوقها دون ان يدخل الجميع في دوامة الثورات وتوابعها، وبالتالي تجنبنا عبر التعلم موارد النزاع والمهزات الاجتماعية الكبرى. وسنطلق على هذه الفكرة: قانون المسار البديل.



■ قانون المسار البديل:

• نظرة على علم الاجتماع:

لقد أثبت الغرب الصناعي عدم حتمية النظرية الماركسية، فعبّر مسار الإصلاحات السياسية والقوانين العمالية العادلة ثم تنفيس طاقة الاحتقان في المجتمعات الغربية، وحتى الآن، ونقول: حتى الآن، حتى نتجنب افة الحكم على كل المستقبل بقراءة جزء منه، فالحياة العادلة لما تتحقق في أي مكان في العالم بعد، ولكن أقصى ما هنالك أن بعض البلاد اقرب الى العدل من غيرها، وبالتالي تبقى عمليات الحراك الجماهيري قائمة، والتدافع كسنة مستمر و قائم، ولكنه يخف بزيادة العدل، ويزداد حدة بغيابه، والمجتمعات كلها وباستمرار تحت مطرقة التحولات، فالتغير سنة الحياة، وبقدر توفر الإرادة لمواكبة سرعة التغيرات، بقدر ما يتم تجنب التوترات والقلق الاجتماعي، واليوم المتهند العربي في بعض البلاد تحرك بسرعة كبيرة، أطلق عليها: الربيع العربي.. وفي بعض البلاد بقي ساكنا أو تحرك جزئيا، وفي كل الأحوال، المستقبل: سواء هنا أو هناك، مرهون بمستوى العدل والتراضي الاجتماعي العام.

إذن، القلاقل الاجتماعية هي باستمرار وليدة اختلالات في بنية العدل في المجتمع بأشكاله المختلفة: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والقانونية، وأن المسار البديل باستمرار مفتوح لمن يريد: فكل المجتمعات بحاجة للتنمية، والتنمية باستمرار هي بنت الاستقرار الاجتماعي، والاستقرار الاجتماعي يحتاج الى وجود يقوم عليه الاستقرار.

• نظرة إلى مستويات الاستقرار:

وتعاني بعض المجتمعات العربية من تهديد وجود، وبعضها تهديد استقرار، وأغلبها يعاني من مشاكل التنمية، والمستويان الأول والثاني الوجود والاستقرار هما من أهم عوائق التنمية، وجوهرهما اختلالات حقوق: فالمشكل العرقي والطائفي والديني والجهوي هو قلب مشكل التوجهات الانفصالية وتهديد الوجود في المجتمعات العربية.

ومشاكل الاستقرار في جوهرها هي ثمرة أيضا لمشاكل التخطيط الاجتماعي غير الكفء، والنظر القاصر الى مكونات المجتمعات المختلفة وتوزيع السلطة والثروة، فنظرة واحدة الى ما حدث في (السودان) تسي بعقم المعالجات التاريخية لمشاكل التنوع

العنقي والديني: فمع طول فترة الاحتكاك بين المكون العربي والافريقي بشقيه: المسلم وغير المسلم. لكن الطرفين عجزا عن انتاج اندماج حقيقي على حدود العرق والثروة والحقوق. وبالتالي، فشلت الحكومات المختلفة في بناء الهوية الجامعة، وفشلت في استغلال ثروات بلد عملاق مثل (السودان).

■ سؤال العدل:

حين ننظر الى عمق المسار البديل الذي يضمن استمرار الاستقرار والنمو، سنجد في الجوهر هو سؤال العدل. والعدل هنا لا يحوي المعنى الاطلاقى النظري. ولكن العدل العملي الذي يقبل به اطراف العقد الاجتماعي، ويتوافقون على العمل في ظله. وللعبور لهذا المستوى من التفكير، أي: العدل العملي، يلزمنا أن نتأكد من التوافق المبدئي على وظيفة اي دولة هي تأمين وجود المجتمع ثم استقراره ثم نموه: إذ لا معنى لاي حديث عن الاستقرار دون تأمين الوجود ولا معنى للحديث عن التنمية دون تأمين الاستقرار.

■ تشخيص الواقع:

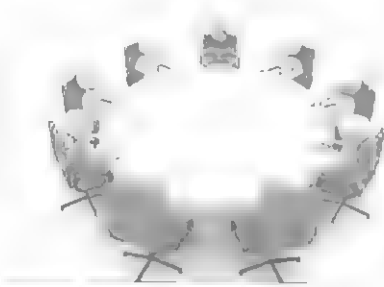
في العقل العربي تصطرع معان متنوعة: منها القبلي، ومنها الوطني، ومنها القومي، ومنها الديني. وهي غير مفروزة او مرتبة في نسق؛ فاحيانا يطغى عنصر واحد على ما سواه، ويأخذ الأرجحية. وفي سياق الدولة المعاصرة ومماهيمها. والتي جوهرها فكرة دولة المواطنة والمساواة امام القانون وسلطة الشعب. تظهر فكرة اخرى تاريخية منازعة. وهي الدولة الامبراطورية. او فلنطلق عليها دولة المساكنة. وهي على خلاف مفهوم دولة المواطنة: فيها شخص واحد. هو صاحبها، والبضية رعاياه. حدودها غير ثابتة، تتسع بقدر قوتها العسكرية. يخضع القانون فيها للامبراطور. وهو من يحدد مستويات الوجود الاجتماعي التي تسيطر فيها عرقية معينة او دين معين او حتى طائفة أو مذهب وهو سيد الموقف. وحينها يسمح أو لا يسمح للاخرين بالوجود. وهذا الوجود يكون بالقدر والمظان الذي يحدده هو. والعقل العربي مضطرب بين هذين التصورين: فلا هو قادر على التأقلم مع فكرة دولة المواطنة، ولا هو قادر على

إنتاج دولة المساكنة التاريخية، وهو يريد ان يجد محاسن كل منهما، فيعجز عن إنتاج نموذج التوفيق. وفكرة دولة المساكنة في عقدها الاجتماعي هي أشبه بطاولة مستطيلة يجلس على طرفها وعلى كرسي مرتفع الامبراطور. وهو إن سمح للبقية بالجلوس، فذلك تفضل منه، وهم حينها في ذمته ورعايته. أما دولة المواطنة، فهي أشبه بجلوس الجميع على طاولة مستديرة بدون أي ميزة: ابتدائية لأحد من الحضور. ثم يتم التناوب حول العقد الذي يناسب استقرار الطاولة السياسية للمجتمع، والجميع حينها في ذمة الوطن.

والناس بعدها تثير مسائل مثل: الهوية الإسلامية أو العربية أو غيرها. والحقيقة الموضوعية، ان كل هذه الهويات غير مهددة في الحقيقة في ضوء التوافق الاجتماعي في مقررات الدولة الحديثة: فالمسلم في أوروبا يبقى مسلما، والعربي يبقى عربيا بالإضافة إلى صفته الأوروبية المكتسبة. ولكن الناس بالطبع لا تقصد الهوية بهذا المعنى، بل تقصد هيمنة الهوية على الهويات الأخرى: ليس فقط كوجود عددي، بل كمظهر قانوني سياسي وثقافي مقنن. وذلك يعني انه يتجاوز الإطار الطبيعي الذي عادة ما يفرضه التاريخ والجغرافيا والأغلبية السكانية، وربما التفوق الثقافي والمالي والذي يعطى الطابع العام للمجتمع: وهو ما يقبل بحكم الواقع في أي مجتمع. ولكن بالطبع أيضا هذا ما لا يقصده المطالبين بفكرة الهوية، وهو ما يجعل مهمة التوافق عسيرة. فاحد الفريقين يتكلم عن دولة المساكنة، مستخدما لغة العصر دون ان يعي انه يتكلم عن نموذج مختلف عن فكرة دولة المواطنة التي يطالب بها الطرف الآخر.

والحل من وجهة نظر أخرى أن يعي الفرقاء أو شركاء الوطن حدود النماذج التي يطرحونها، وأن يجلسوا على طاولة مستديرة بدل طاولة الامبراطور، ثم ينحوا جانبا

فكرة الخوف على الهوية، وينتبهوا لفكرة الخوف من الهيمنة: وهي ام الاستبداد، ثم ينظروا إلى أعماق مخاوفهم ومطالبهم، وينظروا إلى التعاقد الجديد، وكيف يمكن تبديد هذه المخاوف لصناعة وطن جامع لأبناءه، ومستقر، وقابل للتنمية؟



ولننظر الآن لتأثير قوانين النهضة على مستوى الدولة.

■ الإقتراب من الفكرة المركزية:

حين ننظر إلى أول قوانين النهضة: وهو قانون الفكرة المركزية. سنجد أنفسنا ندور حول فكرة الإسلام والدولة بشكل حاد. وفي بعض البلاد، حيث لا يوجد إلا الإسلام بشكل غير متجاذب فيه. تبدوا مشكلة الفكرة المركزية واضحة المعالم. وهي الإسلام. وفكرة الإسلام تأخذ صيغا مختلفة حين يتم استبعادها: ففي البلاد العربية التقليدية تأخذ العلاقة بالإسلام شكلا تقليديا، في الغالب تسيير فيه الدولة في برامجها كأي دولة أخرى. ويتم التغاضي عن بعض تفسيرات التعاليم في ضوء الاعتراف العام بالإسلام وشريعته. ويترك مساحة التدين العام للمجتمع واحترام بعض الخصوصيات. وفي البلاد العربية التي مرت بها موجات الحداثة وتمت فيها تغيرات كأغلب دول النورات، نجد ان سؤال الشريعة الإسلامية وسؤال الدولة المدنية وكأنهما طريقتين نقيض. وهو سؤال حائر: فانشاء عقد اجتماعي سليم ومتوافق عليه يقتضي تحديد معنى محدد لمرجعية الشريعة الإسلامية، وذلك التفسير يتراوح بين:

• مرجعية الشريعة الإسلامية مطلقا (المصدر الوحيد للقانون هو الشريعة الإسلامية)

• مرجعية قيمية

• مرجعية النصوص، قطعية الثبوت وقطعية الدلالة.

• دين الدولة الرسمي الإسلام

وكل ذلك يعكس تخوفات اجتماعية مشروعة. ولكن لا يمكن استقرار المجتمع إلا بإيجاد أكبر قدر من التوافق بين أطراف العقد الاجتماعي على واحدة من هذه الصياغات. والمجتمعات في نهاية المطاف هي بنت ذلك التوازن الدقيق بين أطراف العقد الاجتماعي التوافقي. وكل محاولة للاستئثار تحت أي دعوى. خلاف قاعدة التوافق، تشكل تهديدا للاستقرار، قابل للتطور ليصبح تهديد وجود.

لقد استقرت ماليزيا وحقت ذاتها بتوافق على الفهم الاسيوية. ولم يؤثر ذلك على هوية شعبها واسلامه، وأصبحت منلا لبقية البلاد الاسلامية... فأسس الاستقرار الاجتماعي تقوم في جوهرها على كلمة سواء، يلتقي حولها المجتمع ويحقق بها

أكبر قدر من النمو والتقدم لصالح كل افراده. ففي أي تعاقد اجتماعي على طاولة مستديرة يقدم الجميع تنازلاتهم لصالح التوافق الاجتماعي. ويتخلون عن طموحهم للهيمنة.

■ الاقتراب من قانون البعث النفسي:

الانتقال من عصر إلى عصر جديد. ومن حال إلى حال: في جوهره هو شعور جديد بالحياة. هو اعتناق من الياس إلى صالح الأمل، واعتناق من الشعور بالعجز إلى الشعور بالإمكان. ومن اتهام الحظ والظروف والمؤمرات الخارجية والأوضاع الاقتصادية الصعبة وكل أنواع الكوابح الداخلية والخارجية إلى صالح النظر إلى إمكانات الذات في الفعل. ذلك الشعور هو ما تحتاجه لحظة الإقلاع: هو شعور يجمع الاعتناق من أسر الركود والتطلع إلى حلم كبير. والمجتمعات العربية اليوم تضع رجالاً في الماضي. يمكن أن تسمع خطواتها في أصوات المحيطين والمتشائمين الذي يصرخون: لا فائدة، ولن ينجح شيء. فهؤلاء لا يرون أي نجاح إلا باعتباره مقدمة لفشل قادم، أو لخطئة وفخ يخططه الغير. وترى وتسمع صوت الأمل القادم من جموع مؤمنة بالمستقبل، وبذاتها الحضارية تواجه تحديات الواقع، بروح ملؤها الأمل. ولكن ماذا يعني قانون البعث



النفسي لمجتمعاتنا العربية، وخاصة في دول الربيع العربي؟

ان البعث النفسي في المجتمعات الجديدة يحتاج لثلاث أحد اضلاعه هو الوعي بالحاجة للبعث النفسي من قبل الطلائع المؤمنة بالغد القادم ومن قبل الحكومات الجديدة وضلعه الثاني هو الاعلان عن المشروع الوطني ومراحله وضلعه الثالث هو تحقيق الانجازات والاحتفاء بها.

ان البعث النفسي، كما انه لحظة انبعاث تاريخية فتعززه صناعة تنتظر من يقوم بها، والحكومات الواعية، والتي تريد اطلاق إمكانات الانسان. والحكومات التي تريد

ذلك، عليها اولا ان تعمل على تحريره من مشكلة العجز النفسي في مقابل تحديات الواقع. كما تحتاج بشدة أن تشعره أنه قادر على حل مشاكل مجتمعه. فلا وجود لحكومة تعمل بدون شعب عامل. وكل ذلك ابن أجهزة مختلفة تعمل على إطلاق ذات الإنسان من أسر العجز والاستسلام للواقع.

■ الاقتراب من قانون التغير:

ان كان التغير النفسي جوهري في لحظة ميلاد المجتمع مهما، فعالم أفكار المجتمع وعالم علاقاته وعالم مشاريعه هي الروافع الثلاث الكبرى لصناعة أي مجتمع. وفي كل مجتمع نرى على سطحه عالم المشاريع وعالم العلاقات: ونحن حين نرى عالم مشاريع ناجحا وعالم علاقات قويا نعلم أن تحته عالم أفكار قوي وقوي والعكس صحيح.

والمجتمعات العربية مرت بتاريخ طويل من الركود عبر قرون شهد فيها العالم من حولنا تطورات مذهلة في عالم الأفكار والمعرفة، وطور عالم علاقاته وعالم مشاريعه. هذا التاريخ الطويل من الركود له اسبابه العميقة المتجذرة في بنية الأفكار التي أنتجها عبر عصور مختلفة: فمنها ما يختص بالفكر الديني. ومنها ما يختص بالفكر السياسي، ومنها ما يختص بالفكر الاجتماعي.

والمجتمعات الجديدة يجب ان لا تعالج قضايا السطح، وتترك قضايا العمق. لأن قضايا العمق مهما بدا اننا نتجاوزها، فهي قادرة على اعادة انتاج نفسها. ولكل مجتمع قضايا عمقه التي قيدت حركته وسببت ركوده، وهو حين يريد الاقلاع فلا بد أن يتخلص من تلك الفيود التي تمنع انطلاقته. ولذلك أربعة اضلاع اساسية وهي:

- تعرية قضايا العمق، وتفكيك مكوناتها.
- طرحها للتداول والنقاش الموضوعي.
- طرح الحلول والمقترحات
- نقلها إلى مستوى الحساسية الجماهيرية عبر وسائط التواصل والفنون المختلفة، ثم قياس الاثر

فقضايا التغير الفكري يمكن رصد نتائجها بكثافة في تغير عالم العلاقات

البيئية بين مكونات المجتمع المختلفة وأحزابه السياسية وجماعاته، بل وحتى في التعامل الآسري والفردي: فعالم أفكار المجتمع يعكس أشعته على عالم العلاقات والمشاريع. وإن شئنا التحديد، لقلنا: إن عالم العلاقات والمشاريع هو عالم الأفكار المجسدة. فحين نرى فشل الاقتصاد



والصناعة والزراعة والبنى التحتية ومدن الصفيح وقوضى السوارع وانعدام الامن وانتشار الرشوة وفقدان النظافة وعدم احترام القانون وانخفاض قيم العمل واقتقاد الجودة والإتقان، فنحن نرى عالم الأفكار الذي يعبر عن نفسه.

والمجتمعات التي تريد أن تنسى واقعا جديدا، لا يكفي أن تسن القوانين وأن تغير بعض أوجه التعامل، بل يلزم لذلك عمل مزدوج من تغيير واقع السطح، والالتفات إلى عمق الأفكار التي شكلته.

والمجتمعات العربية تعالج قضاياها عبر الوعظ. وكلما عجز الوعظ أن يغير من سلوك الناس كان الحل في المزيد من الوعظ. بينما العمل الشاق الحقيقي ليس في مهارات الوعظ، بل في مهارات البحث والتفكير العميق لعالم الأفكار القائلة. وسبرها. وفهم ظروف إنتاجها والية عملها: بحيث يستطيع المجتمع أن يهاجمها، وأن يدمر معاقليها وبنيتها التي قادت المجتمع إلى التخلف ابتداء.

■ الاقترب من قانون الشرائح:

حين تناولنا من قبل قانون السرايح، تحدثنا عن سرائح ثلاث: أولها شريحة البدء، وقلنا أنها أن يحملوا فكرة بدعون السها. يحملون فكرة مجتمع جديد واعد. وهم يكافحون ليحولوا الحلم من حمل القلة إلى حلم الجموع. بكافحون لا يقاظ قوى الخير في المجتمع. ولنعبر الوعي الزائب وانسلا المجتمع من الياس ومن السعور بالعدم. يريدون أن يعطوا المجتمع شعورا بالامكان وبالضردة. وهم في سبيل ذلك يتحدثون القديم. فكرا. علاقه. مسروعا. والمديم في جوهره أفكار

محنطة غير منتجة، تحوّلت إلى شكل مقدس من المسلمات التي فقدت قدرتها على التغيير، فجمّدت معها المجتمع عند مستوى وعيها، فتأتي طلائع التبشير بعصر جديد لتدق الأبواب. هؤلاء مثلثهم عبر العصور الطلائع الأولى في التجربة النبوية، والطلائع الأولى التي كسرت صمت عصور الظلام الأوروبية، ومثلثهم في التجربة الصينية الطلائع التي اقتحمت صمت الصين من بداية القرن العشرين، ومثلثهم في اليابان الطلائع التي حضّرت لعصر الميجي من القرن السادس عشر؛ هي كلها في جوهرها قوة تبشير لا تمتلك مقاليد الأمور، تحرث الأرض، وتضع البذور للعصر القادم، تبحث عن موسم الأمطار وتنتظره بشوق، وهي مهما كبرت لا تستطيع إنتاج العصر الجديد.

وفي رحم المجتمعات توجد القوى التي تمتلك زمام الأمور؛ علمت أو لم تعلم، هي صفوة تنتظر مشروعا؛ إما أن تكون نخبة حكم مصطفاة كما هو حال أهل المدينة، قيادتها التي سلمت السلطة إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام اختيارا وحباً وإيمانا، أو مثل طلائع فلاحي الصين الذين مدّوا الثورة الشيوعية بالعضلات التي تنجز بها مشروعاتها، أو مثل الامبراطور مياجي، ملك عصر الأنوار الذي قاد التحديث في اليابان، أو مثل الجموع التي أنجزت التحول في أوروبا الشرقية... ها نحن



قلنا؛ إن شريحة التغيير قد تكون ملكاً صالحاً، أو فئة متنوّرة تملك زمام الأمور، أو شريحة اجتماعية كفلاحي الصين، أو مجمل الشعب كما في شرق أوروبا... لا يهم العدد، إنّما القدرة على تجسيد فكرة التحول إلى عصر جديد؛ من قوة محتملة إلى قوة متحققة.

ولكن مهمة الإقلاع بالمجتمع لا تتم بمجرد وجود طلائع البدء وطلائع التغيير، بل لا بد من تعاقد اجتماعي يشمل أوسع شرائح المجتمع ويدير التنوع.

بحيث يصبح نعمة للجميع، فيؤمن الوجود والاستقرار كشروط أساسية لإمكان التطور السريع والإقلاع.

واليوم تنتظر بلاد العرب جهود كل الشرائح في الدخول إلى عصر جديد، فالمسار البديل للتخلف يفتح الفضاء للجميع: للقادة المتنورين في بلاد الاستقرار، وفي بلاد الثورات، لمباشرة اللحظة التاريخية، والاستماع لتدائها، فليس مسار الثورات حتمي في كل مكان، ولكن مسار الإصلاح حتمي في كل مكان، وهو ينتج نفسه بالاختيار، أو بفعل تراكم الظروف والإحباطات.

وحين نركز الضوء على قضية أهمية شريحة البناء في هذه المرحلة، فذلك لأن الإقلاع هو ابن ثلاثة عوامل:

• نوايا القيادة وخططها.

• بناء الروافع للفعل.

• إزالة الكوابح والمعوقات للفعل.

ومن أخطر الكوابح للفعل هي تهديدات الوجود (عبر توجهات الانفصال)، أو تهديدات الاستقرار عبر (الصراع الاجتماعي والسياسي خارج إطار قواعد متفق عليها)، وتهديدات التنمية عبر هرب رؤوس الأموال، وفشل استقطاب رؤوس أموال خارجية، وهرب الكوادر المؤهلة بسبب بيئة الصراع، وعدم أمان بيئة العمل نتيجة القلاقل.

فتشريحة البناء هي كل المجتمع المؤمن حين ينتظمه تعاقد اجتماعي سليم يسمح للجميع بالعيش المشترك والنماء المشترك.

■ اعتبار قانون القوة والخصوبة:

لو انتقلنا من فكرة الحديث بالمعنى التقليدي، وانتقلنا إلى مستوى الحديث عن الدولة: لقلنا: إن عملية التنشئة الاجتماعية المتكاملة هي صمام الأمان لإنتاج البشر الأسوياء الصالحين. لتدعيم عملية الوجود والاستقرار والبناء. وبالتالي، فكيف تنتظم القيم والمعارف والسلوكيات المنتجة في المجتمع المطلوب؟ وكيف تتناغم أجهزة المجتمع في إنتاج ذلك الفرد؟ كيف ستدار الأسرة والمنزل؟ وكيف ستدار

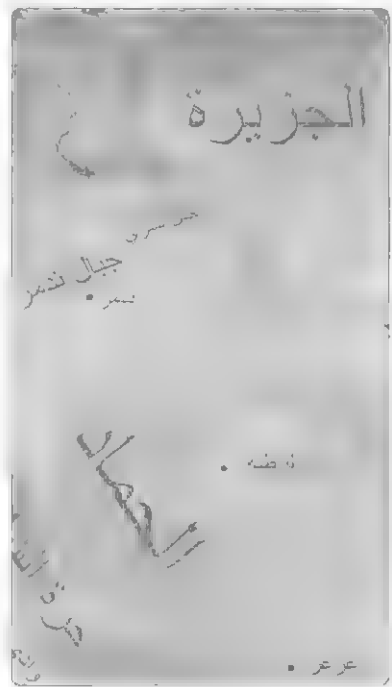
ولكن المجتمعات في لحظة الإقلاع كما هي في الأوضاع العربية المعاصرة لا تبدأ من الصفر، بل هناك مجتمع قائم، ولا يمكن الحديث عن الحالة المثالية التي ستعدها فيها هندسة المجتمع من الصفر. وهنا تطرح الاسئلة العملية: من أين نبدأ بكل هذا الارت المعيق من الأفكار، وعالم العلاقات المحتل، وعالم المتساريع المتهالك؟

ان نقطة البداية العملية التفكير تبدأ من مسار قصير وعاجل، يهدف إلى تفعيل ما هو قائم من الطاقات البشرية، بأفضل طريقة ممكنة. إستراتيجية المرحلة: وتقوم على الاستفادة من ما هو متاح من قدرات، وتحضيرها من خلال طريق قصير، وتحويلها إلى الدرجة المطلوبة لمكافحة احتياجات المرحلة. فلسفة المرحلة وروحها تقول بان كل عصر اقل يترك وراءه قدرا من الصلاح يبدأ به العصر الجديد، فالماضي ليس كله خطايا، والا لما نتج العصر الجديد. وحين ننظر إلى التجربة النبوية المعيارية، سنجد أنفسنا أمام اللبنة الأولى التي قام عليها حراك الجزيرة العربية، وافتتاحها لعصر جديد، وبناءها لأمة الإسلام.

والحكمة النبوية (يعلمهم الكتاب والحكمة) جعلت ذات لبنات المجتمع المدني لبنات للمرحلة المدنية، فلم تنقض البناء القديم، ولكنها أعادت ترتيبه كأدوات للعصر الجديد.

وتكرر الأمر في فتح مكة، وزاد عن ذلك؛ فأهل المدينة استقبلوا الدين وأمنوا به اختياراً، أما مسلمو الفتح، فكان دخولهم للإسلام بعد أن عجزت مقاومتهم العسكرية وفشلت خططهم.

والمرحلة المدنية، فلم تنقض البناء القديم، ولكنها أعادت ترتيبه كأدوات للعصر الجديد. وتكرر الأمر في فتح مكة، وزاد عن ذلك؛ فأهل المدينة استقبلوا الدين وأمنوا به اختياراً، أما مسلمو الفتح، فكان دخولهم للإسلام بعد أن عجزت مقاومتهم العسكرية وفشلت خططهم.



- ومع ذلك تَوَجَّه الرسول تلك المرحلة بسياسات كبرى، نستطيع ان نذكر منها:
 - استبقاء مكانة قياداتهم ذات الشأن: . من دخل دار ابي سفيان وهو آمن..
 - عدم تغيير بنية الملكية: فلم يسترد منازل وأموال المهاجرين التي استولت عليها
 - قريش بعد طرد المسلمين إلى المهجر.
- إشعار الجميع أن الخير سيعم الجميع: فأول غزوة بعد الفتح، وهي حنين. وزع الرسول غنائمها على المجتمع القرشي الذي كان مقاوما للدعوة وترك الأنصار حملة الرسالة الأولى.
- وضع نصيب مقدر من المال للمؤلفة قلوبهم. لتأمين ردود أفعال معينة قد تؤثر على المشروع الجديد.
- توظيف الطاقات العسكرية والخبرات الكبرى للمجتمع، بما فيه القوى التي كانت في الماضي قوى مقاومة ونفي لمشروع التحول.
- ونستشف هنا روح تسويات كبرى: فحركة التحول لم تكن قوى إبادة لطاقات المجتمع القديم ومقدراته (بشر وموارد ومستاريع)، ولكنها طاقة استثمار لكل ما هو صالح فيه، وإعادة توظيفها لإنتاج المجتمع الجديد.
- أما الطاقة الشابة الحاملة لمشروع التحول، فيجب أن يسلك بها طريق قصير للتأهيل، طريق يعيد ترتيب أفكارها ومهاراتها، لتكافئ متطلبات التحول الضخم الذي تتطلبه المرحلة.
- وهنا لابد لنا أن ننبه لمزلق كبير في فكرة إعداد كوادر التحول الحضاري في المجتمع. وهذا المزلق هو انصراف ذهن القادة ان المطلوب هو إعدادهم مهاريا كما هو حادث في مسار التنمية البشرية، بل يجب أن تكون المهارات جزءا من إعادة انتاج الوعي الذي يوظف المهارات. وهنا يأتي برنامج ٣٦٠ لاعداد القادة، ليخدم مساهمة لسد هذا الباب. واختصار الاوقات في الإعداد.
- وعملية الاعداد وحدها لا تكفي. انما عملية التمكين للشباب، ملء المقاعد الأولى في قاطرة التحول ولو بشكل تدريجي. ولكن لابد من ضخ الدماء الجديدة لعجلة الإنتاج والوزارات وكافة القطاعات.
- اما المدى المتوسط والطويل، فيمكن العمل على منظومة كاملة، تشمل الاسرة

والمدرسة والجامعة والإعلام، لإنتاج احتياجات المجتمع البشرية، وفق الشروط والمعايير التنافسية الدولية.

■ قانون نظام المؤشرات :

حين ننظر للأماني والأحلام، نجد أنها تنظر إلى الكمالات، وتبشر بالعالم المثالي. ولكن الواقع - باستمرار - له سقف قابل للزيادة والتحسين، هو مساحة من الممكنات النسبية والتي يتنافس فيها البشر. والقيادات الساعية للنهضة بالمجتمعات لابد أن تمتلك مؤشرات الواقع المعاش، وأن تعرف لغة الأرقام المتعلقة بال لحظة، وتعرف عن الاقتصاد والاجتماع والتعليم والصحة والشأن الديني وسائر أوجه الحياة التي تعمل من خلالها المجتمعات، وتعرف الطموح الذي في وسعها أن تعمل له في المدى الزمني المتاح، وتعرف المناطق التي ستعطيها الأولوية.

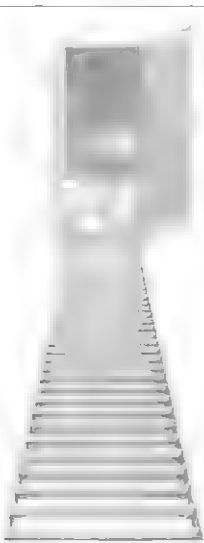
ليست فكرة المؤشرات هو ما يجب أن تفكر فيه قيادات المجتمعات. ولكن نظام المؤشرات، وهو مفهوم غير المؤشرات ذاتها. والمجتمعات العربية في أغلبها تمتلك مراكز الإحصاء، والتي ربما تقوم بعمل متقن من جانبها. ولكن الإحصاءات والأرقام إن لم تكن جزءا من نظام كامل يستقبل تلك المؤشرات بانتظام ويعيد تكييف نفسه وفق تلك المعطيات، فلا معنى له. وفكرة النظام من أخطر القضايا التي نفتقد في ثقافتنا معناها، فماذا يحدث حين تخرج المراكز المتخصصة مؤشرات الحالة الدينية؟ أو المؤشرات على التوترات الاجتماعية أو الاقتصادية؟ من يتلقفها نظريا؟ إن هناك مستقبلا للمعلومات يستخدمها كاحد مدخلاته، ثم يقوم بعمليات اتخاذ القرار بشأن ما دلت عليه، ثم يخرج ذلك للواقع العملي: حيث توجد أجهزة الرصد لقياس الأثر، لتعيدها لمراكز حساب المؤشرات التي تعيد المعالجة. وهكذا، يحيا النظام. ولكن واقعنا العملي لا يعمل بهذه الكيفية، حيث تتقطع العلاقات بين منتج المؤشرات وجهات الاستفادة منها. وتلك الأفة لا بد من حلها في المجتمعات التي تأمل في التقدم.

■ الاستفادة من قانون التدافع :

لقد استفادت المجتمعات العربية من فكرة حركة اللاعنف، وانبجحت فرصة جديدة

للتقدم. ولكنها اليوم مطالبة لتفعيل قوانين التدافع كاملة؛ فقانون افتكاك الفضاء الجديد عبر مسارات النضال الدستوري، أو النورات، أو حركات اللاعنف، أو غيرها غير مسارات التدافع لإنتاج ثمرات التحول؛ وهي التنمية وبناء المجتمعات الجديدة. ومجتمعات ما بعد التورات غالباً ما تشهد تحديات لا حصر لها؛ فهي تعاني من كل مخلفات الماضي، مضافاً إليها انهيار النظام السياسي، والاقتصادي، والبنية البيروقراطية التي ستعمل عليها في البناء الجديد، والتي تعاني من ترهلات النظام القديم ومن بيئة فساد متغلغلة في أعماق خلاياها، في مقابل استحقاقات ملحة من مجتمع ما بعد الثورة والتحويلات الاجتماعية الكبرى

ويظهر سؤال من أين نبدأ؟ فغالباً ما تدور حركة الحياة الجديدة حول تلبية المطالب الملحة، بتوفير المرتبات والكهرباء والطاقة والأمن، وهي قائمة الاستحقاقات العاجلة. وفي بيئة مضطربة من المطالب الفوضوية، والتي لا تعترف بالواقع، ولكن تريد القفز عليه دون اعتبار للزمان والممكن. وحينها تصبح القيادات الجديدة اسيرة للواقع، وتبريرية باستمرار، وتعجز عن الرؤية لأبعد من اطراف قدميها. والدول تتدافع مع أمم أخرى في محيطها الاقليمي والعالمي، ولكنها قبل أن تصل إلى هذا المستوى، عليها أن تنجز مشروعاتها الداخلي. ولو نظرنا إلى متطلبات النقطة



الأولى، فسنجدها. فعلاً تكمن في تأمين متطلبات الاستمرار وتأمين الضرورات، ولكنها لا تشكل إلا جزءاً من المطلوب الأولي. أما بقية المطلوب، فهو متعلق بفلسفة الإقلاع، وهي متعلقة بنقطة البدء.

هذا المسار، هدفه تحضير مؤسسات المجتمع بالتدرج لعمليات التحول، للدخول في التنافسية العالمية من ناحية كفاءة الإدارة والإنتاج. وبما أن المجتمع ليس جاهزاً بكلية لهذه الخطوة الكبيرة، وعملية التحول في كل القطاعات أمر مستحيل عملياً بسبب

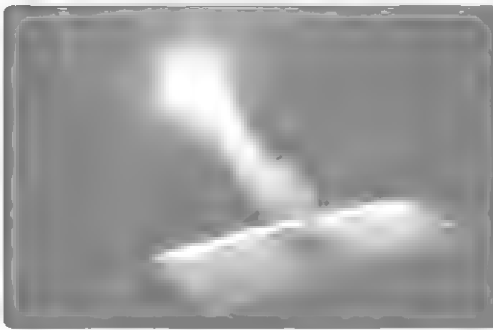
الظروف المالية؛ فهنا تأتي فكرة المشروع القائد. حيث يتم اختيار قطاع من القطاعات التي تتوفر فيها مواصفات، مثل:

- القدرة على إنتاج السيولة المالية في المدى القصير لتغذية بقية القطاعات
- طبيعته التنافسية
- حجمه الذي يسمح بإنتاج كفاءات، لتغذية بقية المجتمع في مرحلة لاحقة.

وهذا القطاع القائد يتم تحريره من سيطرة البيروقراطية المعيقة، وإطلاق إمكاناته حتى يعمل وفق شروط السوق. ففي الصين تم اختيار قطاع الصناعات الخفيفة وقطاع الزراعة بعد سلسلة تجارب فاشلة مع قطاع الصناعات الثقيلة. وتم التحول الاقتصادي عبر عمل مناطق حرة تقع قرب تايوان وهونغ كونج. وفي دول الخليج الصغيرة طورت دبي نفسها كميناء ومنطقة حرة عالمية، وطورت قطر نفسها من خلال اعتماد قطاع البترول والطاقة كمركز ونقطة انطلاق، واختارت سنغفورة فكرة الميناء كنقطة انطلاق، وقد تختار دولة ما قطاع العقار أو السياحة كنقطة انطلاق. ولكن في كل الأحوال تلعب فكرة القطاع القائد مرتكزا أساسيا لبدء الانطلاق.

ومن القطاع القائد يتم تحرير الوفورات المالية والكوادر القيادية ذات الكفاءة، لإطلاق إمكانات بقية القطاعات بالتدريج.

وتلعب علمية تطوير البنية التحتية للمجتمع دورا حاسما في عملية التنمية؛ فطرق المواصلات، والسكك الحديدية، وشبكات الكهرباء والاتصالات، والتي تربط أجزاء الوطن، وتسهل عمليات انتقال السلع والبشر والمشاريع.



ثم تبرز فكرة اختيار مجال من مجالات التخصص لصناعة طفرة علمية فيها، تسمح للبلاد في المشاركة العالمية. فقد اختارت بعض الدول مجال تقنية المعلومات، وبعضها مجال الطاقة النووية، وبعضها مجال أبحاث الوراثة...

ومساحة التدافع تعني بالضرورة الإدراك العميق لمتطلبات الداخل، ومتطلبات التنمية، وتطوير نظام العلاقات الخارجية، كامتداد للاحتياجات الداخلية. فالربط العميق بين المسار الداخلي ومسار السياسة والعلاقات الدولية يصبح من الضرورات لإدارة عمليات التقدم وخوض التدافع.

■ تفعيل قانون الفرصة:

إن المجتمعات تصنع فرصها بحسن سياساتها. أو فلنقل: توسع من نطاق الفرص بحسن سياساتها؛ فالعالم المحيط متشابك ومعقد، وباستمرار هو في حالة حراك وتغير. فقد استفادت أمم كثيرة في حيازة استقلالها أثناء فترة الحرب الباردة باستثمار الصراع بين القطب الغربي والقطب الشرقي. والعالم ولود بالفرص التي تحتاج من استثمارها.

التحولات في الوطن العربي تشكل فرصة لميلاد جديد كبير للأمة العربية والإسلامية. ولكن الشروط الموضوعية لاستثمار الفرصة التاريخية متعددة، ولا بد من توفيرها حتى ننال شرف اغتنام الفرصة:

• **أولها:** الوعي باللحظة التاريخية وما تفتحه من إمكانات تسمو على الحزبيات الضيقة والقبليات والعرقية والجهويات والعنصريات. وهذا يتطلب مصارحة الجماهير بمتطلبات المرحلة وبحقائق الموقف، بحيث يقوم المجتمع والدولة بالتجديف في اتجاه واحد.

• **ثانيها:** إيجاد نقطة الاستقرار للمجتمعات. بتوافق اجتماعي ناضج وناجز حول المصالح العليا للأوطان.

• **ثالثها:** ترتيب الأولويات وفق الإمكانيات. وعدم الانجراف وراء الشعارات التي لا تمتلك قدرة الصمود أمام الحقائق الموضوعية لتوازنات القوة في العالم.

• **رابعها:** إدراك فرقاء الوطن مجتمعين أن مصالحهم مشتركة. وبالتالي، التخلي عن فكرة الاستعانة بالخارج لترجيح القوة في الداخل: فكثير من الأوطان الضعيفة تصبح فيها القوى الداخلية مجرد امتدادات لاجندات خارجية تعتقد أنها سند لها. وهي في الحقيقة خصم من قوة الوطن وإضعاف لشوكته.

- **خامسها:** حسن إدارة الملف الاقتصادي، وعبقورية استثمار كل الطاقات والموارد لبناء الاقتصاد الجديد.
- **سادسها:** الالتفات وبقوة إلى أهمية عالم الأفكار والتصورات ومراكز البحث والنظر، واختيار أفضل السبل وأنجعها لتهيئة الفرد الصالح؛ فكراً ومهارة، لعملية التنمية السريعة وفق أحدث شروط التنافسية الدولية.
- **سابعها:** تحديث القطاعات وفق ترتيب الأولويات لعملية التنمية وضرورتها.

■ تفعيل قانون التداول:

في بلاد الربيع العربي تم استبدال النظم السياسية بنظم جديدة، أو بدايات نظم جديدة. ولكن تلك خطوة أولى في سبيل الحلم: انها أشبه بتغير مجلس إدارة شركة معرضة للإفلاس بمجلس جديد لا أكثر ولا أقل. بمعنى أن الشركة ما زالت مهددة بالإفلاس، وإن كان بقاء الشركة ضرورياً للموظفين، باعتبارها مورد رزقهم ومكان تحقيق طموحاتهم. فمجلس الإدارة هو شريك في الإنقاذ، وليس ضامناً للإنقاذ. وبالتالي، فعملية الإنقاذ ستعني بالضرورة قرارات صحيحة، وزمن تنجز فيه هذه القرارات، وعمل شاق، وصبر من قبل الموظفين، حتى تستطيع الشركة أن تقف على رجليها. وبالتالي، تستطيع تلبية احتياجات موظفيها.

شيء من ذلك ضروري أن يحدث في مجتمعاتنا. وهو بطبيعة الحال ابن وعي الجميع بالمرحلة وظروفها واستحقاقاتها... إن طاقة التظاهرات والاعتصامات التي تسقط الطغاة ليست هي طاقة إنشاء المجتمعات وتحريك عجلة الإنتاج التي تحتاج تظاهرات مختلفة واعتصامات مختلفة. فتظاهرات العمال والموظفين في مرحلة البناء تكون بالاحتشاد، وأعمار المصانع والمعامل والمزارع، واعتصاماتهم بالوقوف وراء الآلة والمحراث لوقت أطول، لاستنقاذ المستقبل بقوة العمل لا بقوة التعطيل.

إن التداول يعني وصول قوى جديدة إلى مقاعد السلطة، وهذا صحيح، ولكنه ليس هدفاً بحد ذاته، بل الهدف العودة للفعل الحضاري، والمشاركة في صناعة العصر ثقافياً وأخلاقياً ومادياً. والفارق كبير بين تغير السلطة وتغيير المصير وإنتاج المستقبل؛

فتغير السلطة ربما يتم عبر عمل غاضب قصير كما في الثورات، أما إنتاج المصير الجديد وافتتاح العصر الجديد، فلا يكون إلا بعمل شاق لأجيال.

في المجتمعات العربية حان الأوان لإنتاج دعائم القوة وإصلاح المنتظم الاجتماعي الكبير ونظمه الفرعية. وذلك يعني تغيرات جذرية في عالم الأفكار والتصورات، وعالم العلاقات، ومن ثمّ عالم النظم والإجراءات.

وهي مهمة يجب أن تُفرز لها الطاقات مبكراً في مسار التحول. برغم ضغوط العاجل والملح من الأشياء والمطالب. لأنها الضمانة الحقيقية التي تؤمن المستقبل. وتؤهل البلد للإقلاع.

فبت روح الأمل والتفاؤل، والشعور بالقدرة ضرورة في المجتمع الجديد. وتغيير العلاقة بالعلم، من الاستهلاك للإنتاج، يقتضي إعادة النظر في المضمون لا الشكل.

والعلاقة بالتقانة واستنباتها في البلاد العربية بات ضرورة وجود. والنظر في مصادر تعميم القيم، وفي أولويات القيم للمجتمع الجديد بات ضرورة وأولوية اليوم، كما لم يكن في السابق.

والتخلص من الأفكار الرأسمالية الجامحة يجب أن يقابله تخلص من الأفكار الاشتراكية الجامحة أيضاً؛ فكلاهما أثبت عجزه عن تأمين الإنسان واحتياجاته.

التخطيط ... التخطيط ... يقابله التنفيذ ... التنفيذ ... التنفيذ الصارم ... كلها بنات الوعي بمتطلبات إنتاج عصر جديد. والوعي مهدد باستمرار بالتغيب، نتيجة ضغوط العاجل والملح من القضايا التي لا تنتهي.

قوانين النهضة هي قواعد عامة تنتمي لحقل العلوم الإنسانية، وتنطبق عليها محدوديات العلوم الإنسانية. ولكن فيها الكثير من الدروس التي يمكن الاستفادة منها وتفعيلها... وهي في جوهرها تنظيم للعقل في تصوره لحركة النهضة وشروطها، ويمكن أن يستفيد منها كل عاقل يتحرك لاستنقاذ الأمة من وهديتها.

واليوم وقد تحركت الأمة من مقعد الركود وتحاول أن تنطلق لفضاء جديد، حري بها أن تتفكر مليا عبر دراسة قوانين النهضة، فلا تدور في حلقة مفرغة من البناء والهدم أو حتى من الهدم والهدم، فلحركة التاريخ شروطها وللتقدم شروطه، من اخذ بها نجى وفاز، ومن اعرض عنها خسر الجهد والمال والوقت وضاعت منه الفرصة التاريخية.

في هذا الكتاب محاولة لرسم بعض المعالم الكبرى المستفادة من حركة الشعوب الناهضة التي نرجوا ان تتم قراءتها باناة... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وإلى لقاء في كتاب قادم بإذن الله.

المراجع العربية

- السيرة النبوية لابن هشام (١/٣٦٥).
- برغوث عبد العزيز بن مبارك، المنهج النبوي والتغيير الحضاري، كتاب الأمة، العدد (٤٣)، السنة الرابعة، رمضان ١٤١٥هـ.
- د. جاسم سلطان، النهضة.. من الصحوة إلى اليقظة.
- جون بيريه، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، ترجمة: أكرم ديري، الهيثم الأيوبي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية.
- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا.
- د. حسن محمد وجيه، مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي، سلسلة عالم المعرفة.
- داني كوكس وجون هوفر، القيادة في الأزمات، نقله إلى العربية بتصريف: هاني خلجة، ريم سرطاوي، بيت الأفكار الدولية، ١٩٩٨م.
- د. سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

- أ.د. عبد الحميد الغزالي، حول أساسيات المشروع الإسلامي لنهضة الأمة قراءة في فكر الإمام الشهيد حسن البنا، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- اللواء الركن الطيار عبد الرحمن حسن الشهري، تطور العقائد والإستراتيجيات العسكرية الرياض، مكتبة العبيدكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دمشق، دار القلم.
- د. عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- د. عبد المنعم ثابت، التخطيط الإعلامي والإعلان لمعالجة قضايا المجتمع وكيفية مخاطبة الجمهور.
- المقدم دكتور علي عواد، الدعاية والرأي العام. مضمون ونماذج من الحرب في لبنان والخليج، تجارب دولية، بيروت، الطبعة الأولى.
- د. علي محمد محمد الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (دروس وعبر)، الإمارات الشارقة، مكتبة الصحابة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- د. عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، بيروت، دار النقايس، الطبعة الثانية عشرة ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، بيروت، دار الساقي الطبعة الثانية ١٩٩٧م.
- د. فتحي عبد الرحمن جروان، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، العين/ الإمارات، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- د. قاسم بن محمد، الذاكرة التاريخية للأمة، القاهرة، المكتب المصري الحديث، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، عمر مسقاوي، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- د. محمد أديب صالح، لمحات في أصول الحديث، دمشق، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
- الشيخ محمد الخضري بك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- محمد العبد، حركة النفس الزكية، كيف نستفيد من أخطاء الماضي، ط٢، دار الأقرم، الكويت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٧م.
- محمد بن مختار الشنقيطي، الحركة الإسلامية في السودان مدخل إلى فكرها الاستراتيجي والتنظيمي، لندن، دار الحكمة.
- د. محمد سهيل قطوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، المجلد الأول.
- د. محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية، بيروت، مكتبة لبنان.
- الدكتور محمد منير مرسى، أصول التربية، الناشر: عالم الكتب.

المراجع الإنجليزية

- Andrew Heywood, Foundations politics, Macmillan press, first edition 1997.
- A project to be realized: Global liberalism and contemporary Africa, In Millenium 1992.
- Donald Waters, A practical introduction to management science, Addison-Wesley, second edition.
- George A. Steiner, Strategic planning, the free press, A division of Macmillan publishing co., Inc, 1979.
- Kenichi Ohmae, The Mind of the Strategist: The Art of Japanese Business, Paperback, McGraw-Hill Book Company, second edition 1996.
- Stanley Karnow, Moa and China: A legacy of Turmoil, A Penguin book, third edition.

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَنْبَتُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿

آل عمران: ١٣٧ - ١٣٨